شعر أبي العتاهيـــة الزهـــدي

[القضايا والمؤثرات]

إعداد

خالد فرحان إرحيل البداينة

جامعة مؤتة

١٩٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة

كلية الآداب /

شعر أبي العتاهية الزهديّ

((القضايا والمؤثّرات))

إعداد :-

خالد فرحان إرحيل البداينة

بكالوريوس لغة عربية / الجامعة الأردنية ١٩٨٤

اشراف

الأستاذ الدكتور :- رشدي علي حسن

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة مؤتة ، تخصص اللغة العربية وآدابها.

أعضاء لجنة المناقشة :-

١. الأستاذ الدكتور :- رشدي علي حسن رئيساً

٢. الدكتور :- جهاد شاهر المجالي عضواً

:- شفيق محمد الرقب عضواً

تاريخ تقديم الرسالة :- ١٨ / ٧ / ١٩٩٧ م

تاريخ المناقشة :- ١٣/ ١٢ / ١٩٩٨ م

الإهداء

إلى تلك الروح الطاهرة الباقية بيننا ،
إلى والدي
إلي ذاك الشعاع الغامر من النور ،
إلي أمي
إلى ذاك الأمل الباسم في حياتي ،
إلى زوجتي .
إلي أبنائي ، قيس وآلاء ، ودعاء ، و
منال ، وآمال

المحتويات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١.	المقدمة	أ-ج
٢.	**الفصل الأول : قضية المصير**	
٣.	أولاً : مصير الإنسان (الإحساس بالزمن)	١-٢٢
٤.	ثانياً: مصير الدنيا	٢٣-٣٢
٥.	ثالثاً : الإعداد للآخرة	٣٢-٤٣
٦.	**الفصل الثاني :** **الرؤية الاجتماعية في شعره الزهدي**	
٧.	أولاً : الصداقة والصديق	٤٤-٤٩
٨.	ثانياً : القيم الاجتماعية	٤٩-٥٤
٩.	ثالثاً : الآفات الاجتماعية	٥٥-٦٤
١٠	رابعاً : النقائص الخلقية	٦٤-٦٩
١١	خامساً : النقد الاجتماعي	٦٩-٧١
١٢	**الفصل الثالث:** **وسائل في التوسل الى الله**	
١٣	أولاً : التسبيحات	٧٢-٧٩
١٤	ثانياً : التمجيد والتحميد	٧٩-٨٤
١٥	ثالثاً : التضرع	٨٤-٨٨
١٦	رابعا: مناجاة النفس	٨٨-٩١

١٧	**الفصل الرابع : المصادر والمؤثرات**	
١٨	أولاً : التأثر بالنص القرآني	٩٢-١١٢
١٩	ثانياً : التأثر بالحديث النبوي الشريف	١١٢-١٢١
٢٠	ثالثاً : التأثر بالسلف الصالح	١٢١-١٢٢
٢١	رابعاً : التأثر بالثقافات الأجنبية	١٢٢-١٢٥
٢٢	خامساً : أبو العتاهية في ضوء المؤثرات	١٢٥-١٣١
٢٣	**الفصل الخامس : الدراسة الفنية**	
٢٤	أولاً : الصورة الشعرية	
٢٥	ثانياً : السهولة والوضوح	
٢٦	ثالثاً : الأوزان والموسيقي	١٤٣-١٤٥
٢٧	رابعاً : محاكاة القرآن الكريم	١٤٥-١٤٦
٢٨	**الخاتمة**	١٤٧-١٤٩
٢٩	**الخلاصة - باللغتين العربية والإنجليزية**	١٥٠
٣٠	**المصادر والمراجع**	١٥١-١٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

****

الحمد للّه ربّ العالمين ، له الحمد في الأولى والآخرة ، وأصلّي وأسلم على صفوة الخلق وحبيب الحقّ محمد صلّى اللّه عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه ومن سار على سنتّه إلى يوم الدين .

يُعدّ أبو العتاهية علماً بارزاً من أعلام الشعر في العصر العباسي الأول ، فقد استطاع بشعره الزهديّ تَزعّم خطّ الزهد في ذلك العصر ، وأن يكون ظاهرةً زهديةً يَمْتدُّ تأثيرها إلى أوساط العامة والخاصة على حدٍّ سواء .

وقد كانت أمنيةً عزيزةً أن أرود طريق الدراسة الأدبية ، وأن أدرس أشعار أبي العتاهية التي أثّرت في نفسي ولا سيّما أشعاره الزهدية وأرجوزته المشهورة بذات الأمثال

وبُغْيةَ استكمال دراسة جوانب الزهد عند أبي العتاهية ، تحاول هذه الدراسة تقديم صورةٍ متكاملةٍ عن موضوعات شعره الزهدي واتجاهاته وقضاياه ومؤثراته .

ومن أهم الحوافز التي دفعتني إلى هذه الدراسة ، استجلاء الحقيقة بغية إماطة اللثام عن وجه الشاعر ، لمعرفة تلك الأسرار والبواعث التي تكمن في شخصية أبي العتاهية ، ثمّ محاولة التخفيف من غلواء الاتهامات التي وُجهت له ، فقد رُمي بالزندقة ، والمانويّة ، والثنويّة ، والجبريّة ، والتشيّع ، واعتبرتْ مصادر شعره مانوية ، وأن هذه المصادر ليست من الإسلام في شئ

والأمر الثالث : أنّ النفرة والوحشة قائمة في وجدان الدراسين بين الشعر فنّاً ، والإسلام ديناً ، وأبو العتاهية من الذين عانوا من هذه القضيّة ، فالحاجة ملحّة إلى تقليب النظر مرّاتٍ ومرّات في أشعار هذا الشاعر الذي اتهمه بعض الدارسين القدامى والمحدثين ، فمحاكمته لا بدّ أن تتم من خلال فهم أشعاره بعقلية المنصف له لا المتجني عليه .

وتعتمد الدراسة على المنهج الفني التحليلي ، الذي يتناسب مع طبيعة البحث وهو منهج يصلح لدراسة شعر أبي العتاهية الزهدي .

وتقتضي طبيعة البحث ان يكون في خمسة فصول ، يتناول **الفصل الاول** قضية المصير ، وهذه القضيّة شغلت شاعرنا طويلاً وأخذت حيّزاً كبيراً من ديوانه الزهدي ، فالموت هو المصير الذي ينتظر الإنسان فلا مفرَّ منه ولا نجاة، وسيشمل الناس جميعاً دون تمييز ومصير الدنيا الزوال ، وهو أمر حتميٌّ يحاول أبو العتاهية أن يرسم صورته بوضوح .

ويعرض **الفصل الثاني** للرؤية الاجتماعية في شعر أبي العتاهية الزهدي ، لانَّ هذا اللون من الشعر له علاقة حميمة بالحياة والدين ، فالمعاني مستمدة من تجربته الذاتية ، ومن النص القرآني والسّنة النبوية ، والحكم الفارسية واليونانية التي امتزجت بالثقافة العربية والإسلامية ، ويعني الفصل بالتركيز على القيم الإسلامية الرفيعة ، من صداقة وتواضع وإيثار ، وتعامل بالمعروف والإنصاف والحِلْم والصبر .

ويبرز **الفصل الثالث** موضوع وسائله في التوسل الى اللّه ، وهى عبارة عن الابتهالات الدنيية ، فهو دائم المناجاة والتضرع الى الله عزوجل عن طريق التسبيحات والتحميدات ، وتمجيد الخالق عزوجل والثناء عليه ثم يبرز عن طريق الابتهالات مدى انتفاضة اليقين ، وعمق الإيمان ، معلناً توبته الصادقة النصوح .

ويناقش **الفصل الرابع** ، المصادر والمؤثرات ، فيبرز المعاني والأفكار التي عبّر عنها أبو العتاهية في أشعاره الزهدية والتي تعود في أصولها الى القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح من الأمة .

ثم يولي الفصل أهميةً لشخصية الشاعر في ضوء تلك المؤثرات الاسلامية الخالصة ، من أجل رفع تلك التهم التي علقت بأبي العتاهية .

ويتناول **الفصل الخامس** الدراسة الفنية ، من حيث الأسلوب ، إذ تتوقف الدراسة عند الصورة الشعرية ، وكذلك السهولة والوضوح في أشعار أبي العتاهية ، والتأثر بالقرآن الكريم ، أو ما يمكن تسميته بمحاكاته للقرآن الكريم ، وكذلك الأوزان الموسيقى وخروجه عن بحور الخليل .

ولا يمكن الادّعاءُ أنَّ هذه الدراسة هي أول دراسة في هذا الموضوع ، فقد سُبقَتْ بدراساتٍ ، لكنَّها مختلفة عن تلك الدراسات بموضوعها ومنهجها .

ومن الدراسات التي تناولت أبا العتاهية ، دراسة يوسف خليف في كتابه حياة الشعر فى الكوفة ، ودراسة أسامة عانوتى (أبو العتاهية رائد الزهد فى الشعر العربى) ،

ودراسة محمد الدش (أبو العتاهية حياته وشعره) ، ودراسات أخرى جاءت على شكل شذرات في معرض الحديث عن أدب العصر العباسي .

أما عن **مصادر البحث ومراجعه** فكان من الطبيعي أن أرجع أولاً وقبل كلّ شيءٍ إلى ديوان الشاعر ،فاعتمدتُ تحقيق شكري فيصل ، وقرأت أشعاره قراءةً متأنّيةً فاحصةً ، وأفرزْتُ الأشعار التي تناسب الموضوعات التي وردت في خطّة البحث ، وعدت إلى المراجع الحديثة التي تناولت أبا العتاهية وشعره بالدراسة على اختلاف طبيعتها ومناهجها ، وقد أخذت من تلك الدراسات واتخذت منها لِبَناتٍ في بناء بحثي المستقل بموضوعه ومنهجه .

وإنني إذ أتقدّم بالشكر والامتنان من الأستاذ الدكتور رشدي علي الحسن ، المشرف على الرسالة اعترافاً بجميل جهده الذي بذله في توجيه البحث وخطته ، والصبر على متابعته ، لأدعو الله أن يجزيه خير الجزاء .

كما اتوجه بخالص شكري للاستاذين عضوي المناقشة ، الدكتور جهاد المجالي ، والدكتور شفيق الرقب على ما أبديا من ملحوظاتٍ وتوجيهات اثرت البحث ،داعياً الله أن يجعل صدق نواياهم في موازين أعمالهم .

ولا يفوتُني في ختام هذه المقدمة أن أذكر أني قد حاولت جَهْدَ المستطاع ، أن يخرج هذا البحث ويرى النور ، فإن كان فيه من فائدة فهو بتوفيق من اللّه عزوجل ، فلله المنّةُ أولاً وآخراً ، وإن كان من زلل وعوج ، فمن عندي ولا أبرئُ نفسي ، فالنقص مُستَولٍ على سائر البشر ولكنْ حسبي أني اجتهدت ، ولست ازعم أنني أتَيْتُ بما لم تستطعه الأوائل .

واللّهَ أسأل أن يتقبّل هذا العمل العلميّ المتواضع خالصاً لوجهه،وعلى اللّه قصد السبيل ، والحمد لله ربِّ العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

قضية المصير

أولاً : مصير الإنسان

(الإحساس بالزمن)

ثانياً : مصير الدنيا

ثالثاً : الإعداد للآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

****

فكرة المصير من القضايا التي شغلت أبا العتاهية ، فمن يقـــرأ أشـــعاره يحـــسّ أن الشاعر تسكنه نغمةٌ حزينة هي نغمة الموت ، وتظهر في أشعاره الزهدية بوضوح وجـــلاء والموت ظاهرة تعيش في صميم النفس البشرية ، والإحساس بها يختلف من شخص لآخـــر لكن الناس يجمعهم هذا المصير، وهذا ما كان هدفا لأبي العتاهية في أشعاره الزهدية مـــن حيث الوقوف على مصير الإنسان،ورسم الصورة الموحية والمعبرة عن رهبة المصير الـــذي يقلق البشر جميعا .

فقد تشكلت صورة المصير عند أبي العتاهية،فكانت صورةً مفرغة لمصير الإنســـان الذي يصارع في هذه الحياة ، يكدح ، ويشقى ، ولكنه في النهاية لابد أن يلج باب المـوت الذي هو النهاية الحتمية ، وقد شغله المصير طويلا ، وأعطى له حيّزاً في أشعاره ، وأمضـــى وقته في التأمل في هذه النهاية المأساوية كما يراها ، وقد لوّن هذه النظرة بألوان الظـــروف التي عاشها ، وتلك التجارب الصعبة التي مر بها .

((فصورة المصير عند أبي العتاهية صورة قاتمة ، والتجربة النفسية التي مر بها كان لهـــا أعمق الأثر في حياته وفنه بعد ذلك ، فقد تعلق قلبه بحب فتاة نائحة اسمها سُعدى ، ومضى يضرب معها في شعاب الموت والنواح والسواد ، واصطبغت نفسه في هذا الوقت المبكـــر من حياته بالتشاؤم الذي كان يثيره في نفسه حديث الموت،الذي يتردد على شفتي هـــذه النائحة الحسناء)).[1]

والحرفة التي كان يعمل بها أبو العتاهية لعبت دورا في تشكيل فكرة المصـــير عنـــد أبي العتاهية ، العائد من حقول المتع والملذات ، فهو يصنع جرار الفخار من تلك الطينة البكـر التي يأخذها بين يديه ليسويها جرارا متعددة الأشكال ، مختلفة الحجوم ، ثم يلقي بهـــا الى النار لتحرقها حتى إذا ما أُخرجت منها ، تشعّبت بها السُّبل ، واختلفت بهـــا الحظـــوظ ،

---

[1] يوسف خليف – في الشعر العباسي – ص ٦٨

فبعضها إلى قصور الأمراء حيث الغنى والثراء والترف ، وبعضها إلى أكـــواخ الفقـــراء ، حيث الفقر والشقاء والشظف ، لكن المصير في الحالتين واحد ، انه العـــودة إلى الـــتراب الذي صنعت منه ، أليست هذه هي قصة الحياة ؟ من التراب خلق الإنسان ، ثم ألقي به في الحياة لتبلوه وتختبره ، ويتفاوت حظه ، فشقي وسعيد ، ولكنّ مصير الإثنـــين واحـــدٌ في النهاية ، إنها العودة إلى التراب الذي خلق منه .[٢]

نعم هذا هو مصير الإنسان ، فقد رسم الله عز وجل في كتابه صورةً لهذا المصـــير في قوله تعالى :-﴿ يَوْمَ يأْتِ لا تَكَلَّمُ نفْسٌ إلاّ بإذْنه ، فمنْهُمْ شَقيٌّ و سَعيدٌ فأمّا الذين شَـــقوا فَفي النّار لهُمْ فيها زَفيرٌ وَشَهيقٌ ، خالدين فيها ما دامَتِ السَّمواتُ والأَرضُ إلا مـــا شـــاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبَّكَ فَعّالٌ لما يُريدُ ، وأمّا الذين سُعِدوا ففي الجَنَّةِ خـــالدينَ فيـــها مـــا دامـــتِ السَّمواتُ والأرضُ إلا ما شاءَ ربُّك عطاءً غيْرَ مجذوذٍ ﴾[٣]

ونجد أبا العتاهية يرسم للناس طريقا ويطلب منهم أن يسلكوها،إذ يقول :-[٤]

يـــا عَجَبـــاً للنّـــاسِ لَـــوْ فَكّـــروا ... أَوْ حاسَـــبوا أَنفُسَـــــهُمْ أَبْصـــــروا

وَعَـــبَروا الدُّنيْـــا إلى غَيْرِهـــــا ... فإنَّـــما الدُّنْـــيا لَهُـــــمْ مَعْـــبَرُ

والمَوْردُ المَـــوْتُ ومـــا بَعْـــــدَهُ ... الحَشْـــرُ فذلِـــكَ المَـــوْردُ الأَكْـــــبَرُ

والفكرة الأساسية في شعر أبي العتاهية الزهدي هي فكرة المصير، مصير الإنسان في الحياة،ومصيره بعد الموت،وتتردد هذه الفكرة في شعره بصورة واسعة وهو مشغول بهـــا شغلا كبيرا ، يعبر عنها في صور شتى وبأساليب متعددة ، يطوف حولها حينا ، ويتغلغـــل في أعماقها حينا آخر ، ويعرض علينا منها نماذج مختلفة تماما كما كان يفعل في سالف أيامه ، حين كان يسوي الطينة الخضراء جراراً مختلفة الأحجام والأشكال .

« ولكن جراره الفنية لم تكن خضرا كتلك الجرار التي كان يسويها ، وإنما كانت جراراً قاتمـــةً تبعث على التشاؤم ، وتثير في النفس الحزن والانقباض »[٥].

---

[٢] المصدر السابق – ص ٦٩

[٣] سورة هود - الآيات من ١٠٥- ١٠٨

[٤] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ١٥١

[٥] يوسف خليف – في الشعر العباسي – ص ٧٢ لمزيد من النظر حياة الشعر في الكوفة – ص ٥٢١

ويوشك أبو العتاهية أن يكون أهم شاعر شغلته قضية المصير ، إلا إذا استثنينا أبا العلاء المعري ، وأبا الطيب المتنبي ، وهما من شعراء العصر العباسي ، الذين شغلتهم فكرة المصير ، ولكن لكل شيخ طريقته في معالجة هذه القضية .

(فأبو العتاهية لم يفكر في قضية المصير تفكيرا فلسفياً يسوده الشّك والحَيرة ، كما فكّر غيره من الشعراء ومن هنا كان حديث أبي العتاهية عن مشكلة المصير،يخاطب الوجدان الإنساني أكثر مما يخاطب العقل الفلسفي ، إنه في حقيقة الأمر ليس أكثر من هزّة روحية ، ينبّه بها أولئك الغافلين الذين اطمأنوا إلى حياتهم الدنيا ، وغفلوا فيها عن المصير الذي ينتظرهم) [٦] ،ولهذا تكثر في شعره الصور التي تثير التشاؤم والانقباض والحزن في نفوس الناس ، وذلك لأنه كان يرى في إثارة هذه المشاعر الوسيلة الفعالة لتنبيه هؤلاء الغافلين إلى المصير الذي ينتظرهم.

وكان أبو العتاهية جاهدا في التماس مشكلة المصير والبحث عنها ، فهو يعرض لكل ما يمكن أن يخطر على ذهن من يبحث في هذه المشكلة ، فجاءت إجابته عن الأسئلة التي تدور في خلد كل إنسان على هذه الأرض خالصة النية وصادقة الجهد ، وكانت الإجابات التي وردت عبر أشعاره الزهدية تتغلغل في النفوس،وتحرك الضمائر،وتقض مضاجع أولئك الذين راحوا يرتوون من نبع الملذات والشهوات ، واقتصروا أفكارهم وأعمالهم على الدنيا وتناسوا الآخرة التي هي دار المقر.

إن المتأمل في أشعار أبي العتاهية الزهدية يرى أن نفسه قد ثارت على الدنيا ، وامتلأت نفورا منها ، وإعراضا عنها ، فاعتزل تلك المجالس اللاهية وامتنع أن يقول شعرا في الغزل ، واعتكف عن الناس مستأنسا بوحدته،متأملا في مصير الإنسان في هذه الحياة.

(وقد أدرك معاصروه قديما أنه يكثر من ذكر الموت في شعره) [٧] (فقد كان الموت من أهم أسلحته ، فإذا وعظ الناس وذكّرهم بالموت وما يأتي بعده من هوان وضياع في طبقات الثرى ، وخرج من باب الحكمة والموعظة الحسنة إلى الوعيد والتهديد ، أخرج سيفه المصقول من قرابه ، وأصلته على أعناقهم وهذا امتداد لفكرة اطمأن الشاعر إليها ،

---

[٦] المصدر السابق – ص ٧٢

[٧] أبو الفرج الأصفهاني – الأغاني –ج٣– ص ١٢٢

وهدأت على موسيقاها الحزينة أفاعي الحقد والنقمة التي يحملها بين جنبيه للطبقات العليا في المجتمع ، تلك الطبقات التي تشمخ عليه بأحسابها وأنسابها ، وغير ذلك من الأمجاد التي لا يملك منها شيئا)[٨] ، ومهما قيل عن سبب زهد أبي العتاهية ، والذي سيأتي الحديث عنه في فصل لاحق إن شاء الله ، فإنه ظاهرة لشعر الزهد في العصر العباسي ، إذ دار أغلب شعره في تلك الفترة من حياته في دائرة موضوعية محدودة ، تتكرر في كل قصائده ومقطوعاته ، مصوِّرا فيها فكرة المصير ، مصير الإنسان ، ومصير الدنيا.

لقد تشكل رأي أبي العتاهية في مجتمعه ، بعد أن اطّلع على سلوك البشر ، فالناس في نظره مخادعون منافقون ، فوجد المجتمع العباسي قد اختل وانحرف وأصبحت الحياة نشازا وانحرافا ، فكلُّ ما في الدنيا زائلٌ لا محالة ، وهي حافلة بالأذى والنصب ، يحفها البلى من كل جانب،وتحصى فيها على المرء الأنفاس،وسنرى أبا العتاهية في كلامه عن مصير الإنسان وهو الموت خائفا،جزعا،وسرُّ نفوره من الدنيا يكمن في زوالها وفنائها ، (فوجه الحياة في نظره هو وجه الموت ، وصوتها هو صوت الموت وروحها روح الموت ، لذا فإنه يصفها بالغدر والمرارة ويحكم عليها بالخسران لمن لا يعمل صالحا على ظهرها).[٩]

فكرة المصير :-

أولا : مصير الإنسان

لقد صدرت من نفس أبي العتاهية الذي عاد من شعاب المتع والملذات إلى رحاب الزهد ، شرارةٌ انطلقت من ذلك الإحساس بحتمية الموت على حد قوله :-[١٠]

عِلْمي بأَنِّيَ أَذوقُ الموْتَ نَغَّصَ لي ... طيْبَ الحياةِ فما تَصْفو الحياةُ لِيا

إنَّ الرَّحيلَ عَنِ الدُّنيا لِيُزْعِجُني ... إنْ لَمْ يكُنْ رائحاً بي كانَ مُغْتديا

(فالواقع أن قضية الموت شغلت أذهان المفكرين والفلاسفة . ومازالت تشغلها ، والتي يقتضي الشعور الكامل بأبعادها أن يكون المرء على درجة عليا من التطور الروحي ،

---

[٨] محمد الكفراوي – اسطورة الزهد – ص ٦٣

[٩] أسامة عانوتي – أبو العتاهية رائد الزهد – ص ١٢٨

[١٠] أبو العتاهية أشعاره وأخباره – ص ٤٣٢ - ٤٣٣

وأن يكون ذا فكر متميز ،و على اتصال بالينبوع الأصلي للوجود والحيـــاة) [11] وهـــذه القضية شغلت فكر شاعرنا العربي كما استبدت بمشاعره فهو يرى الموت محلقا بصـــورة دائمة ثابتة فوق الحياة ،فيقول :- [12]

كَمْ تُرانا يا أَخي نَبْقَى عَلى جَوَلانِ المَوْتِ في هذا الأُفُقْ

بل إنه يرى الموت متصلا بالحياة نفسها ومندمجا في صميم حركاتها ، فيقول :- [13]

كَـرُّ الجَديدَيْنِ حَيْثُ كانـــــا مِـمَّا تفانَتْ به القُـــرونُ

وَللبِلـــــــى فيهُـــمْ دَبيبٌ كَأَنَّ تحريكَهُ سُكـــــونُ

ويمضي قائلا مصورا هذا المصير الذي يُؤرقه كثيرا ، ويستحوذ على اهتمامه :-[14]

وإني لأَجْري إلى غايـــــةٍ وأَسْتقبلُ الموْتَ مِنْ مَوْلدي

ومازلْتُ في طبقاتِ الـــرَّدى أُصَعِّدُ في مَصْعَدٍ مَصْعَـــدِ

فأبو العتاهية يصور إحساسه العميق بالزمن ، فهو يعود بذاكرته الحزينة إلى لحظـــة الولادة ليربطها بالموت ، يتابع حركة الزمن بدقة متناهية ، ويربط حياته بهـــا.وإحساســه بالزمن وحركته جعله يندم على سني العمر التي انقضت ، وكانت مليئةً باللهو والتفريـــط في جنب الله عزوجل .

الإحساس بالزمن

مما لا ريب فيه أن الدارس لا يستطيع فصل الشاعر عن الجو الذي نشأ فيه ، فـــلا بدَّ من دراسة الظروف التي يعيشها الشاعر ، وتتصل اتصالا مباشـــرا بتلـــك الحـــوادث والأحوال التي يمر بها الشاعر.

إذ أن الشعر حركة نفسية يثيرها ما يحيط بالشاعر من أحـــوال ، فـــأبو العتاهيـــة استطاع أن يرسم طريقه بوضوح من خلال أشعاره حين تبدلت الأحوال،فالذي يتفحـــص

---

[11] إبراهيم الجندي – أبو العتاهية الفنان الزاهد – مجلة الأديب – العدد ٦ – ص ٩

[12] أبو العتاهية أشعاره وأخباره –ص ٢٤٨

[13] المصدر السابق – ص ٣٩٤

[14] المصدر السابق – ص١١٢

أشعاره يحس أن الشاعر قد داخلت نفسه مشاعر الخوف والقلق من المصير ، فجاء الموت في أشعاره نغمة حزينة يتخللها القلق والخوف .

والخوف ظاهرة نفسية يعيشها الإنسان ، تبعا للظروف التي تحيط به ، فظهرت في شعر أبي العتاهية بكل جلاء من خلال الحديث عن الموت الذي انعكست صورته في كل قصائده أو مقطوعاته الشعرية ، فهو محبط مما في مجتمعه من تمايز بين الطبقات ، فالموت هو العلاج الناجع الذي يقضي على هذا التمايز.

ومن مظاهر الخوف من المصير عند أبي العتاهية الإحساس العميق بالزمن ، فراح أبو العتاهية يتتبع تلك السنين يظهر فيها ندمه على السنين التي خلت من عمره،فالدنيا في نظره لا تدوم على حال،فيقول :-[١٥]

سكنٌ يَبْقى له سكنْ ... ما بِهذا يُؤْذِنُ الزَّمَنُ
نحنُ في دارٍ يُخبِّرنا ... عن بلاها ناطقٌ لَسِنُ
دارُ سوءٍ لم يدُمْ فَرَحُها ... لإمرئٍ فيها ولا حَزَن

فالزمن لا يبقى على حدثانه ، يتقلب بأهله ، لذا فإن فرحة الولادة ، يمحوها حزن الموت فيرصد أبو العتاهية حركات الزمن بدقة ، ويستعرض تلك الأيام التي عاشها بكل معطياتها يتألم على ماضيه ، ويحن إلى أيام الشباب ، فيقول :-[١٦]

كَبِرْنا أَيُّها الأتْرابُ حتّى ... كأنّا لَمْ نَكُنْ حَيْنا شبابا
ألا ما للكُهولِ وَ للتَّصابي ... إذا ما أغترَّ مُكْتَهلٌ تَصابى
مضَى عني الشّبابُ بغَيْرِ وُدّي ... فعندَ اللهِ أحْتَسِبُ الشَّبابا
وما مِنْ غايةٍ إلا المنايا ... لمَنْ خَلِقَتْ شَبِيبَتُهُ وَشابا

وهو يرى الأيام التي نتمنى قدومها قد تكون مصدر خوف وقلق للإنسان لأنها تقربه من المصير،فيقول:-[١٧]

---

[١٥] أبو العتاهية أشعاره وأخباره - ص ٣٦١

[١٦] المصدر السابق - ص ٢٠ و ٢١

[١٧] المصدر السابق - ص ٣٨٧

حَتّى مَتى نَحْنُ في الأيّام نَحْسبُها ... وإنّما نَحْنُ فيها بيْنَ يومَيْنِ
يومٌ تَوَلّى وَيَوْمٌ نَحْنُ نأمُلُهُ ... لَعَلّهُ أجْلَبُ اليَوْمَيْنِ لِلْحَيْنِ

ويرسم صورة الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله،مؤكدا على البعد الزمني الدقيق قائلا :-[18]

والدَّهْرُ يَوْمٌ أنتَ فيهِ وآخرٌ ... تَرْجوهُ أو يَوْمٌ مضى لَكَ فاتا
هَيْهاتَ إنّكَ للخُلودِ لمرْتَجٍ ... هَيْهاتَ مما تَرْتجي هَيْهاتا

ومن شدة خوفه وإحساسه بالزمن يعود أبو العتاهية إلي مرحلة الشباب التي عاشها يحن ويلتجئ إليها ، مظهرا أسفه على فقدها ، فالشيب ينذر بقرب الرحيل ، فيقول :-[19]

بَكَيْتُ على الشَّباب بِدَمْعِ عَيْني ... فلَمْ يُغْنِ البكاءُ ولا النَّحيبُ
فيا أسفاً أسِفْتُ على شبابٍ ... نعاهُ الشَّيْبُ والرأسُ الخَضيبُ
عَريتُ من الشّبابِ وكانَ غضا ... كما يَعْرى من الورقِ القَضيبْ
فياليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ... فأخبرُهُ بما صَنَعَ المَشيبْ

ومن مظاهر إحساسه بالزمن ، شعوره أن الزمن هو الذي بدّل حياته ، ، وأفقده متعه وملذاته و شبابه ، فينعى الشباب على مسامع البشر قائلا :-[20]

سأَنْعى إلى النّاسِ الشَّبابَ الذي مَضى ... تَخَرَّمَتْ الدُّنيا الشَبابَ وَشَيَّبَتْ
ولي غايةٌ يجرى إليها تَنفُّسي ... إذا ما انقَضَتْ تَنْفسيةٌ لي تَقَرّبتْ

فالزمن كما يراه أبو العتاهية هو الذي حد من طموحاته وآماله ، لذا فهو دائم التفكير والانشغال بالموت الذي يقترب منه كل يوم ، بل كل لحظه ، وهو يحس إحساسا عميقا مأساويا بالزمن ، ويشعر أن المصير قد أقترب فهو يحصي أيامه ويحاسب نفسه بدقة قائلا :-[21]

أيا إخوتي آجالُنا تتقَرَّبُ ... ونَحْنُ مع اللاهينَ نَلْهو ونَلْعَبُ

---

[18] المصدر السابق – ص ٦٣
[19] المصدر السابق – ص ٣٢
[20] المصدر السابق – ص ٧٧
[21] المصدر السابق – ص ٢٦

أُعَدِّدُ أيّامي وأُحْصي حِسابَها ... وَما غَفْلَتي عَمّا أَعُدُّ وأَحْسُبُ
غدا أنا مِنْ ذا اليَوْمِ أَدْنى إلى الفَنا ... وَبَعْدَ غَدٍ أَدْنى إليْهِ وأَقْرَبُ

وأبو العتاهية يعيش حالة من الصراع النفسي ، كما أنه يرى أن الزمن يصارعه ويناصبه العداء فالزمن سبب في ضياعه وحرمانه ، فيقول :- [٢٢]

وَللدَّهْرِ شَدٌّ على أَهْلِهِ ... فَبَيْنٌ مُشِتٌّ وَنَبْلٌ مُصيبُ

فالدهر يصوب سهامه نحو البشر جميعا فيقضي على طموحاتهم التي في الصدور.ويمضي مصورا عداء الزمن له بقوله :-[٢٣]

أَمِنْتَ الزَّمانَ وَالزَّمانُ خَؤونُ ... لَهُ حَرَكاتٌ بالبلى وَسُكونُ
سَتَذْهَبُ أَيّامٌ سَتَخْلِقُ جِدَّةً ... سَتَمْضي قُرونٌ بَعْدَهُنَّ قُرونُ

وهو لا يتوانى عن وصف الزمان بصفات سلبية ، فالزمن خؤون ، وغدّار يذهب بجدة كل جديد ، ويطوي العمر بحركاته المتلاحقة ، فيقول:-[٢٤]

وإنَّكَ يا زَمانُ لَذو صُروفٍ ... وَإنَّكَ يا زَمانُ لَذو انقِلابِ
وَمالي لَسْتُ أَحْلُبُ مِنْكَ شَطْرًا ... فَأَحْمَدَ غِبَّ عاقِبَةِ الحِلابِ
وَمالي لا أُلِحُّ عَلَيْكَ إلا ... بَعَثْتَ الهَمَّ لي مِنْ كُلِّ بابِ
أَراكَ وإنْ طُلبْتَ بِكُلِّ وَجْهٍ ... كَحُلْمِ النَّوْمِ أَوْ ظِلِّ السَّحابِ

فيحاول تهدئة هذا الصراع المتأزم بينه وبين الدهر ، مطمئناً نفسه بشمولية الموت وحتميته فيقول:-[٢٥]

أَلا أَيُّها القَلْبُ الكَثيرُ علائقُهْ ... أَلَمْ تَرَ هذا الدَّهْرَ تَجْري بوائقُهْ
رُوَيْدَكَ لا تَنْسى المقابرَ والبِلى ... وَطَعْمَ حُسَى المَوْتِ الذي أَنْتَ ذائقُهْ
وما الموتُ إلاّ ساعةٌ غَيْرَ أَنَّها ... نَهارٌ وَلَيْلٌ بالمنايا تساوِقُهْ

حاول أبو العتاهية ان يخفف من حدة الخوف من المصير ليطمئن نفسه عن طريق نظرته إلى الموت و شموليته ، وحتميته ، فهو أمر لا مفر منه وهو سنة الكون كما أخبر الله

---

[٢٢] المصدر السابق – ص ٣٧
[٢٣] المصدر السابق – ص ٣٧٨
[٢٤] المصدر السابق – ص ٣٣
[٢٥] المصدر السابق – ص ٢٥٤

عزوجل بقوله تعالى : – ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذائقةُ المَوْتِ ﴾ ولعل أبا العتاهية قد استفاد من فهمه لآيات القران الكريم التي تناولت قضية الموت ، ثم يلجأ أحيانا إلى اليقين على الله عزوجل والتقوى ، فهما من طرق الإضاءة في حياته ، فيقول:–[٢٦]

إذا عَرَفْتَ اللهَ فاقْنَعْ بهِ فَعِنْدَكَ الحَظُّ الجَزيلُ الكثيرُ

ولا يتوانى أبو العتاهية عن رسم صور مشوهة قبيحة للحياة ، كي يقلل من شأنها فيقول:[٢٧]

أُرَقِّعُ من دُنْيايَ دُنْيا دَنيَّةً وَداراً كثيراً وَهْيُها وَخُروقُها

وحتى تتضح صورة الموت عند أبي العتاهية فمن المناسب أن نضعها تحت عناوين خمسة

أ)رهبة الموت ب)شمولية الموت ج)غدر الموت د)سكرات الموت

وقد استطاع أبو العتاهية أن يستخدم أمضى أسلحته التي لجأ بها إلى التخويف والترهيب ، فكان الموت هو السلاح الفاعل في تحقيق هذه الغاية ، فالموت باب والكل سيدخله لا محالة وهو حوض والكل سيرتوي منه غير أن ماءه مرٌّ لاذع ، ورائحته كريهة ، وهو يأتي على كل البشر ويفنيهم ، حتى ملك الموت هو ميت في النهاية ،(وهو مطمئن لفكرة الموت معتز بها اعتزازا شديدا ، معتمد عليها في حل كل المشكلات التي عانى ويعاني منها الكثير جراء التمايز بين طبقات المجتمع آنذاك).[٢٨]

أما الاطمئنان للموت فلأنه يؤمن بحتمية الموت ، والاعتزاز سببه الحقد على أولئك الذين فاقوه في المركز والجاه ، ولا يريحه نفسيا إلا موت أولئك،فهذا هو سر اعتزازه بالموت حين يتمناه للذين يعيشون حياة الترف والنعيم . فنجده يختار صورة حركية تبين مدى حقده عليهم فيقول عندما يسأل عن أجود شعره :–[٢٩]

النَّاسُ في غَفلاتِهم وَرَحى المَنِيَّةِ تَطْحَنُ

---

[٢٦] المصدر السابق – ص١٧٣

[٢٧] المصدر السابق – ص ٢٥٥

[٢٨] محمد الكفراوي – أسطورة الزهد – ص ٦٤

[٢٩] الأغاني – الأصفهاني – ج٣–ص ١٥١

فالموت كما صوره القرآن الكريم لا مهرب منه ولا نجاة ، قال تعالى :- (أَيْنَمَا تَكونوا يُدْرِكْكُمُ الموْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ في بُروجٍ مُشَيَّدةٍ) [٣٠] فيأخذ أبو العتاهية هذه الفكرة ويصوغها بقالب شعري، قائلا :-[٣١]

يَهْرُبُ المرْءُ منَ الموْتِ وَهَلْ ... يَنْفَعُ المرْءَ مِنَ الموْتِ الهَرَبْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتُقاسي مَرَّةً ... كُرَبَ الموْتِ فَلِلْمَوْتِ كُرَبْ

أ) رهبة الموت

أبو العتاهية شاعر يخشى الموت ، ويفرق لذكره ، ولا يزال يذكِّر الناس بأهواله وآلامه، ليتعزّى بخوفهم عند خوفه ، وليرهبهم به ، عساه يدفن خوفه المقيم في جزعهم وقلقهم.

(فلن نستغرب إذا وجدناه يكرر المعاني ويعيد عرض الفكرة الواحدة بصور شتى ، ولن نستغرب أيضا إذا رأيناه يحثهم على الانتباه من غفلتهم والإنصات إلى صوت الموت الرهيب المخيف ، وأن في جزعه من الموت و خوفه منه بعض التأويل المعقول لنقمته على الدنيا وتشاؤمه منها)[٣٢] إذ يقول : [٣٣]

الموْتُ حَوْضٌ لا محالَةَ دونَهُ ... مُرٌّ مَذاقَتُهُ كَريهٌ مَشْرَبُهْ
وَتَرَى الفتى سَلِسَ الحَديثِ بذِكْرِهِ ... وَسْطَ النَّدى كَأَنَّهُ لا يَرْهَبُهْ

ونرى أبا العتاهية رغم أنه يتعامل مع الموت من منظور إسلامي إلا أنَّ حديثه عن الموت لم يخل من النظرة التشاؤمية ، يدفعه إلى ذلك الخوف من الموت .

ويمضي أبو العتاهية مخوِّفا من الموت ومحذرا من بطشه وفتكه قائلا :-[٣٤]

مالي رأَيْتُكَ راكِباً لهواكا ... أَظَنَنْتَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ يَراكا
انظُرْ لنَفْسِكَ فالمنيَّةُ حَيْثُ ما ... وَجَّهْتَ واقِفَةٌ هُناكَ حِذاكا

---

[٣٠] سورة النساء – الآية ٧٨

[٣١] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص٣٠

[٣٢] عبد الستار متولي – أدب الزهد في العصر العباسي – ص ٦٩

[٣٣] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ٤٧

[٣٤] المصدر السابق – ص٢٦٣

وقد راح أبو العتاهية يعالج قضية الموت بعقلية فذة وبصيرة ثاقبة فالمرء لا حيلة له بدفع الموت، إلا بالأعمال الصالحة فيقول :- [٣٥]

ما حيلةُ الموْتِ إلاّ كُلُّ صالحةٍ ... أوْلا، فلا حيلةٌ فيهِ لمُحتالِ

فلنستمع إليه وهو يحذر من الموت وما بعده ،يكرر المعاني ويعيد عرض الفكرة الواحدة ولن نستغرب حثه الناس على الانتباه من غفلتهم والإنصات إلى صوت الموت الرهيب المخيف ، فكيف لا يدعو الناس ، وصوت الموت يصم الآذان ، وما بعد الموت أدهى وأمرّ، حيث يقول:-[٣٦]

فَلَوْ كانَ هَوْلُ الموْتِ لا شَيءَ بَعْدَهُ ... لَهان عَلَيْنا الأَمْرُ واحْتُقِرَ الأَمْرُ

ولكنَّهُ حَشْرٌ وَنَشْرٌ وَجَنَّةٌ ... وَنارٌ وما قَدْ يَسْتَطيلُ بهِ الخُبْرُ

فكلما قلب الشاعر النظر في هذا الموت ، وفي الكون حوله ثبّت هذه الرهبة في نفسه ، حتى ملكت عليه الرهبة لبه وأعصابه، ويزداد إحساس أبي العتاهية بالموت والنفور منه ، حين يرسم صورة الموت،وهو يسوق الناس إلى هذا المصير،وهو مصير محتوم على البشر ، فالموت يطالع الناس في كل يوم ليطلق سهام منايا و يتخطف البشر واحداً تلو الآخر ، فيقول :-[٣٧]

أَرى المَوْتَ لي حَيْثُ اعتَمَدْتُ كَمينا ... فأَصْبَحْتُ مَهْموماً هُناك حَزينا

سَيُلحِقُني حادي المنايا بمَنْ مَضى ... أَخَذْتُ شمالاً أَوْ أَخَذْتُ يَمينا

يَقينٌ الفَتى بالموتِ شَكٌّ وَشَكُّهُ ... يَقينٌ ولكِنْ لا يَراهُ يقينا

عَلينا عُيونٌ للمَنونِ خَفيَّةٌ ... تَدِبُّ دَبيبا بالمَنيةِ فينا

وهو يحس الموت قد نصب له كمينا خفيا ، فهو دائم الخوف منه ، يترقبه في أي لحظة ، فرهبة الموت قد ملكت عليه حواسه ، وشغلت تفكيره حتى أصبح لا يفكر في شيءٍ سواه ، فيعبر عن هذا الخوف بقوله :-[٣٨]

وأَصْبَحَ لي في الموْتِ شُغْلٌ عن الصبا ... وَفي المَوْتِ شُغْلٌ شاغِلٌ لذَوي العَقْلِ

---

[٣٥] المصدر السابق – ص٣٢١

[٣٦] المصدر السابق هامش – ص١٦٣

[٣٧] المصدر السابق – ص٣٨٣

[٣٨] المصدر السابق – ص٢٩٣

إذا أنـــا لَمْ أُشْغَلْ بنَفْسي فَنَفْسُ مَـــنْ مِنَ النّاسِ أَرْجو أَنْ يكونَ بها شُغْلي

فهل بعد هذا الكلام من مستعتب ، فكيف لا يتعظ الناس ، وكيـــف لا يرهبـــون الموت وصوته يصم الآذان ؟ فشاعرنا يصدر في شعره عن خبرة عميقة في الحياة ، خبر مـن خلالها الحياة وسبر غورها ، وليتفنّن ما شاء له التفنُّن في تصوير أهوال الموت،وتفاهة الحياة . وليقض على آخر خيط من خيوط الآمال في النفوس التي ينتظرها الموت ، ليهدم لذاتهـــا وينقلها إلى عالم أخر،لا ينفع فيه إلا ما يدخره في الحياة الدنيا لآخرته،فالفقير هو الـــذي لا يجد شيئا من الحسنات التي هي العملة النادرة يوم الحساب،فيقول :-[٣٩]

لِلْمَوْتِ داعٍ مُزْعِجٌ وَكأنَّـــــهُ قَدْ قامَ بَيْنَ يَدَيْكَ ثُمَّ دَعاكـــا
وَلِيَوْمِ فَقْرِكَ عِدَّةٌ ضَيَّعْتَهـــــا والمرْءُ أَفْقَرُ ما يَكونُ هُناكـــا
لتُجَهِّزَنَّ جِهازَ مُنْقَطِعِ القُـــــوى وَلَتُشْحَطَنَّ عَنِ القَريبِ نَواكا

وهذه النظرة للموت ، وهذا الإلحاح على ذكر تجاربه ليست جديده على العصـر العباسي ، فجذورها ممتدة إلى العصر الإسلامي ، بل نستطيع القول إن بوادر هذه النظـرة كانت في العصر الجاهلي ، واستطاع الشعر العربي أن يعرض تلك التجربـــة ، وذلـــك في نتاج شاعر أشبهت ظروفه ظروف أبي العتاهية ، وهو عدي بن زيد الذي عاش في العصـــر الجاهلي .

(فالفكرة حية في أذهان الناس ، والقران والسنة النبوية جعلا الموت يذكّر البشـــر أن إقامتهم في هذه الحياة الدنيا محدودة،ويحثهم على العمل الصالح استعداداً للآخرة .[٤٠]

ويرى عز الدين إسماعيل أنه من الشعور بالحياة يأتي الشعور بالموت ، والإحســـاس العميق بتجاربه ولعل الشعراء هم أحرى من يعيش تجربة الموت ويعبر عنها ويجسدها.[٤١]

---

[٣٩] المصدر السابق – ص ٢٦٣

[٤٠] محمد الزير – الحياة والموت في الشعر الأموي – ٢٧٣

[٤١] عزالدين إسماعيل – التفسير النفسي للأدب – ص ٨٩

ونظرة أبي العتاهية للموت ورهبته منه جعلته دائم التنفير من دنياه،ومَرَدُّ نقمته عليها هو الموت الذي يأتي على كل ما يبنيه المرء في دنياه ويجعله هباءً منثوراً ، إلا العمل الصالح فهو ذخر وعدة له يوم الحساب . فصورة الرهبة من الموت والخوف منه ، تتعمق لدى شاعرنا أبي العتاهية ، فجاءت أشعاره وصوره كلها مشحونةً بالإحساس بتجربة الموت ، ومعبرة عنها أصدق تعبير ، حيث يقول:-[٤٢]

ما أَشَدَّ المَوْتَ جِدّاً وَلَـٰكِنْ ... ما وَراءَ المَوْتِ حَقّاً أَشَـدُّ
كُلُّ حَيٍّ ضاقَتِ الأَرْضُ عَنْـهُ ... سَوْفَ يَكْفيهِ مِنَ الأَرْضِ لَـحْدُ
كُلُّ مَنْ ماتَ سَها النّاسُ عَنْهُ ... لَيْسَ بَيْنَ الحَيِّ والمَـوْتِ وُدُّ

ويعبّر أبو العتاهية عن مدى شعوره بالغربه بعد الموت ، وهذا ما يزيد من خوفه وفزعه من الموت ، فالذي يموت يُنسى ، وما بعد الموت أدهى وأمر ، فما على الإنسان إلا أن يتعظ ، ويتنبّه من غفلته قبل ان يداهمه الموت الذي لا مفر منه مهما عاش الإنسان على هذه الحياة ، فيقول :-[٤٣]

خانَكَ الطَّرْفُ الطَمُـوحُ ... أَيُّها القَلْبُ الجَمُـوحُ
لدواعي الخَيْرِ والشَـ ... ـرِّ دُنُـوٌّ وَنُـزوحُ
سَيَصيرُ المَرْءُ يَوْمـاً ... جَسَـداً ما فيـهِ روحُ
بَـيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَـيٍّ ... عَـلَمُ المَوْتِ يَلُـوحُ
نُحْ عَلى نَفْسِكَ يا مِسـ ... ـكِينُ إِنْ كُنْـتَ تَنـوحُ
لَتَـمُوتَنَّ وَإِنْ عُمِّـ ... ـرْتَ مـا عُمِّرَ نُـوحُ

ب- شمول الموت

يستخدم أبو العتاهية الموت شامتا متشفيا حينا ، وواعظا مخوفا حينا آخر،فهو لا ينفك يذكّر الناس بالموت ، وما يلحق به من خسران للإنسان البعيد عن أوامر الله عزوجل ، غير أن قلق الموت يلاحقه نفسيا ، ويسلطه على من يريد وعظهم ، فهو يشفي

---

[٤٢] أبو العتاهية أشعاره وأخباره – ص ١٢٤-١٢٥

[٤٣] المصدر السابق – ص٩٧-٩٩

غليله من تلك الطبقة العليا في المجتمع التي تتباهى بحسبها ونسبها وأمجادها ، وهو المدخل الوحيد لمثل هؤلاء ، فالموت هو المنقذ الوحيد له ولأمثاله من تلك الأوضاع التي يظهر فيها التفاوت واضحا .

(والموت عنده هو المهدي المنتظر الذي يأتي فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، أو طوفان نوح الذي يغسل الأرض من شرورها وأدرانها ، وهو السبيل الوحيد للقضاء على امتيازات الطبقات العليا ، وتحقيق المساواة التامة ، وتكافؤ الفرص بينها وبين الطبقات المهضومة التي برز من بين صفوفها)[٤٤] فنجده يصور الموت وكأنه رأي العين إذ يقول :-[٤٥]

كَأَنَّكَ قَدْ جُهِّزْتَ تُدْعى إلى البِلى ... لِنَعْشِكَ في أَيْدي الرِّجالِ أَطيطُ
وَصِرْتَ إلى دارٍ هيَ الدّارُ لا التي ... أَقَمْتَ بها حَيّاً وَأَنْتَ نَشيطُ
مَحَلٌّ بهِ الأَقْوامُ وَيْحَكَ تَسْتَوي ... فَصيدٌ كِرامٌ سادَةٌ ونَبيطُ

فالموت مشترك بين الناس ، والسبيل الذي يسلكونه واحد ، فلا فرق بين من جمع الكثير ، وبين من ينام على الحصير ، فهو يقول :-[٤٦]

المَوْتُ بَيْنَ الخَلْقِ مُشْتَرَكٌ ... لا سُوقَةٌ يبقى ولا مَلِكُ
ما ضَرَّ أَصْحابَ القَليلِ وَما ... أَغْنى عَنِ الأَمْلاكِ ما مَلَكوا
لَمْ يَخْتَلِفْ في الموْتِ مَسْلَكُهُمْ ... لابَلْ سَبيلا واحِداً سَلَكوا

(فإذا تحدث عن المساواة في الموت ، فإنما يدفعه إلى ذلك دافعان ، دافع الخوف منه كما مرّ في الحديث عن رهبة الموت ، ودافع المساواة بين الناس ، وفي تعويض النقص القديم الذي كان يحسه ويستولي عليه دائما)[٤٧](فالموت كما يراه يحقق العدالة الاجتماعية بين الطبقات والمساواة التامة وتكافؤ الفرص ، فهو في نظره عام في البشر ، يستوي فيه

---

[٤٤] محمد الكفراوي- أسطورة الزهد – ص ٦٣-٦٤

[٤٥] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ٢٠٦

[٤٦] المصدر السابق – ص٢٦٧-٢٦٨

[٤٧] عبد الستار متولي –أدب الزهد في العصر العباسي – ص ٩٧

الحر والمولى ، والغني والفقير وسيان فيه ذو الأصل الكريم وذو الأصل الوضيع ، وهـذا الأمر فيه حل لعقدة النقص التي يعاني منها بالنسبة لنسبه ومهنة والده)[٤٨]

فالشمولية في الموت تبعث في نفسه الارتياح ، لان الموت سنة الحياة ، ويدفعه هـذا الشعور إلى اكتساب الفضائل والدعوة إلى القناعة على أمل المساواة بمن أعجزه اللحـاق بهم ثروة أو همة أو جاها فهو يقول :-[٤٩]

هُو الموتُ فاصْنَع كُلَّمـا أنْـتَ صـانِعُ ... وأنْتَ لكـأْسِ المَـوْتِ لابـدَّ جـارِعُ

ألا أيُّـها المَـرْءُ المخُـادِعُ نفسَـهُ ... رُوَيْـداً أتَـدْري مَـنْ أراكَ تخـادِعُ

ويـا جـامعَ الدُّنيـا لغـيرِ بلاغـةٍ ... سَتَتْرُكُها فَـانْظُر لمـنْ أنـتَ جـامِعُ

فكَمْ قَدْ رأينا الجـامعينَ قـدْ أصبَحَـتْ ... لهُم بـينَ أطبـاقِ الـتُّراب مَضـاجِعُ

لو أنَّ ذوي الأبْصـارِ يَرْعَـوْنَ كُـلَّ مـا ... يَـرَوْنَ لمَـا جَفَّـتْ لعـينٍ مَدامِـعُ

طَغى النّـاسُ مِـنْ بَعـدِ النَّـبيِّ مُحَمَّـدٍ ... فَقَدْ دَرَسَـتْ بَعْـدَ النَّـبي الشـرائِعُ

وتصريـفُ هـذا الخَلْـقِ للهِ وَحْـدَه ... وكُـلٌّ إليـه لامحالَـة راجـعُ

ولله في الدُّنيـا أعـاجيبُ جَمَّـةٌ ... تَـدُلُّ علـى تَدْبـيره وبـدائِعُ

ولله أسـرارُ الأمـورِ وإنْ جَـرَتْ ... بِهـا ظـاهراً بـينَ العبـادِ المنـافعُ

فالوعظ عنده تذكير دائم بالموت ، لأنه مصير كل حي ، ومـن ثم يجـب علـى الإنسان أن يتأمل مصيره ، ويدرك أنه ماض إلى ما مضى إليـه أسـلافه ، ثم يؤكـد أن أصحاب الجاه والسلطان يستوون مع عامة الناس في الموت ، ولذلك كثر حديثه لهـؤلاء الحكام ، للنيل منهم والتقليل من شانهم ، فهو يقول :-[٥٠]

أيْنَ القرونُ بنو القـرونِ ... وذوو المدائنِ والحُصـونِ

وذوو التَجَبُّرِ في المجـا ... لسِ والتَكَبُّرِ في العيـونِ

كانوا الملوكَ فأيْهَـمُ ... لم يَفْنِهِ ريبُ المنـونِ

---

[٤٨] المصدر السابق - ص ٩٧

[٤٩] أبو العتاهية - أشعاره وأخباره - ص ٢١٦

[٥٠] المصدر السابق - ص ٣٦٤

صارُوا حَديثاً بَعْدَهُـــــمْ إنَّ الحَديثَ لَذو شُجــونِ

فشمولية الموت ملاذ يأوي إليه أبو العتاهية ليريح نفسه من المعاناة والخوف،فيقول *[٥١]

المَوْتُ لا والداً يُبْقي وَلا وَلَـــــدا وَلا صَغيراً وَلا شَيْخاً وَلا أَحَـــدا

لِلْمَوْتِ فينـــا سِهـــامٌ غَيْرُ مُخْطِئَـــةٍ مَنْ فاتَهُ اليَوْمَ سَهْـمٌ لم يَفُتْهُ غَـدا

ج. غدر الموت

لقد أفاض أبو العتاهية في حديثه عن شمولية الموت ومساواته ، وأن الناس ســـواء فنجده قد أنكر عليه غدره فالموت يباغت الإنسان ،كما يقول :-[٥٢]

أيا عَجَباً لِلدَّهْرِ لا بَلْ لِرَيْبِـــهِ تَخَرَّمَ رَيْبُ الدَّهْرِ كُلَّ إخاءِ

وَمَزَّقَ رَيْبُ الدَّهْرِ كُلَّ جَماعَةٍ وَكَدَّرَ رَيْبُ الدَّهْرِ كُلَّ صَفاءِ

وطول الأمل يلهي الإنسان ، ويجعله يبتعد عن التفكير في المصـــير ، وفي المـــوت الذي هو في انتظاره ، والشاعر يتعجب من الموت وغدره لا يرعى ذمه ولا يخفر عـــهدا ، فيقول :- [٥٣]

فَللّهِ دارٌ مـــا أَحَـــثَّ رَحيلَهـــا وَما أَعْرَضَ الآمالَ فيها وَأَطْـــوَلا

وَكَمْ مِنْ ذَليلٍ عَزَّ مِنْ بَعْدِ ذِلَّـــــةٍ وَكَمْ مِنْ رَفيعٍ كانَ قَدْ صارَ أَسْفلا

وَكَمْ مِنْ عَظيمِ الشَّأْنِ في قَعْرِ حُفْرَةٍ تَلَحَّفَ فيها بالثَّرى وَتَسَرْبَـــــلا

وفي نفس أبي العتاهية من دهره ندب جروح قديمة لا يزال يتحسس مواضعـــها وآثارها كلَّما جَدّد له الدهر عهود الغدر ، ولكنه قد بلاه فأدرك كنهه ووقف على حقيقته [٥٤]و يعبر عن ذلك الغدر بقوله :-[٥٥]

إني حَلَبْتُ الدَّهْـــرَ أَشْطُـــــرُهُ فَرَأَيْتُهُ لَمْ يَصْفُ لي حَلَبُـــهْ

فَتَوَقَّ دَهْرَكَ ما اسْتَطَعْـــتَ وَلا تَغْرُرْكَ فِضَّتُهُ وَلا ذَهَبُـــهْ

---

[٥٢] المصدر السابق – ص٣

[٥٣] المصدر السابق – ص٣٠٤-٣٠٥

[٥٤] عبد الستار متولي – أدب الزهد في العصر العباسي – ص ٩٨

[٥٥] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ٤٩

لقد إستطاع أبو العتاهية أن يتفهم الأمور عن طريق ذلك المخزون الثقافي ، والتجربة الغنية في شؤون الدنيا وبذلك توقف عند بعض المعاني التي ترتبط بالموت ، كالدهر وغدره ومباغتته للإنسان ، فالزمن غير معتوب عليه ، والحذر منه واجب ، والذي يركن إلى الزمن سيلقى منه كثيرا من المعاناة والتعب ، والتفكير في عتاب الزمن مضيعة للوقت ، وهذا واضح عند أبي العتاهية في قوله :-[٥٦]

لا تَعْتَبَنَّ عَلى الزَّمانِ فَما ... عِنْدَ الزَّمانِ لعاتِبٍ عُتْبى
وَلَئِنْ عَتِبْتَ عَلى الزَّمانِ لِما ... يَأْتي بِهِ فَلَقَلَّ ما تَرْضى

يوجز أبو العتاهية نظرته إلى الموت والدنيا موضحا دورة الحياة التي يمر بها الإنسان ، فالموت خاتمة الحياة التي يصفها بأنها خادعة كالسراب ، فحلاوتها ممزوجة بالتعب والعناء ، فيقول :-[٥٧]

أَ أَمِنْتَ المَوْتَ والمَوْتُ يَأْبى ... بكَ والأَيّامُ إلاّ انقِلابا
هَلْ تَرى الدُّنْيا بعَيْنَيْ بَصيرٍ ... إنّما الدُّنيا تُحاكي السَّرابا
إنَّما الدُّنْيا بَلاءٌ وَكَدٌّ ... واكتِئابٌ قَدْ يَسوقُ اكْتِئابا
أَبَتِ الدُّنْيا عَلى كُلِّ حَيٍّ ... آخِرَ الأَيّامِ إلا ذَهابا
أَيُّ عَيْشٍ دامَ فيها لحَيٍّ ... أَيُّ حَيٍّ ماتَ فيها فَآبا

د.سكرات الموت

لقد صور أبو العتاهية سكرات الموت وشدته ، مستفيدا من كل الصور التي رسمها القران الكريم في قوله تعالى:- ﴿ وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ في الصُّورِ ذلِكَ يَوْمُ الوَعيدِ ﴾[٥٨] وقوله تعالى :-﴿ وَلَوْ تَرى إِذِ الظالِمونَ في غَمَراتِ

---

[٥٦] المصدر السابق - ص١٠

[٥٧] المصدر السابق - ص١٣٩-٤١

[٥٨] سورة (ق)الآيتان ١٩-٢٠

الموتِ﴾ [٥٩] وقولَه تعالى:-﴿ فَلَوْلا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقوم﴾ [٦٠] وقولُه تعالى :- ﴿كَلاَّ إِذا بَلَغَتِ التَّراقِي﴾ [٦١]

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت بين يديه ركوة أو عليه ، فيها ماءٌ ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول :لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات ، ثم نصب يديه فجعل يقول :- (في الرفيق الأعلى) حتى قبض ومالت يده)).[٦٢]

هذه هي سكرات الموت كما صورها القران الكريم ، وكما عانى منها رسول الله صلى الله عيه وسلم وهو أحب الخلق إلى الله ، فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي ، وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي،فلن يفلت أحد من سكرات الموت التي طالما خوف منها أبو العتاهية في وعظياته،وحديثه عن الموت،فيقول:-[٦٣]

أَيا لِلمَنايا وَيْحَها ما أَجَدَّها ... كَأَنَّكَ يَوْماً قَدْ تَوَرَّدْتَ وِرْدَها

وَيا لِلمَنايا مالَها مِنْ إِقالَةٍ ... إِذا بَلَغَتْ مِنْ مُدَّةِ الحَيِّ حَدَّها

أَلايا أَخانا إِنَّ لِلْمَوْتِ طَلْعَةً ... وَإِنَّكَ مُذْ صُوِّرْتَ تَقْصِدُ قَصْدَها

وَلِلمَرْءِ عِنْدَ المَوْتِ كُرْبَ وَغُصَّةٌ ... إِذا مَرَّتِ السّاعاتُ قَرَّبْنَ بُعْدَها

فقد نبهت الشجون المرتبطة بالموت سيلا من المشاعر الجياشة التي صبها أبو العتاهية في قوالب شعرية مثيرة تبعث الحزن والخوف في النفس من مشهد الاحتضار وسكرات الموت ، فهو يبعث اشعاره نغما حزينا كي يتسلل من قلبه إلى قلوب العباد فيقول :-[٦٤]

وَلَقَدْ رَأَيْتُ المَوْتَ يَفْرُسُ تارَةً ... جُثَثَ المُلوكِ وتارَةً يَتَخَبَّطُ

يا آلفَ الخِلّانِ مُعْتَقِداً لَهُمْ ... سَتَشُطُّ عَنْهُم بالمَماتِ وَتَشْحَطُ

---

[٥٩] سورة الأنعام – الآية ٩٣

[٦٠] سورة الواقعة – الآية ٨٣

[٦١] سورة القيامة - الآية ٢٦

[٦٢] القرطبي – التذكرة – ص ١٧

[٦٣] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ١٣٠

[٦٤] المصدر السابق – ص٢٠٥

وَكَأَنَّني بِكَ بَيْنَهُم واهِي القُوى نِضْوًا تَقَنَّصُ بَيْتَهُم وَتَبَسَّطُ

الناس في غفلة والموت حولهم يقظان كما يقول أبو العتاهية بعد أن يرسم لهم صورا توضح أحوالهم في سكرات الموت أو في القبور :-[٦٥]

لَأَعْجَبَنَّ وَأَنّى يَنْقَضي عَجَبي النّاسُ في غَفْلَةٍ وَالمَوْتُ في سَنَنِ

فالموت ليس كمثله شئ إنه مرض الأمراض الذي لا شفاء منه أبدا ولا علاج ، وهو نهاية لحياةٍ لا يمكن استعادتها أبدا .

ويرسم أبو العتاهية لسكرات الموت صورا مفزعة ومروعة وموحشة ،(وأكثر ما يقف عنده أبو العتاهية منظران منظر سكرات الموت ، ومنظر القبور ، وهو يتخير لهما دائما الأوضاع التي تثير في النفس الأنقباض والوحشة والرهبه والفزع والتشاؤم).[٦٦]

وليس من شك في أنه كان يقصد إلى هذا كله أن ينبه الغافلين من غفلتهم وكأنه كان يرى في شعره البوق الذي ينفخ فيه فيهز مضاجع الغافلين ليوقظهم من سباتهم الذي اطمأنوا إليه ، وليبغّض إليهم الحياة،ويدفعهم دفعا إلى التفكير في الآخرة ، وبما ينتظرهم فيها من ثوابٍ وعقاب .

(ومن هنا راح أبو العتاهية إلى ختام حياته الطويلة الحافلة ، ولا همّ له أعظم من أن يقرع آذان الناس ويهز ضمائرهم بأبياته الروائع في الزهد ، وما يتخللها من تلكم الصور الفاجعة لأفاعيل الفناء بدار الفناء،وهو دائم التنبيه على الخطر الذي يحيط بالإنسان على وجه الأرض).[٦٧]

((وقد أحضره الرشيد يوما وقال له : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا ، فقال أبو العتاهية :--

عِشْ ما بَدا لَكَ سالِمًا في ظِلِّ شاهِقَةِ القُصورِ

فقال الرشيد : أحسنت ، ثم ماذا ؟ فقال أبو العتاهية :-

يُغْدى عَلَيْكَ بما اشْتَهَيْتَ لَدى الرّاحِ وَفي البُكورِ

---

[٦٥] المصدر السابق -- ص٣٩٨

[٦٦] يوسف خليف -- حياة الشعر في الكوفة -- ص ٥٣٤

[٦٧] يوسف خليف - في الشعر العباسي - ص ٧٧

فقال الرشيد :- حسنٌ ، ثم ماذا ؟ فاندفع أبو العتاهية يقول :-

فَإذا النُّفوسُ تَقَعْقَعَتْ ... في ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدورِ

فَهُناكَ تَعْلَمُ مُوقِناً ... ما كُنْتَ إلاّ في غُرورِ

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى البرمكي:- بعث إليك أمير المؤمنين لتسرّه، فحزنته فقال الرشيد : دعه ، فإنه رآنا في عمى،فكره أن يزيدنا منه)) [٦٨]

هـ- منظر القبور

يتخذ أبو العتاهية من القبور وساكنيها عظة و عبرة ، ويجعل ذلك وسيلة للحضّ على الزهد في الحياة الدنيا ويذكر ما فيه هؤلاء من ترف ونعيم وهم على قيد الحياة فيقول:-[٦٩]

سَلامٌ عَلى أَهْلِ القُبورِ الدَّوارسِ ... كَأَنَّهُمُ لَمْ يجلسوا فى المجالسِ

وَلَمْ يَبْلُغوا مِنْ بارِدِ الماءِ لَذَّةً ... وَلَمْ يَطْعَموا ما بَيْنَ رَطْبٍ وَيابسِ

وَلَمْ يَكُ مِنْهُمْ في الحياةِ مُنافسٌ ... طَويلُ المُنى فيها كَثيرُ الوَساوسِ

لَقَدْ صِرْتُم في غايةِ المَوْتِ والبِلى ... وَأَنْتُمُ بِها ما بَيْنَ راجٍ وآيسِ

فَلَوْ عَلِمَ العِلْمَ المُنافِسُ في الذي ... تَرَكْتُم مِنَ الدُّنْيا لَهُ لَمْ يُنافِسِ

فهو يريد القول أن الموت هو هادم اللذات كلها في الحياة الدنيا ، وهو الذي يحد كثيراً من طموحات البشر وتنافسهم فيها ، ثم راح يدعو إلى التأمل في حياة البرزخ التي تسبق قيام الساعة والحساب ، فيقول:-[٧٠]

إنّي سَأَلْتُ القَبْرَ ما فَعَلَتْ ... بَعْدي وُجوهٌ فيكَ مُنْعَفِرَهْ

فَأَجابَني صَيَّرْتُ ريحَهُمُ ... تُؤْذيكَ بَعْدَ روائحٍ عَطِرَهْ

وَأَكَلْتُ أَجْساداً مُنَعَّمَةً ... كانَ النَّعيمُ يَهُزُّها نَضِرَهْ

لَمْ أُبْقِ غَيْرَ جَماجِمٍ عَرِيَتْ ... بِنَ تَلوحُ وَأَعْظُمٍ نَخِرَهْ

---

[٦٨] العاملي – الكشكول- ج١ – ص ١٢- ، وانظر أبو العتاهية أشعاره وأخباره هامش ص ١٣٦

[٦٩] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ١٨٩

[٧٠] المصدر السابق – ص ١٧٦-١٧٧

والمتأمل أشعاره التي وصف فيها أهوال القبر وعذابه ، يجد أنه تخير لها الأوضاع الكئيبة المثيرة ، ويتخذ منها مجالا للعظة والاعتبار والتخويف ، ونراه يعقد فصلا من المقارنه بين حال أصحاب القبور في الدنيا وحالهم بعد الموت ، فهو تذكير دائم للإنسان بمصيره المحتوم الذي هو صائر إليه لا محاله،فيقول :-[٧١]

أَزورُ قُبورَ المُتْرَفينَ فَلا أَرى ... بَهاءً وكانوا قَبْلُ أَهْلَ بَهاءِ

وَكُلٌّ رَماهُ واصِلٌ بصَريمَةٍ ... وَكُلُّ رَماهُ مُلْطِفٌ بجَفاءِ

طَلَبْتُ فَما أَلْفَيْتُ لِلْمَوْتِ حِيْلَةً ... وَيَعْيى بداءِ المَوْتِ كُلُّ دواءِ

أَمامَكَ يا نَدْمانُ دارَ سَعادَةٍ ... يَدومُ النَّما فيها ودارُ شَقاءِ

خُلِقْتَ لإحْدى الغايَتَيْنِ فَلا تَنَمْ ... وَكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ مِنْهُما وَرَجاءِ

((فالقبر يشغل جزءا كبيرا من صور الموت ، ويبدو أن الفزع من رقدة القبر والخوف من تصور الموت داخل القبر هو العامل النفسي الذي يجعله يؤكد اختزان الشاعر لتصورات مخيفة عند الموت ، وقد تأثر الشعراء في رؤيتهم للموت بصورة القبر ، فأصبح أقرب الصور إلى خيالهم للتعبير عن عالمهم النفسي)) .[٧٢]

ونجد الصور التي رسمها أبو العتاهية لمنظر القبور ، تعبر عن مدى القتامة والظلام والسواد فيها وكذلك تعبر عن الإحساس بالقهر والإحباط وتصوير الخوف والفزع ، والموزانة بين حال الإنسان في الدنيا وفي الممات قضية معلقة،كما هو المصير الذي توقف عنده أبو العتاهية ، ((فالموت هو الخطوة الأولى التي يسلكها في طريق الزهد ، وهى خطوة التطهير ، تطهير النفس من حب الدنيا لتخلو لحب الآخرة كما يرى ذلك يوسف خليف)) .[٧٣]

والحق أنه في زهده كان واعظا لا يملّ ، في وعظه نغمة شاعرية شجية ، وأي شئ أدل على شاعر يته من أن ينقلنا إلى جو المقابر ، لنرى بين يدي البلى والفناء نهاية كلّ حيّ

---

[٧١] المصدر السابق – ص٣-٤

[٧٢] طلعت أبو العزم – الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني ص ٢١

[٧٣] يوسف خليف – في الشعر العباسي – ص ٧٧

. فزيارة القبور فيها موعظة بليغة للإنسان كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:- [٧٤]

« زوروا القبور تذكروا بها الآخرة ، وغسلوا الموتى ، فإن معالجة الأجساد الخاوية موعظة بليغة) والموت أبلغ شاعر وواعظ ، فلنستمع إليه بصوته الشجي الذي تصيخ له الآذان ، لفترة قصيرة من الوقت ، ثم تعود لتنفر منه فصوّر ذلك بقوله :-[٧٥]

لِدُوا لِلْمَوْتِ وابْنوا للخَرابِ ... فكُلّكُمُ يَصيرُ إلى ذَهابِ
لِمِثْلِ نَبْني ونَحْنُ إلى تُرابٍ ... نَصيرُ كما خُلِقْنا منْ تُرابِ
أَلا يا موتُ لمْ أرَ مِنْكَ بُدّاً ... أَبَيْتَ فلا تَحيفُ ولا تُحابي

إنها مواعظ يقف الإنسان أمامها خاشعا ، فإذا رددها في نفسه هزّه لحنها ، وسحره بيانها وآنستهُ نفسه بنبراتها وسبحات الخيال بين عالم الموتى ، فهو لا يريد تعطيل الحياة كما يتهمه البعض ويهاجمونه بشراسة ويصفون أشعاره بأنها تتنافى مع نظرة الدين إلى الحياة بل يقصد من وراء هذه الأشعار أن يقول للناس ، إن كل إنسان مصيره الموت ، والناس غافلون عن هذا المصير ، فلا بد من تصور للقبر وعذابه ، يروى الماوردي في أدب الدنيا والدين : ((قيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظات ؟ قال النظر إلى محلّة الأموات))[٧٦]، فكأني بأبي العتاهية قد أخذ الفكرة وأنشد يقول :-[٧٧]

وَعَظَتْكَ أَجْداثٌ خفُتْ ... فيهِنَّ أَجْسادٌ أُسِبْتْ
وَتكَلَّمَتْ لَكَ بالبِلى ... مِنْهُنَّ أَلسِنةٌ صُمُتْ .
وأَرتْكَ قَبْرَكَ في القُبو ... رِ وَأَنْتَ حيٌّ لَمْ تَمُتْ

والقبور لا تفرق بين صغير وكبير ، فهى تشتمل على الأطفال والرجال والنساء ، وهي عبرة للإنسان ، طويل الأمل الذي يظن أن الموت سيمهله حتى يكبر ، فيصور أبو العتاهية ذلك بقوله :- [٧٨]

---

[٧٤] الماوردي – أدب الدنيا والدين – ص ١٤١
[٧٥] أبو العتاهية – أخباره وأشعاره – ص ٣٣
[٧٦] الماوردي – أدب الدنيا والدين – ص ١٤١
[٧٧] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ٧٨ – ٧٩
[٧٨] المصدر السابق – ص٣٥

ما للْمقابـــــر لا تُجيـــ ـــبُ إذا دَعاهُنَّ الكَئيـــــبُ
حُفَرٌ مُسَـتَّرة عليـــ ـــهِنَّ الجنادِلُ والكَثيـــــبُ
فيهِنَّ ولْـدانٌ وأطْـــ ـــفالٌ وشُبّـــانٌ وَشيـــبُ

فالقبور بظلمتها ووحشتها تنذر بالخطر الذي يتهدد المرء كل يوم ، فكلٌّ له أجل لن يتعداه،وهي خير شاهد على ذلك ، فهي تضم في احشائها كثيرا من البشر منذ بدءِ الخليقه وهذا مدعاةٌ للعبرة والاتعاظ .

ثانياً : مصير الدنيا

سلك أبو العتاهية في زهده طريق الوعظ ، فهو يطيل الحديث عن الحياة والمـــوت والفناء ومصير الإنسان ، وكان يذيع حكما وأمثالا كثيرة ، تمثل نظراته في الحياة والناس ، ومن أسس الموعظة عنده تصوير الدنيا ووضعها ، فهي غدّارة خدّاعة لا تدوم على حـال ، لها شأن عجيب ، تعطى لصحابها ، ثم تجمح به ، فيلقى مصرعه قبل أن يبلغ عُلـوَّ المنزلـة وبُعْدَ المرتبة .

فالناس يلهون عن هذه الحقائق القاسية ويخوضون غمار العيـــش والمنكـــرات ، ويسرفون في طلب المال والحرص عليه ، ذاهلين عن بُطل ما يفعلون كأن القبر ليس خاتمـة الحياة في نظرهم ، وكأن ليس وراء القبر من حياة ، فليرجع الناس إلى نفوسهم ، وليبـدّدوا منها الأوهام و المطامع والرغبات الباطلة ، وليسلكوا سبيل الخير كما جلّى معالمها الدين ، فالآخرة وحدها جديرةٌ بالاعتبار وخير ما يتزود به المرء من أجلها الزهد والتقوى والقناعة ، لقد امتاز ابو العتاهية عمن سبقه من شعراء الزهد ، بأنه أكثرَ وأطالَ ،تحدث كثيرا عـــن الزهد ودعا إليه مبرهنا محاججًا ، محاولا الإقناع في هدوء وصدق لهجة وإلحاح ، والدنيا في نظره دار الفجائع والهموم،إذ يقول :-[٧٩]

فَكَّرْتُ في الدّنيا وَجدّتِـها فإذا جَميعُ جَديدِها يَبْلـى
وإذا جَميعُ أُمورِها عَقَـبٌ بَيْنَ البريّةِ قَلّما تَبْقـــى
دارُ الفجائعِ والهُمومِ وَدارُ البَثِّ والأَحْزانِ والشَكْوى

---

[٧٩] أبو العتاهية أشعاره وأخباره – ص ٩

بَيْنا الفَتى فيها بمَنْزِلَـــــةٍ إذْ صَارَ تَحْتَ تُرابِها مُلْقَـــى
تَفقو مساويها محاسِنَهـــــا لا شَيءَ بَيْنَ النَّعْيِ والبُشْرى

فالدنيا كما يراها أبو العتاهية بنظرته الثاقبة مصيرها الزوال ، وهي مجمـــع الهمـــوم والأحزان ، لذتها قصيرة وحزنها طويل ، لكن البشر يحرصون عليها كلّ الحـــرص رُغـــم تقلبها ، وكثرة منغصاتها ، فيصور ذلك قائلا:- [٨٠]

نَعَتِ الدُّنيا إلينا نَفْسَهـــــا وأَرَتْنا عِبَراً لم نَنْســـــهـــا
كُلَّما قامَتْ لِقومٍ دَوْلَـــــةٌ عَجَّلَ الحَيْنُ عَليها نَكْسَها
كَمْ لها مِنْ لُقَمٍ مَسْمومَـــةٍ يَسْتَبينُ القَلْبُ مِنْها لَمْسَها
يا لَها مَحْرُوسَةً لم يَسْتَطِـــعْ أَحَدٌ دونَ المَنايا حَرْسَهـــا

و حتى تتضح الصورة التي رسمها أبو العتاهية للدنيا وخرابها وما هي عليـــه مـــن صفات ، فلا بد من تفصيل هذه الصفات المنفرة التي وقف عندها أبو العتاهية وهي :-

أ. الغدر . ب . الفناء وسرعة الزوال . ج . التقلب والخداع .

أ. الغدر:-

الذي يمعن النظر في أشعار أبي العتاهية يجده يقف من الدنيا موقف الحاقد عليها ، فهو يصور الدنيا بأنها عروس تتزين وتتجمل لخاطبيها في ظاهرها ((ومن الخير أن يتنحـى الإنسان عن طلبها ليسلم من شرورها وأذاها فهي قريبة العرس من المـــأتم[٨١])) فـــهو يصور الدنيا بعروس في أكثر من مرة ، لان في نفسه جرحا قديما من حبه لعتبة التي أحبّها ، وقابلته بالصدود والهجران ، فقلبه متعلق بها،لكنها تجاهلت هذا الحب فمن الطبيعـي أن يعبر عن مأساته العاطفية التي عاشها ، ويصور الدنيا بالمرأة أحيانا حين تقتل أزواجـــها أو بالعروس التي تتزين ظاهريا لخاطبيها ليسقطوا في شباكها ،وهذا هو شأن الدنيا . فيقـــول أبو العتاهية :-[٨٢]

يا خَاطِبَ الدُّنْيا إلى نَفْسِها تَنَحَّ عَنْ خِطْبَتِها تَسْلَـــمِ

---

[٨٠] أبو العتاهية أشعاره وأخباره – ص١٩٥

[٨١] عبدالستار متولي – أدب الزهد في العصر العباسي –ص٩٠

[٨٢] أبو العتاهية أشعاره وأخباره – ص٦٤٤

إنَّ التي تَخْطُبُ غـــــدّارَةٌ قَريبةُ العُرْسِ من المَأتَـــمِ

ثم يواصل استغرابه ودهشته من الناس الذين يغترون بالدنيا رغم غدرها ، فيقول :-[٨٣]

وما زالَتِ الدُّنْيا تُكَدِّرُ صَفْوَهـــا وما زالتِ الدُّنْيا تُنَغِّصُ دَرَّهـــا
بُلينا منَ الدُّنيا عَلى حُبِّنا لَـــها بدارِ غُرورٍ وَيْحَها ما أَغَرَّهـــا
أَلَسْنا نَرى الأيّامَ تَجْري صُروفُهـا أَلَسْنا نَرى حَثَّ الليالي وَمَرَّهـــا
أَلَسْنا نرى غَدْرَ الزَّمانِ بأَهْلِـــهِ أَلَسْنا نَرى عَطْفَ المنايا وَكَرَّهـــا

فالدنيا إذن لا تستقر على حال ، فدوام الحال من المحال ، ولكن الناس قلما يتعظون بها فهم لايزالون يخطبون ودّها، ويركنون إليها، ولا يخطر على بالهم الموت ، حيث يقـول[٨٤]

مِسْكينُ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيا بآمالِـهِ كَمْ قَدْ تَلاعَبَتِ الدُّنيا بأَمثالِـهْ
يَنْسى المُلِحُّ علـى الدُّنيا مَنِيَّتَهُ بطولِ إِدْبارِهِ فيها وإِقْبالِـهْ
لَيْسَ الليالي وَلا الأيامُ تاركَـةً شَيْئاً يدومُ من الدُّنيا على حالِـهْ
يابُؤْسَ للجاهِلِ المغرورِ كَيْفَ أَبى أنْ يخطُرَ الموتُ في الدُّنيا على بالِهْ

فها هو يحث الناس على الرحيل والاستعداد له كما يحثهم على الـتزود في هـذه الرحلة بخير الزاد وهو التقوى والقناعة ، فرحلة الموت هي رحلة العالم الآخر حيث الخلـود الأبدي ، فالحياة تشتمل على المنغصات فالغدر والظلم من شيم أهلها ، وهي مرتع خصب للأحزان والهموم ، وكل هذه الأهوال تفوق الوصف كما يقول أبو العتاهية :-[٨٥]

---

[٨٣] المصدر السابق- ص١٨٤

[٨٤] المصدر السابق -- ص ٣٣٣

[٨٥] المصدر السابق -- ص ٢٤٢

فُنونُ رَداكِ يا دُنْيا ... لَعمْري فَوْقَ ما أَصِفُ
فأَنْتِ الدّارُ فيكِ الظُّلْـ ... ـمُ والعُدْوانُ والسَّرَفُ
وأنْتَ الدّارُ فيكِ الهَمُّ ... والأَحْزانُ والأَسَفُ
وأنْتِ الدّارُ فيكِ الغَدْ ... رُ والتَنغيصُ والكَلَفُ
وَفيكِ الحبْلُ مُضْطَرِبٌ ... وفيكِ البالُ مُنْكَسِفُ
وفيكِ لساكنيكِ الحيـ ... ـنُ والآفاتُ والتَلَفُ

ثم يواصل إلحاحه في الدعوة إلى اعتزال الدنيا ومجانبة شرورها فيقول :-[٨٦]

أُهْرُبْ بنَفْسك من دُنْيا مضلّلةٍ ... قَدْ أَهْلَكَتْ قَبْلَكَ الأَحْياءَ والمِلَلا
مرٌّ مذاقة عُقباها وأوَّلُها ... غَدّارَةٌ تُكْثِرُ الأَحْزانَ والعِلَلا
إنْ ذُقْتَ حلواءَها عادَتْ عواقبُها ... مرارَةً يجتويها كُلُّ مَنْ أَكَلا

و كعادته يسدي النصح ، ويعرض حقائق هذه الدنيا أمام الإنسان ، لكي يتأمل بنفسه ، فالإنسان قد يبني ما لا يسكنه ، وقد يجمع ما لا يأكله ، وقد يأمل ما لا يدركه ، فيعبر عن هذه الحقائق بوضوح قائلا :-[٨٧]

ألم تَرَ يا مغبونُ ما قَدْ غَبَنْتُه ... وأَنْتَ تَرى في ذلكِ أَنَّكَ تَتْجُرُ
خُدِعْتَ عن الساعاتِ حتى غَبَنْتَها ... وَغُرَّتْكَ أيامٌ قِصارٌ وأَشْهُرُ
فيا باني الدُّنْيا لغيرِكَ تَبْتَنى ... ويا عامرَ الدُّنْيا لغيرِكَ تَعْمُرُ

(فالدنيا غرارة غدارة ، خداعة مكارة ، نظنها مقيمة وهي سيارة ، والإنسان فيها كزرع عند خضرته تقصده الآفات ، وإن سلم من الآفات كلها فهو عند الكمال لا بد محصود) .[٨٨]كما يقول الجوزي ، فكل الزهاد والوعاظ مجمعون على أن الدنيا من شيمتها الغدر ، فلا بد من الحذر في التعامل معها ، فهي أسحر من هاروت وماروت هذان يفرقان بين المرء وزوجه ، وهذه تفرق بين العبد ربه

---

[٨٦] المصدر السابق – ص٣١٠-٣١١

[٨٧] المصدر السابق – ص١٦٩-١٧٠

[٨٨] الجوزي –المدهش – ص ١٧٢

فالمحب للدنيا مقبل عليها ، يجدها تستقبله بالنحيب والعويل ، ثم يؤكد أنها خائنة غدارة كالزوجة التي تقتل أزواجها واحدا واحدا ، فيصور ذلك قائلا :-[٨٩]

يا خاطِبَ الدُّنْيا إلى نَفْسِها ... إنَّ لها في كُلِّ يَوْمٍ عَويلُ
ما أَقْتَلَ الدُّنْيا لأَزْواجِها ... تَعُدُّهُمْ عَدّاً قتيلاً قتيلُ

فهو يصور الدنيا بإمرأة ، وقد كرر هذه الصورة،ولكن صورة المرأة التي قابل بها الدنيا هي امرأة خداعة ، تقتل من يخلص لها الحب ، ومن يضحي بكل ما يملك من أجل خطبتها ، دون أن تذرف على واحد منهم دمعة ، فهذا هو شأن الدنيا .

ب . الفناء وسرعة الزوال

من الصور التي رسمها أبو العتاهية للدنيا صورة الفناء وسرعة الزوال ، فقد استطاع الاستفادة من ثقافته الإسلامية في رسم هذه الصور ، فالكون لا بد وأن يفنى وقد أخبر الله عزوجل في سورة الزمر عن هذا الفناء بقوله تعالى :- « وما قَدَروا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ والسَّمواتُ مَطْوِياتٌ بيمينِهِ سُبْحانه وَتَعالى عَمّا يُشْركون »،[٩٠] وقد أورد الله عزوجل آيات كثيرة تصور حالة الفناء التي ستعم الكون ، وقد صور أبو العتاهية هذا الخراب الذي سيلحق بالدنيا بقوله :-[٩١]

غَداً تَخْرَبُ الدُّنْيا وَيَذْهَبُ أَهْلُها ... جَميعاً وتُطْوى أَرْضُها وسماؤُها

وهذا الفناء وسرعة الزوال يجعلان أبا العتاهية يسرف في تشاؤمه ، واليأس من الحياة ، فيقول :-[٩٢]

هَبِ الدُّنْيا تُساقُ إليْكَ عَفْواً ... أَليْسَ مصيرُ ذاكَ إلى الزَّوالِ
فما تَرْجو بشيءٍ لَيْسَ يَبْقى ... وَشيكاً ما تُغَيِّرُهُ الليالي

---

[٨٩] أبو العتاهية -أشعاره وأخباره - ص ٢٩١

[٩٠] سورة الزمل- الآية ٦٧

[٩١] أبو العتاهية - أشعاره وأخباره - ص ٤

[٩٢] أبو العتاهية - أشعاره وأخباره - ص ١٩٧

فالحياة في نظره كما يقول محمد الدش ((ما هي إلا آمال ضائعة وسراب خادع وخيال سريع التلاشي))[٩٣] ، ((وكأنه بتحقير الدنيا ، والتهوين من شأنها وسرعة زوال نعيمها ، يريد أن يلفت نظر المتغطرسين من ذوى الجاه إلى أن ما أوتوا من متاع الدنيا ليس بذي خطر عظيم ومع ذلك فهو سريع الزوال ، وشيك الفناء))[٩٤] كما في قوله :-[٩٥]

نَصيبُكَ مِمّا صِرْتَ تَجْمَعُ دائِبا ... ثُوَيْبانِ مِنْ قِبْطَيّةٍ وحَنُوطُ

كأنَّكَ قَدْ جُهِّزْتَ تُدْعى إلى البلى ... لِنَعْشِكَ في أيدي الرجال أطيطُ

وَصِرْتُ إلى دارٍ هي الدارُ لا التي ... أقمْتَ بها حَيّاً وأنْتَ نشيطُ

محلٌّ بهِ الأقوامُ ويْحَكَ تسْتَوي ... فَصيدٌ كرامٌ سادَةٌ ونَبيطُ

وله في وصف الدنيا وسرعة زوالها وأهوال الموت فيها قصيدة مثيرة كما يقول خليل شرف الدين : ((خرج فيها عن الرتابه في الوعظ إلى الخطابة والإثارة ، فأكثر من أدوات الاستفهام والتعجب وضرب الأمثلة الحية من تاريخ الشرق ، بقصد الإقناع والتأثير في سياق متسام من جزالة اللفظ ، وفخامة التعبير ، ولهجة الوعيد والتهديد والتكرار بقصد الإقناع والتأكيد)) [٩٦]، فيقول :-[٩٧]

المنايا تَجوسُ كُلَّ البلادِ ... والمنايا تُفْني جَميعَ العبادِ

لتَنالُنَّ مِنْ قُرونٍ أراها ... مِثْلَ ما نِلْنَ من ثمودٍ وعادِ

هُنَّ أفْنَيْنَ مَنْ مَضى من نزارٍ ... هُنَّ أفْنَيْنَ مَنْ مَضى من إيادِ

هل تَذكَّرْتَ مَنْ مَضى من بني الأَصْـ ... ـفرِ أهلِ القبابِ كالأطوادِ

أين مُمْرودُ وابنُه أين قارُو ... نَ وهامانُ ذو الأوتادِ

إنَّ في ذكرِنا لَهُم لاعتباراً ... ودليلاً على سبيلِ الرَّشادِ

وَردوا كُلَّهم حياضَ المنايا ... ثم لَمْ يَصْدروا عن الإيرادِ

أيُّها المزمعُ الرَّحيلَ عن الدُّنـ ... ـيا تَزَوَّدْ لذاكَ مِنْ خَيْرِ زادِ

---

[٩٣] محمد الدش – أبو العتاهية – ص ٢٣٦

[٩٤] محمد الكفراوي : الشعر العربي بين الجمود التطور ص ١٠١

[٩٥] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ٢٠٦

[٩٦] خليل شرف الدين – الموسوعة الأدبية الميسرة – ص ١٩٩

[٩٧] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ١١٢-١١٣

ونجد أبا العتاهية يضرب للذين غرقهم الحياة الدنيا أمثلة ينتزعها من صميم حياتهم، فيقول [٩٨]

ألا إنّما الدُّنْيا عليْكَ حصـــــارُ ... يَنالُكَ فيها ذلّـــــةٌ وصَـــغارُ
ومالَكَ في الدُّنْيا مِنَ الكَدِّ راحَـــةٌ ... ولا لَكَ فيها إنْ عَقَلْتَ قَـــــرارُ
وما عَيْشُها إلا ليالٍ قَـــلائلٌ ... سراعٌ وأيّـــامٌ تَمُرُّ قِصـــــارُ
ومازِلْتَ مَزْمُوما تُقادُ إلى البِلـــى ... يسوقُكَ ليلٌ مَـــرَّةً ونَـــهارُ
وعارِيَةٌ ما في يَدَيْكَ و إنّـــما ... تُعارُ لردِّ ما طَلَبْـــتَ يُـــعارُ

فالليل والنهار يتعاقبان على الدنيا ، يعلنان قرب الرحيل عن هذه الدنيا ، وسرعة زوالها والناس في هذه الحياة غرباء ، يغرهم طول الأمل ، فالدنيا كما يُصفها الجوزي ((إنما خلقت لتحوزها لا لتجوزها)) [٩٩]، فيقول أبو العتاهية :- [١٠٠]

أُفٌّ للدُّنْيا فليْسَت لي بـــدارِ ... إنّما الراحةُ في دارِ القَـــرارْ
إنّما الدُّنيا غُرورٌ كُلُّـــها ... مِثْلُ لَمْعِ الآلِ في الأرْضِ القَفارْ
يا عبادَ اللهِ كُلٌّ زائـــلٌ ... نَحْنُ نَصْبٌ للمقاديرِ الجَـــوارْ

فالحياة تعبٌ كلّها ، والسعادة الحقيقية ، والراحة الأبدية لن تكـــون إلا في دار الآخـــرة حيث الجنة التي أعدها الله لعباده الصالحين .

ج- التقلب والخداع

والناس مع كلّ هذا يقبلون على الدنيا والحرص رائدهم ، ينتفعون بمواردها ويعبّون من مفاتنها ، وهم متكالبون عليها ، يعبدون الدرهم والدينار ، فيقول :- [١٠١]

أيُّها المبْصِرُ الصَحيحُ السَميعُ ... أنْتَ في اللَّهوِ والهوى مَخْدوعُ
مالَنا نستَطيعُ أنْ نَجْمَعَ المـــا ... لَ وَرَدَّ الممـــاتِ لا نَستَطيعُ
حُبِّبَ الأكْلُ والشَرابُ إلينا ... وبناءُ القُصورِ والتجمـــيعُ
نَجْمَعُ الفانيَ القَليلَ من المـــا ... لِ ونَنْسى الذي إليهِ الرُّجوعُ

---

[٩٨] المصدر السابق – ص ١٣٦-١٣٧

[٩٩] الجوزي – المدهش – ص ٢٧٩

[١٠٠] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ١٥٥

[١٠١] المصدر السابق – ص ٢١٩-٢٢٠

فالدنيا غير مأمونة العواقب ، فهي تنصب شراكها للبشر ، وتستدرجهم حتى يقعوا في شراكها وبعد ذلك ينتبهون من غفلتهم ، ويفيضون ذمّا للدنيا ، فيقول :-[١٠٢]

لا تأْمنِ الدُّنْيا على غـــدْرَةٍ ... كَمْ غَدَرَتْ قَبْلُ بأمثالكـــا
كَمْ سترى في النّاس مِنْ هـــالكٍ ... وهالكٍ حتى ترى هالكـــا
فأنظُرْ سبيلاً سلكـــوهُ ولا ... تَحْسَبْ بأنْ لَسْتَ لَهُ سالِكـــا
أصْبَحَتِ الدُّنيا لنا عـــبرةً ... والحمدُ لله على ذلكـــا
أجْمَعَ الناسُ على ذَمّهـــا ... ولا أرى مِنْهُم لها تاركـــا

فالدنيا لا تستقر على حال ، ويتجلى أبو العتاهية حين يصور غدر الدنيا ، لأنه ذاق طعم الغدر في حياته،فيقول :-[١٠٣]

وَبَيْنَمَا المرْءُ تستقيمُ له الـــ ... ـــدُّنْيا على ما اشْتَهى إذ انْقَلَبتْ
ما كَذَّبتْني عينٌ رأيْتُ بها الـــ ... ـــأمْواتَ والـــعَيْنُ رُبَّما كَذَبَتْ
وأيُّ عَيْشٍ والعَيْشُ مُنْقَطِـــعٌ ... وأيُّ طَعْـــمٍ للَـــذّةٍ ذَهَبَتْ
وَيْحَ عُقولِ المُسْتَعصِمينَ بـــدارٍ ... الذُّلُّ في أيِّ مَنْـــشَبٍ نَشَبَتْ
مَنْ يُرْمُ الانتقاضَ مِنْها ومَـــنْ ... يُخْمِدُ نيرانَـــها إذا التَهَـــبَتْ
ومَنْ يُعَزّيه مِـــنْ مصائبِـــها ... وَمَنْ يُقيلُ الدُّنيا إذا نَكَبَـــتْ

فأين هي السعادة ما دامت لذة الحياة ذاهبة فانية؟ ونحن نعتصم بهذه الحياة رغم أنها مليئة بمواقف الذل والهوان، فلا بد من إخماد نيرانها بالخوف من نيران الآخرة التي وقودها الناس والحجارة، هكذا يمضي أبو العتاهية مصوّرا فداحة الغدر الذي توجهه لأبنائها، فيقول:-[١٠٤]

قَدْ رَأيْتُ القُرونَ قَبْلَ تَفانَـــتْ ... دَرَسَتْ وانْقَضَتْ سَريعا وبانَـــتْ
كَمْ أُناسٍ رأيْتَ أكْرَمَتِ الدُّنـــ ... ـــيا ببَعْـــضِ العُروضِ ثم أهانَتْ

---

[١٠٢] المصدر السابق -ص ٢٦٧

[١٠٣] المصدر السابق - ص ٥٤-٥٥

[١٠٤] المصدر السابق - ص ٧٥

كَمْ أُمورٍ قَدْ كُنْتَ شَدَدْتَ فيها ثُمَّ هونتَها عليكَ فهانَتْ
هي دُنْيا كحيَّةٍ تَنفُثُ السُّمَّ وان كانَتْ المَجَسَّةُ لانَتْ

فهي حية رقطاء لينة الملمس، لكنها خطيرة، وتعطب الإنسان وتورده المهالك، لكننا مساكين في هذه الدنيا كما يسمى أبو العتاهية من تخدعه الدنيا بالمسكين، فيقول:- (١٠٥)

مِسْكينُ من غَرَّتِ الدُّنْيا بآمالِهْ فكَمْ تلاعَبَتِ الدُّنْيا بأمْثالِهْ

فيقول أبو العتاهية مصورا الحياة بأنها رحلة وسرعان ما تنتهي، ويستمد الفكرة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:- (مالي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)) (١٠٦) فيأخذ أبو العتاهية فكرة الحديث ويعبر عنها بهذه الأبيات الشعرية قائلا:-

إنَّ داراً نَحْنُ فيها لَدارٌ لَيْسَ فيها لمقيمٍ قَرارُ
كَمْ وَكَمْ قَدْ حَلَّها منْ أُناسٍ ذَهَبَ اللَّيلُ بهِمْ والنَّهارُ
فَهُمُ الرَّكْبُ أصابوا مُناخا فاستراحو ساعةً ثم ساروا

فقد شدت الرحال على مطايا الموت سائرة نحو واديه الذي عنده النهاية ، فيقول :-(١٠٧)

إني لَفي مَنْزِلٍ ما زِلْتُ أَعْمُرُهُ على يَقيني بأَني عَنْهُ مَنْقولْ
و أَنَّ رَحْلي وإنْ أوثَقْتُهُ لَعلى مَطِيَّةٍ منْ مطايا الحَيْنِ مَحْمولُ
وادي الحياةِ مَحَلٌّ لا مُقامَ بهِ لنازليهِ وَوادي الموْتِ مَحْلولُ

هذه هي الحياة كما يراها أبو العتاهية، تعبٌ كلها، همومها نازلة بالمرء وأحزانها تفوق لحظات فرحها ، السعادة فيها سحابةُ صيفٍ سرعان ما تنقشع، محاسنها تمحوها المساوئ، وصوت النعي فيها أعلى من صوت البشارة، فيقول:-(١٠٩)

دارُ الفجائعِ والهمُومِ ودا رُ البَثِّ والأَحْزانِ والشَّكْوَى
بَيْنا الفتى فيها بمَنْزِلةٍ إذْ صارَ تَحْتَ تُرابها مُلْقى

---

(١٠٥) المصدر السابق – ص ٣٣٣
(١٠٦) النووي – رياض الصالحين – ٢٨٢ .
(١٠٧) أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ١٥٥
(١٠٩) المصدر السابق – ص ٩

تَقْفُو مساويها محاسِنَـــــها لا شيءَ بَيْنَ النَّعْيِ والبُشْـــرى
ولقلَّ يَوْمٌ ذَرَّ شـــارقُـــهُ إلا سَمِعْتَ بهالكٍ يُنعَـــــى

وكأن أبا العتاهية يكرر نداءه المحترق شوقا إليها والتياعا فيها، برسم لقارئه صـــورة ناطقة له وقد جاذبه حب الدنيا ، فكيف ينبض قلبه بالبهجة ، وشبح الموت ماثل أمامـــه ؟ فيقول[١١٠]

كأنَّ محاسنَ الدُّنْيا سرابٌ وأيُّ يدٍ تناوَلَتِ السَّرابا
وإنْ تَكُ منيَّةٌ عَجَّلَتْ بشيءٍ تُسَرُّبه فإنَّ لها ذَهابـــا

فهو يختار للدنيا صورة السراب الذي يخدع المرء وفي النهاية لا يجد ما يطفئ لهيب العطـش عنده.

ثالثا:- الإعداد للآخرة :-

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وجزء من أجزاء العقيدة، بـــل هـــو العنصر الهام الذي يلي الإيمان بالله مباشرة، لأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بـــالمصدر الأول الذي صد عنه الكون، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليـــه هـــذا الوجود، وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير، يمكن للإنسان أن يحدد هدفه ويرسم غايتـــه، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف، ويبلغ به الغاية .

((ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة، فإن حياته سوف تبقى لا هدف لها ولا غاية منها، وحينئذ يفقد الإنسان سموه الروحي، وفضائله العليا))[١١١]

تحدث القرآن الكريم كثيرا عن حياة أخرى بعد هذه الحياة سماها تارة الدار الآخـــرة، وأحيانا (اليوم الآخر) واقتصر أحيانا على لفظ (الآخرة) في مقابلـــة (الأولى والدنيـــا) ، (والحقيقة التي تتكرر دائما في كل موضع تذكر فيه الآخرة، ويلح القرآن عليها ويكـــرر التذكير بها هي أن الإنسان في الآخرة مسؤول عن أعماله في الحياة الأولى، حتى ليبـــدو ذلك هو المقصود الأساسي من ذكر الآخرة، وما فيها من ذكر مقدماتها ونتائجـــها)[١١٢].

---

[١١١] سيد سابق – العقائد الإسلامية -- ص ٢٥٩

[١١٢] حامد صادق -- المشاهد في القرآن الكريم – ص ١٥٣

قال تعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إلا ما سَعى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى ، ثُمَّ يُجْزيهُ الجَزاءَ الأَوْفى)[١١٣]

وهذه الحياة الآخرة تمتد من بعد موت الإنسان أي بعد سكون حياته الجسمية الظاهرة، وتتعاقب في مراحل ابتداءً من انفصال الروح الإنسانية عن الجسد حتى حدوث ما أسماه القرآن الكريم بيوم القيامة، يوم الجمع ويوم الدين، ويوم الفصل ويوم الخلود، والقرآن الكريم يلفت الأنظار إلى خلق الكون والإنسان، ويذكر بأن الإنسان لم يخلق عبثا من غير هدف عالٍ ولا غاية سامية، لأن ذلك يتنافى مع كماله، وحكمته العليا. قال تعالى:- (أَفَحَسِبْتُم أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثا، وَأَنَّكُمْ إلينا لا تُرْجَعون فتعالى اللهُ الملكُ الحقُّ لا إلهَ إلاّ هُوَ ربُّ العَرْشِ الكَريم)[١١٤] وقال تعالى:- (أَيَحْسَبُ الإنسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدى)[١١٥]

فلابدَّ من الإعداد للآخرة في هذه الحياة الدنيا لأنها مزرعة للآخرة، والإعداد لا يتم بالتواكل، كما هو شأن الكثير من الناس الذين يعللون النفس بالآمال الكاذبة ويمنونها بآمال كاذبة، ويمنيها بعفو الله عز وجل، وشفاعة رسول الله صلى ا لله عليه وسلم، فهو يخادع نفسه بأن الإيمان في القلب، والإيمان هو ما وقر في القلب وظهر على الحواس، فامتثال أوامر الله عز وجل والسير على الصراط المستقيم الذي رسمه لنا هذا الدين العظيم، والوقوف عند حدود الله عز وجل، والابتعاد عن نواهيه كلها مجتمعه تمثل جوازا يعبرُ فيه الإنسان إلى المصير الذي يأمله.

وأبو العتاهية يُقْسم قسماً عظيماً بأنَّ شرف الدُنيا منوطٌ بشرف الآخرة،فيقول :- [١١٦]

أَشْهَدُ باللهِ وآياتِهِ شَهادَةً باطِنَةً ظاهِرَهْ
ما شَرَفُ الدُّنيا بشيءٍ إذا لم يَتَّبِعْهُ شَرَفُ الآخِرَهْ

فالدنيا مزرعة الآخرة كما يصورها أبو العتاهية بقوله:-[١١٧]

---

[١١٣] سورة النجم - الآيات ٣٩-٤١

[١١٤] سورة المؤمنين - الآيتان ١١٥-١١٦

[١١٥] سورة القيامة - الآية - ٣٦

[١١٦] أبو العتاهية - أشعاره وأخباره - ص ١٧٦

[١١٧] المصدر السابق - ص ٤٢

يا نَفْسُ هَلاّ تعلمينَ فإنّنا في دارِ مُعْتَملٍ لِدارِ ثَوابِ

فهو يحض نفسه على الإعداد لدار الآخرة، لأنها دار الثواب في الجنة، وعلى المرء أن يتذكر في حياته أنه محاسب على كل عمل في هذه الدنيا، فعليه أن يتقي ا لله عز وجل، كما يقول أبو العتاهية:-[118]

فَخَفِ اللهَ وَاتْرُكِ الزَّهْوَ واذْكُرْ مَوْقِفَ الخاطِئينَ يَوْمَ الحسابِ
وَسَلِ اللهَ زُلْفَةً وَاعْتِصاماً وخلاصاً من مُؤْلماتِ العقابِ

أ. الجنة والنار.-

تعرّض أبو العتاهية لحملة شرسة من أعدائه الذين راحوا يدبّرون له التهم، وخاصة في مجال الجنة والنار، فقد كان بينه وبين منصور بن عمار الواعظ شيء ، وشنّع عليه، واتّهمه بالزندقة، قال:- يتهاون بالجنة، ويبتذل ذكرها في شعره بقوله:-[119]

إنّ المليكَ رآكِ أحْسَنَ خَلْقِهِ وَرأى جمالَكِ
فَحَذا بقُدْرَةِ نَفْسِهِ صُورَ الجنانِ عَلى مثالِكِ

فقد استغل منصور بن عمار هذه الأبيات في نسيج خيوط تهمة لهذا الشاعر مفادها:- أنه يصور الحور على مثال امرأة آدمية والله لا يحتاج إلى مثال، وأوقع له هذا على ألسنة العامة فلقي منهم بلاءً.[120]

ثم يتوقف منصور بن عمار عند أبيات أخرى ليدعّم قوله الذي ذهب إليه، ويعطي هذه التهمة حجةً قويةً لعل العامة تنخدع بها، وتنفر من وعظه وزهدياته وهي :-[121]

كأنَّ عتابَةَ من حُسْنِها دُمْيَةُ قَسٍّ فَتَنَتْ قَسَّها
يا رَبِّ لَوْ أَنْسَيْتَنيها بما في جَنَّةِ الفِرْدَوسِ لَمْ أَنْسَها

هذه هي التهمة التي وجهت له، فمنصور بن عمار حاسد لأبي العتاهية لا محالة، وحاقد عليه لأنه قد شنع عليه حين وعظ الناس بكلام أبي العتاهية مما أدى إلى كشف زيفه

---

[118] المصدر السابق - ٤٣

[119] مقدمة ابن عبد البر - أبو العتاهية أشعاره وأخباره - ص ٢٦

[120] الأصفهاني - الأغاني - ج٤- ص ٥١

[121] أبو العتاهية - أشعاره وأخباره - ص ٥٦٦

أمام جمهوره، وقد أوغر هذا الأمر صدره عليه، فالأبيات في أفكارها وألفاظها لا تتعدى المبالغة الأدبية في إظهار مدى حبه لعتبة، ومحاولة رسم صورة جميلة لهذه المحبوبة التي شغلته فترة من الوقت، وملأت قلبه همًّا وحزنا من جراء الحب الذي كان على ما يبدو من طرف واحد، ويجب أن لا يغيب عن البال أن هذه الأبيات قد قيلت في زمن لم يلتزم فيه الشاعر منهج الزهد، أما حينما نقلب النظر في معاني هذه الأبيات فإننا لا نجد فيها ما يناقض الدين، فهو يعترف في الأبيات بقدرة الله عز وجل على الخلق، بقوله إن المليك أَحْسَنَ خَلْقَهُ، فهذا اعتراف بأن الله أحسن الخالقين ثم قوله: فحذا بقدرة نفسه، فهذا كلام لا ضير فيه، فالله هو خالق المرأة، وخالق الحورية في الجنة، وقد ورد في وصف الحور العين في الجنة بأن ا لله سيجعل زوجة الرجل في الدنيا أميرةً على الحور العين التي ستكون للمؤمن في الجنة.

ولعل هذا الشخص الحاقد على أبي العتاهية يريد أن يورده موارد الهلاك على أيدي المهدي الذي تكفل بالضرب بيدٍ من حديد على أيدي الزنادقة، عن طريق قوله: أنه لا يذكر الجنة والنار في أشعاره، فهو لا يؤمن بالبعث والحساب والعقاب.

فالحجج واهية كما هو واضح من خلال الأشعار التي وودت في ديوانه مصوّراً فيها الجنة والنار ويوم البعث، والحشر، والميزان، والصراط، والكتاب الذي فيه أعمال المرء حتى لو كانت مثقال ذرة.

وتهدف الدراسة إلى إثبات هذه التهمة من خلال الأشعار الواردة في هذا الفصل وتحليلها لا سيما في موضع الإعداد للآخرة، والجنة والنار، والحساب والعقاب.

وحتى تتضح الصورة بشكل أوضح فلا بد من إيراد القصة التي رواها ابن عبد البر فيقول حول القصة التي أحدثت القطيعة والعداوة بين منصور الواعظ وأبي العتاهية فيقول:- إن منصور بن عمار، قص يوما على الناس وأبو العتاهية حاضر فقال: إنما سَرقَ منصورٌ هذا الكلام من رجل كوفي، فبلغ قوله منصور فقال: أبو العتاهية زنديق، أما ترونه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار، وانما يذكر الموت فقط، فبلغ ذلك أبا العتاهية فقال:- (١٢٢)

يا واعظ النّاسِ قَدْ أَصْبَحْتَ متهمًا ... إذْ عِبْتَ مِنْهُم أموراً أَنْتَ تأتيها

كَالملبسِ الثّوْبَ مِنْ عُرْيٍ وَعَـوْرتُهُ للناسِ بادِيَةٌ ما إنْ يُواريهـــا
وأعْظَمُ الأثْمِ بَعْدَ الشّـــركِ نَعْلَمُهُ في كُلِّ نَفْسٍ عَماها عَنْ مساويهـا
وَشُغْلُها بعيوبِ النّاسِ تُبْصِـــرُها مِنْهُم ولا تُبْصِرُ العَيْبَ الّذي فيها

وابن عبد البر على حق فيما قرره من ذكر أبي العتاهية التوحيد والبعث والجنـــة والوعد والوعيد في شعره، وما يهمنا هنا، هو أن أحد الوعاظ استطاع أن يثير الجماهـــير حين قدّم إليهم شواهد من أقواله فسرها لهم على أنها ضرب من الزندقة فلم يكن غريبا أن يُتهّم شاعرٌ امتلأ شعره زهداً بالزندقة ((ولعل هذا كله يؤكد أن المجتمع العباسي لم يكـــن ينظر إلى الزهد بوصفه نقيضا للزندقة سواء على مستوى الدولة أو على المستوى الشعبي))[١٢٣]

أما الأشعار التي ذكر فيها الجنة والنار والوعد والوعيد والحساب والعقاب فـــهي موجودة ولا يهمنا كثرتها ووفرتها بقدر ما نريد منها إثبات بطلان تلك الإتهامات، فطبيعـي وقد شغله الأمر إلى هذا الحد أن يأخذ في ذكر الجنة والنار، ويحذر من أهوال يوم القيامـــة فيقول:-[١٢٤]

يا عَجَباً للنّاسِ لَوْ فَكّـــــروا أو حاسَبوا أَنْفُسَهُم أَبْصَـــروا
وعَبَروا الدُّنيا إلى غَـــيْرِهـــا فإنّما الدُّنيا لَهُـمْ مَعْـــبَرُ
والخَيْرُ ما لَيْسَ بخافٍ هوالـــــ مَعْروفُ والشَّـرُّ هُوَ المُنْكَـــرُ
والمَوْرِدُ المَوْتُ ومـــا بَعْـدَهُ الـ الحَشْرُ فذاكَ المورِدُ الأَكْـــبَرُ
والمَصْدَرُ النّـــارُ أو المَصْـدَرُ الـ جَنّةُ مـــــا دونهما المَصْـدَرُ

هذه هي نهاية المطاف ، إما الجنة وأما النار ، إما سعادة أبدية في نعيم مقيم ، وإمـا شقاء دائم ، وكأنه يريد أن يقول :- إن على الإنسان أن يعيش بين الخوف والرجـــاء ، كما في قوله :-[١٢٥]

---

[١٢٣] عز الدين إسماعيل - في الشعر العباسي - ص ٢٨١

[١٢٤] أبو العتاهية - أشعاره وأخباره- ص١٥١

[١٢٥] المصدر السابق - ص ٤

أمامَكَ يا نَـــدْمانُ دارُ سعَـــادَةٍ ... يدومُ النَّما فيها ودارُ شَقَـــاءِ
خُلِقْتَ لإحدى الغايَتَيْنِ فلا تَنَـــمْ ... وكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ منْهُما ورَجاءِ

ويخاطب من تنسيهم الحياة بمباهجها وزخرفها ، زمن شغل بالإقبال علـى اللـذة والمتعة والإغراق في الشهوة ، قائلا :-(١٢٦)

عَجِبْتُ للنّار نامَ راهبُـهـــا ... وجَنّةُ الخُلْدِ نـــامَ راغبُهـــا
عَجِبْتُ للجَنةِ التي شَوَّقَ اللـ ... ـهُ إليها إذ نـــامَ طالبُهـــا
إنّا لفي ظُلْمَةٍ من الحُـــبِّ للدُّ ... نْيا وأَهْلُ التُّقى كَواكِبُهـــا

فهو شديد الحرص على الحياة الآخرة والإعداد لها ، شديد الكره للدنيا،فيقول :-(١٢٧)

طَلَبْتُكِ يا دُنْيا فأَعْذَرْتُ في الطَّلبِ ... فما نِلْتُ إلاّ الهَمَّ والغَمَّ والنَّصَبْ
تَخَلَّيْتُ مِمّا فيكِ جُهْدي وَطاقَـتي ... كما يتخلّى القومُ من عَرَّةِ الجَرَبْ
وإنّي لِمَنْ خَـــيَّبَ اللهُ سَعْـيَهُ ... إذا كُنْتُ أَرْعى لَقْحَةً مُرَّةَ الحَلَبْ

وهو خائفٌ وَجِلٌ من يوم الحساب طامعٌ في الجنة ، هاربٌ من النار ، يرغّب نفسه في الجنة ، فيقول :-(١٢٨)

إذْ أَذْكَرَتْكَ النَّفْسُ دُنْيا دَنِيّةً ... فلا تَنْسَ روضاتِ الجِنانِ وخُلْدَها

فالجنة مهرها غال ، فلا بد من التضحية ، والعمل الصالح الذي يقرب من الجنة ويبعد من النار ،وهذا واضح في قوله:-(١٢٩)

المَوْتُ بابٌ وَكُلُّ النّاسِ داخلُهُ ... فلَيْتَ شِعْري بَعْدَ البابِ ما الدّارُ
الدّارُ جَنّةُ خُلْدٍ إنْ عَمِلْتَ بما ... يُرْضي الإلهَ وإنْ قَصَّرْتَ فالنّـــارُ

ثم نلمح في شعره وصفًا لنعيم الجنة بقوله:-(١٣٠)

أُسْلُ عَنِ الدُّنْيا وَعَنْ ظِلّـــها ... فإنَّ في الجَنّةِ ظِلاًّ ظَليـــلْ
وإنَّ في الجنّـــةِ للرَّوْحَ والـرَّ ... يْحانَ والرّاحَةَ والسَّلْسَبيلْ

---

(١٢٦) المصدر السابق – ص٥

(١٢٧) المصدر السابق – ص ٣٥-٣٦

(١٢٨) المصدر السابق – ص ١٣١

(١٢٩) المصدر السابق – ص ١٤١

(١٣٠) المصدر السابق – ص٢٩١

مَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ نالَ الرِّضَى مِمَّا تَمَنَّى وَاسْتطابَ المَقيلْ

ويقول واصفا أنهار الجنة، وما فيها من متع وملذات حقيقية، في معرض وصفه ليوم القيامة وهو يوم الكرامة والعز لمن صبر في الدنيا:-[١٣١]

اُذْكُرْ مَعادَكَ أَفْضَلَ الذِّكْرِ لا تَنْسَ يَوْمَ صَبيحَةِ الحَشْرِ
يَوْمَ الكَرامَةِ لِلأُلى صَبَروا والخَيرُ عِنْدَ عَواقِبِ الصَّبْرِ
في كُلِّ ما تَلْتَذُّ أَنْفُسُهُمْ أَنْهارُهُم مِنْ تَحْتِهِم تَجْري

هكذا أقام الله سبحانه وتعالى الخلق بين الأمر والنهي والعطاء والمنع، فافترقوا فرقتين: فرقة قابلت أمره بالترك ونهيه بإرتكاب المعاصي وعطاءه بالغفلة عن الشكر ومنعه بالسخط، وهؤلاء أعداؤه، وفيهم من العداوة بحسب ما فيهم من ذلك، وقِسْمٌ قالوا: إنما نحن عبيدك، فإن أمرتنا سارعنا إلى الإجابة وإن نهيتنا أمسكنا نفوسنا وكففناها عما نهيتنا عنه، وإن أعطيتنا حمدناك وشكرناك، وان منعتنا تضرعنا إليك وذكرناك فليس بين هؤلاء وبين الجنة إلا ستر الحياة الدنيا، فإذا مزقه عليهم الموت، صاروا إلى النعيم المقيم وقرّة الأعين، كما إن أولئك ليس بينهم وبين النار إلا ستر الحياة فإذا مزقه صاروا إلى الحسرة والألم.

ب - الحساب والعقاب:-

الحساب هو مقتضى العدل الإلهي، فالله سبحانه وتعالى متصفٌ بالكمال ومن صفاته الكمالية العدلُ والحكمة، فهو عَدْلٌ لا يظلم أحدا من خلقه قال تعالى: (وما ظَلَمْناهُم ولكِنْ كانوا هُمُ الظّالمين)[١٣٢] ومن عدله وحكمته ألا يسوي بين البَرِّ والفاجر، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين المحسن والمسئي، والله سبحانه وتعالى قد أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوّم الناس بالقسط قال تعالى:- (وما كُنّا مُعذّبينَ حتى نَبْعَثَ رسولا)[١٣٣] فاهتدى فريق إلى الله عز وجل، وانحرف فريق عن هدايته فالذين اهتدوا كلفتهم الهداية جهادا شاقا، وتضحيات مريرة، ومغالبة للهوى، ومحاربة للباطل

---

[١٣١] المصدر السابق – ص١٧٢

[١٣٢] سورة الزخرف – الآية ٧٦

[١٣٣] سورة الإسراء – الآية ١٤

ومكافحة للشرور والآثام، وطال جهادهم، ودام كفاحهم حتى اللحظات الأخيرة من حياتهم.

والفريق الآخر جاهدوا من أجل شهواتهم وغرائزهم، سائرين في الشيطان، مؤتمرين بأوامر أنفسهم الأمارة بالسوء، فهل من العدل أن يكون مصير هؤلاء جميعا واحدا؟ كلا وحاشا لله أن يساويهم وهو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، قال تعالى:- (أَمْ حَسِبَ الذين اجْتَرَحوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كالذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ سواءً مَحْياهُم ومَماتُهم ساء ما يَحْكُمونَ، وخَلَقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ ولِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمون) [١٣٤] وقال تعالى :- (وما خَلَقْنا السماءَ والأرضَ وما بَينهما باطلاً ذلكَ ظَنُّ الذين كَفَروا فَوَيْلٌ للذينَ كَفروا مِنَ النّار، أَمْ نَجْعَلُ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ كالمفسدينَ في الأرضِ أمْ نَجعَلُ المتَّقينَ كالفُجّارِ)[١٣٥]

أما فيما يتعلق بالحساب فقد وردت آيات عديدة ترسم صورة يوم الحساب بأدق تفاصيلها، وسورة الزلزلة من بين هذه السور التي رسمت صورة للبعث والحساب، إنها قمة العدل الإلهي، وهي تسجيلٌ حيّ ليوم الحساب، وإحصاءٌ لأعمال العباد حتى لو كانت مثقال ذرة ،

هذه ملامح الحساب والعقاب التي رسمها القرآن الكريم، أما أبو العتاهية فقد استفاد من مخزونه الثقافي الإسلامي، وفهمه للقرآن الكريم، وحفظه لسوره الكريمة، مما جعله يصور أهوال هذا اليوم بصورة شعرية تثير في النفس رهبةً وخوفاً من الله عزّ وجلّ، فيقول:-[١٣٦]

ما اَغْفَلَ النّاسَ عَنْ يَوْمٍ اِبْتِعاثِهِم وَيَوْمٍ يِلْجُمُهُمْ في المَوْقِفِ العَرَقُ

فالناس سيحشرون في صعيد واحد، أبصارهم خاشعة، والشمس فوق رؤوسهم مقدار ميل، والعرق يلجمهم حسب أعمالهم، فهو يوم يسير على المؤمن، عسير على الكافر رغم شدة أهواله العظيمة.

---

[١٣٤] سورة الجاثية – الآيتان ٢١-٢٢

[١٣٥] سورة ص – الآيتان ٢٧-٢٨

[١٣٦] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ٢٥٠

وأبو العتاهية دائم التذكير لنفسه ولأبناء جنسه ، فيقول:-[١٣٧]

أيا نَفْسُ لا تَنْسَيْ كتابكِ وَاذْكُرِي ... لكِ الْوَيْلُ إن أُعْطيتِهِ بشمالكِ
أيا نَفْسُ إنَّ اليَوْمَ يَـوْمُ تَـفَـرُّغٍ ... فَدُونكِهِ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ اشْتغالكِ
وَمَسْئولَةً يا نَفْسُ أنْتِ فَيَسَّـري ... جَواباً ليومِ الحَشْرِ قَبْلَ سُؤالكِ
ومِسْكينَةً يا نَفْسُ أنْتِ فَقَـيرَةً ... إلى خَيْرِ ما قَدَّمْتِهِ مِنْ فِعـالكِ
هُوَ المَوْتُ فاحتاطي لَهُ وَابْشِري إذا ... نَجَوْتِ كَفافاً لا عَلَيْكِ وَلا لَكِ

فالسعيد من يأخذ كتابه بيمينه ويقول بنفس تغمرها الفرحة (هاؤم اقرءوا كتابيـه، إني ظننت أني ملاقٍ حسابية) [١٣٨] والويل كل الويل لمن أعطي كتابه بشماله ولنستمع اليه وهو يقول حزينا: قال تعالى (وأما مَنْ أُوتيَ كتابَهُ بشمالِهِ فَيقولُ يا لَيْتَني لم أوتَ كتابيَه، ولم أدْرِ مـا حسابيَه، يا ليتَها كانتْ القاضية)[١٣٩] فالمرء مسؤول أمام الله عز وجل عن كـل صغـيرة وكبيره ارتكبها في الدنيا، فلا بد من الإعداد ليوم الحساب، ولا ينفع المرء آنذاك إلا مـا قدم من أعمال صالحة، ويذكر شاعرنا الناس بهذا اليوم العظيم، فهو يوم يحصد الزارعـون فيه ما زرعوا من الخيرات، والحسنات، ويجني الظالمون نتيجة ظلمهم، فيقول:-[١٤٠]

غَداً يُنادى مَنْ في القبُـور إلى ... هَوْلِ حسابٍ عَلَيْهِ يُجْتَمَـعُ
غَداً تُوَفّـى النفوسُ مـا كَسَـبَتْ ... وَيَحْصِدُ الزارعون ما زَرعوا

ويتمنى أبو العتاهية أن يقوى لسانه على الجواب أمام عظمة الخالق عز وجل، كمـا يتمنى أن يعطى كتابه بيمينه، لأن معنى ذلك الفوز بالجنة،ويقول أبو العتاهية:-[١٤١]

لَيْتَ شِعْري عَنْ لساني أيَقْوى ... يَوْمَ عَرْضي أنْ يَرُدَّ الجَوابا
لَيْتَ شِعْري بيميني أُعْطَـى ... أَمْ شمالي عِنْدَ ذاكَ الكتابـا

---

[١٣٧] المصدر السابق – ص٢٧٢

[١٣٨] سورة الحاقة – الآيتان ١٩-٢٠

[١٣٩] سورة الحاقة – الآيتان -٢٤-٢٥

[١٤٠] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ٢٣١

[١٤١] المصدر السابق – ص٤١

فالموت لا يقوى عليه إلا صاحب الأعمال الصالحة، أما الذي فرط في جنب الله عز وجل فيأخذ بالتمني:- قال تعالى (وجيء يومئذ بجهنم، يومئذ يتذكر الإنسان وأني له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي)[١٤٢] فإشفاقه على الناس وخوفه عليهم من عاقبة الأمر يوم الحساب دفعاه لتأنيب الناس وتقريعهم قائلا:-[١٤٣]

يا أيُّها الأَشْيَبُ الّذي قَدْ ... حَذّرَهُ شَيْبُه وأنْذَرْ
خُذْ ما صَفا مِنْ جَميعِ أَمْرِ الدُّ ... نْيا وَدَعْ عَنْكَ ما تَكَدّرْ
وَكُلُّ ذي سَكْرةٍ فأعمى ... حتّى إذا ما أفاقَ أبْصَرْ
إرْضَ المنايا لِكُلِّ طاغٍ ... وارْضَ المَنايا لِمَنْ تَجَبّرْ
في الموتِ شُغْلٌ لِكُلِّ حَيٍّ ... وأيُّ شُغْلٍ لمَنْ تَفكّرْ

لقد عرض في الأبيات السابقة لمصير الإنسان وغفلته عن المصير وانشغاله عن الموت لعل هذه الصور تفجر كوامن النفوس التي غلفتها الشهوات في الدنيا، وتدرك هذه النفوس أن الخزي والعار والندامة لمن يغفل عن هذا ، المصير في يوم التناد، قال تعالى:- (واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ المنادِ مِنْ مَكانٍ قَريب، يَوْمَ يَسْمَعونَ الصَّيْحَةَ الحَقّ ذلك يوم الخروج)[١٤٤] فيأخذ أبو العتاهية المعنى فيقول :-[١٤٥]

أيُّ يومٍ نسيت يَوْمَ التلاقي ... أيُّ يَوْمٍ نسيتَ يَوْمَ التّنادِ
أيُّ يومٍ يومُ الوقوفِ إلى اللـ ... ـهِ ويومُ الحسابِ والإشهادِ
أيُّ يومٍ يومُ الممرِ على النّا ... رِ وأهوالِها العظامِ الشّدادِ
أيُّ يومٍ يومُ الخلاصِ منَ النّا ... رِ وهولُ العذابِ والأَصْفادِ

---

[١٤٢] سورة الفجر – الآيتان ٢٣-٢٤

[١٤٣] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ١٧٤

[١٤٤] سورة ق الآيتان ٤١-٤٢

[١٤٥] أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص ١١٣-١١٤

وَللهِ يَوْمٌ أَيُّ يَوْمٍ فَظَاعَةٍ وَأَفْظَعُ مِنْهُ بَعْدَ يَوْمُ قِيامَتي

ففي هذا اليوم سيفضح المجرمون أمام الخلائق، وسوف تتحدث الأرض بكل الأعمال المشينة التي عملوها على وجهها، ويعبر عنه بقوله:-(١٤٧)

وَخَفِ القِيامَةَ ما اسْتَطَعْتَ فإنما يَوْمُ القِيامَةِ يَوْمُ كَشْفِ المُخبَآتِ

وفي أشعار أبي العتاهية إشارة لأشراط الساعة وظهورها، وهو أسلوب وعظي، فالناس تخاف حين تقترب من النهاية، فالساعة آتية لا ريب فيها، وهي قريبة منا،

قال تعالى:- (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ القَمَرُ، وإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)(١٤٨)

فيصور أبو العتاهية أحوال الساعة واقترابها قائلا:-(١٤٩)

وَهذي القيامَةُ قد أَشْرَفَتْ عَلى العالَمين لميقاتِها
وَقَدْ أَقْبَلَتْ بِمَوازينِها وأَهْوالِها وبَرَوْعاتِها
وإنا لَفي بَعْضِ أشراطِها وأَيّامِها وعَلاماتِها

ويصاب أبو العتاهية بالدهشة والذهول من رقدة الناس وغفلتهم عن هذا اليوم العظيم، حين يقول:-(١٥٠)

وَيْحَ ابْنِ آدَمَ كَيْفَ تَرْقُدُ عَيْنُهُ عَنْ رَبِّهِ وَلَعَلَّهُ غَضْبانُ
وَيْحَ ابْنِ آدَمَ كَيْفَ تَغْفَلُ نَفْسُهُ وَلَهُ بِيَومِ حِسابِهِ استِيقانُ
يَوْمُ انشِقاقِ الأَرْضِ عَنْ أَهْلِ البِلى فيها وَيَبْدُو السُّخْطُ والرِّضْوانُ
يَوْمُ القِيامَةِ يَوْمَ يُظْلَمُ فيهِ ظُلْـ ـمُ الظالِمينَ وَيُشْرِقُ الإحسانُ

لقد رأينا كيف أن أبا العتاهية قد أكثر من الحديث عن الإعداد للآخرة، فقد كانت أشعاره في غالبها مستهلة بالحديث عن الموت والتذكير به، والتنفير منه، وحذر من هذه

---

(١٤٧) المصدر السابق - ص٧٣

(١٤٨) سورة القمر - الآيتان ١-٢

(١٤٩) أبو العتاهية - أشعاره وأخباره- ص ٨٣

(١٥٠) المصدر السابق - ص٣٧١

الحياة التي تنقص كل يوم متجهة نحو الموت هذا الموت الذي يتسرب إلى الحياة لينقص منها يوما بعد يوم حتى يغتالها أخيرا، مذكرا بالاستعداد ليوم الحساب.

دعا أبو العتاهية في أشعاره للعمل من أجل الآخرة، والإعداد المحكم لها وعدم الاغترار بنعيم الدنيا لأنّه زائل كما هي الدنيا، كما أكد على التأمل في حقائق الموت والزوال بنظر ثاقب، وعقل راجح، ولا غرابة في أن يفتن بشعره العامة والخاصة، ويردده أصحاب القصور والصوامع، وأصبح أبو العتاهية يقترن دائما في أذهان الناس حين يذكر فن الزهد الذي اكتمل على يديه، فالناس قد تعلقوا بوعظياته، وحكمته التي أفاض عليها من روحه مشفقا على هذه الأمة التي تسير في طريق الظلال، وكي لا تحصد الحسرة والندامة يوم القيامة فقد أخذ يقدم مواعظه بأسلوب اعتمد على الترهيب والترغيب، فكان صدى أشعاره ينعكس في قلوب العامة والخاصة، حتى أنهم تعلقوا بهذه الأشعار، لأنهم رأوا فيها الخلاص من أسر هذه الدنيا.

الفصل الثاني

الرؤية الاجتماعية

أولاً : الصداقة والصديق

ثانياً : الآفات الاجتماعية

ثالثاً : النقائص الخلقية

رابعاً: النقد الاجتماعى

الرؤية الاجتماعية في زهد أبي العتاهية .

لقد تعددت العوامل التي دفعت أبا العتاهية للدخول إلى ميدان الزهد ، ومنها العوامل الشخصية وكذلك البيئة ، ولكن البوتقة التي تنصهر فيها تلك العوامل هي الكيان البشري ، والمجتمع الذي يعيش فيه البشر .

واستطاع أبو العتاهية أن يغمر مجتمعه بعواطفه الذاتية ، وتجربته الشخصية ليشكل رؤية اجتماعية واضحة المعالم قدمها لمجتمعه عن طريق الشعر ، تجارب مكشوفة ، عرض من خلالها تناقضات الوجود البشري المتعددة ، والمتمثلة بالقيم الرفيعة التي وجدت في المجتمع ، وعلى النقيض منها ، تلك المفاسد الاجتماعية التي حث الناس على الابتعاد عنها .

والرؤية الاجتماعية لا يمكن أن تنفصل عن التجربة الذاتية التي اتصف بها أبو العتاهية ، حتى أنه يمكن القول أن أبا العتاهية يمثل في حد ذاته صورةً للمجتمع الذي عاش فيه ، فهو إنسان العصر الممثل له بآماله وآلامه ، وهو الشاعر الزاهد الذي طبعت خصائص شعره بميسم البيئة الاجتماعية التي شهدها .

وهذه الرؤية جعلته يحس إحساسا عميقا بالمظالم الاجتماعية والاقتصادية وكانت سببا في تكوين مجموعة من العقد والمركبات النفسية التي ألقت بظلالها على أشعاره .

ومما يعمق الرؤية الاجتماعية عند أبي العتاهية كثرة التقلب في أوساط العامة والخاصة على اختلاف درجاتها ، فقد خبر حياة الناس ، وكان واحدا منهم إلى أن تهيأت الظروف للعيش في أوساط الخاصة ، وبالتالي استطاع أن يفرز من خلال هذه المعطيات تجربة شعرية صادقة ، مليئة بالتأمل والاعتبار ، تمتزج بالتشاؤم بالوضع الاجتماعي ومستقبله .

فلا بد من البحث عن أسباب النجاة من هذه المفاسد التي قد تنغص على المرء حياته ، لأن أبا العتاهية يرى في الزهد حطّاً من قيمة هذه الحياة المختلة المليئة بالآفات الاجتماعية ، واستعاضةً عنها بحياة أخرى،وهذا يتطلب إصلاح المجتمع وتقويمه من خلال سلوك الأفراد : والنأي بهم عن المثالب ، معتمدا على القيم الإسلامية الرفيعة ، وفي هذا الفصل سنسلّط الأضواء على تلك الرؤى الاجتماعية في زهد أبي العتاهية،فهو يقول :- [1]

أَشْرِبْ فُؤادَك بغْضَه اَللّذَات ... واذكُر حُلولَ مَنازِلِ الأمْوات

لا تُلْهِيَنَّكَ عن معادِكَ لَذّةٌ ... تَفْنى وتُورِثُ دائمُ الحسَرَات

إنّ السعيدَ غداً زهيدٌ قانعٌ ... عَبَدَ الإلهَ بأَحْسَن الإخْبات

---

[1] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٥٩-٦

أقِمِ الصَّلاة لِوقتِـــــها بـــطهورهـــا ... وَمنَ الضَّلالِ تفاوُتُ الميقـــــاتِ
وإذا اتَّسعْتَ برزق ربك فاجْـــــعَلَنْ ... منهُ الأجلَّ لأوجه الصدَّقـــــاتِ
في الأقربين وفي الأباعـــــد تـــارةً ... إنَّ الزكاةَ قرينةُ الصّـــــلواتِ
وارْعَ الجوارَ لأهلـــهِ متبرعـــــــاً ... بقضاءِ ما طلبوا من الحاجـــاتِ
واخفضْ جناحَكَ إن رُزقْتَ تسلـــطاً ... وارْغَبْ بنفسكَ عن هنٍ وَهنـــاتِ

أولا:-الصداقة والصديق

يرسم أبو العتاهية صورةً مثاليةً للصديق ، يضمنها أشعاره ، ويفيض عليها من عصارة أفكـــاره ، وخلاصة تجربته التي عاشها في مجتمعه فيقول : [٢]

وَحـــدَهُ الإنســـانُ خيـــــرٌ ... مِنْ جَليسِ الســـــوءِ عنْـــدَهُ
وجَلَـــيسُ الخَيْـــرِ خَيْـــــرٌ ... مِنْ جُلـــوسِ المـــرْءِ وَحْدَهُ

فالبيتان رغم قلة الألفاظ فيهما يحتملان معاني غزيرة ، فكأن الشاعر يود القول أن البشر صنفـــان صنف لا يستحق أن تصادقه ، فصداقته وعدمها سواء ، بل أن العزلة خير من هذه الصداقـــة الـــتي لا تجلب إلا المتاعب والأذى .

والصنف الأخر جديرٌ بالمصادقة لأن ذلك يُسرِّي عن النفس ويعينها على قضاء الحاجات وإحساســه بالغربة يدفعه للبحث عن صديق يتصف بصفات طيبةٍ ، تبعد عنه الوَحْدة ووحشتها التي تؤرقها أحياناً .

فهو يؤكد حقيقةً في مجال الصداقة ، مفادها الإخلاص في الودّ وتفقد الصديق وقـــت الشـــدائد ، وهذا ما يبعث على راحة البال والطمأنينة .

والصديق عند أبي العتاهية هو الذي تكون صداقته خالصة لوجه الله لا يبتغي بها عرضا من أعراض الدنيا ، فيقول : [٣]

أَلا إنَّما الإخـــوانُ عندَ الحقـــائـــقِ ... ولا خَيْرَ في وُدِ الصَّديقِ المُمـــاذقِ
لَعَمْرُكَ ما شيءٌ من العَيْشِ كُلـــــهِ ... أَقَرَّ لعيني مِنْ صديقٍ مُوافـــــقِ
وكُل صـــــديقٍ لَيْـــسَ في اللهِ وُدهِ ... فإني بهِ في وُدهِ غَيْرُ واثـــــقِ

ويمضي أبو العتاهية محذرًا من صداقة الأحمق ، لأنها صداقة لا يرجى خيرها ، ولن تدوم طويـــلا ، والصديق الأحمق كنافخ الكير لا بد وان يؤذيك ، فيقول :- [٤]

---

[٢] أبو العتاهية أشعاره وأخباره هامش ص ١٣٤

[٣] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٢٥٠

* الماذق : الذي لايخلص الودّ .

[٤] المصدر السابق نفسه هامش ٢٥٢-٢٥٣

إحْذَرِ الأَحْمَقَ واحْذَرْ وُدَّهُ ... إنَّما الأَحْمَقُ كالثَّوبِ الخَلَقْ

كُلَّما رَقَّعْتَهُ من جانبٍ ... زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ يوماً فانْخَرَقْ

أوْ كَصَدْعٍ في زجاجٍ فاحِشٍ ... هَلْ تَرى صَدْعَ زُجاجٍ يَلْتَصِقْ

فإذا عَاتَبْتَهُ كَيْ يَسْرَعْ ... زادَ شرّاً وتَمادَى في الحُمُقْ

والصديق المنافق أشدُّ وقعاً على النفس فلا بد من التعامل معه بحذر ، فهو يبدي نخيل الود ومنخوله إن كان في حضرة الصديق ، وإن غاب عنه سلط عليه لسانه بالذم والعتاب ، وهذا الحكم صادر من تجربة ذاتية قد مرت بالشاعر فيعبر عنها بقوله :- [٥]

وَشَرُّ الأَخِلاءِ مَنْ لَمْ يَزَلْ ... يُعاتِبُ طَوْراً وطَوْراً يَذُمْ

يُريكَ النَّصيحَةَ عِنْدَ اللِّقاءِ ... وَيَبْرِيكَ في السِّرِّ بَرْيَ القَلَمْ

وهذا طبع في غالب البشر إذ يربطون الصداقة بمصالح دنيوية ، ومكاسب مادية لهذا نجد أبا العتاهية قد وصل إلى حد عدم الثقة بالناس والتبرم بأخلاقهم فيقول :[٦]

أَنْتَ ما اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صا ... حِبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ

فإذا احْتَجْتَ إليهِ ... ساعَةً مَجَّكَ فُوهُ

فالصديق حريص على الصداقة ما دامت حاجته في منأى عن طلب الصديق أما إذا اقترب الصديق من دائرة المصالح والحاجات اهتزت الصداقة واعتراها الخلل .

وقد دفعه عدم الثقة بالناس أحيانا إلى أن يصدر أحكاما في طبائع الناس ويوصي بالأخلاق الحميدة ، التي تجعل الإنسان موضع ثقة الجميع، ويرى أن الصديق في الإخاء قليل بين الناس ، فالصداقة المثالية التي يتطلع إليها لا وجود لها، فعليه أن يقبل الناس على علاتهم ، يتجاوز عن زلاتهم ويلتمس لهم الأعذار، كي لا يجد نفسه وحيدا يصارع الحياة، وهذا ما جعله يوصي بالصبر على الصديق، ومداراته قائلا:[٧]

إنَّ في صِحَّةِ الإخاءِ من الـ ... ـسُّنا وفي صِحَّةِ الوَفاءِ لُقَلَّهْ

فالْبَسِ النَّاسَ ما اسْتَطَعْتَ على الصَّبـ ... ـرِ وإلا لَمْ تَسْتَقِمْ لَكَ خُلَّهْ

ما بَقاءُ الإخاءِ من مُتَجَنٍّ ... يَبْتَغي مِنْكَ عِلَّةً بَعْدَ عِلَّهْ

عِشْ وحيداً إنْ كُنْتَ لا تَقْبَلُ العُذْ ... رَ وإنْ كُنْتَ لا تُجاوِزُ زَلَّهْ

---

[٤] المصدر السابق نفسه هامش ٢٥٢-٢٥٣

[٥] المصد السابق نفسه هامش ص ٣٥٨.

[٦] الأصفهاني : الأغاني ، ج٤ ص ١١ ، وانظر ديوان أبي العتاهية ص ٤٢٣ ، ٤٢٤.

[٧] أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره ص ٣٣٨.

وأبو العتاهية صاحب نظرة ثاقبة في الناس وأحوالهم ، وطبائعهم ، فالناس يميلون حيث المنافع الدنيوية ، وحيث الغنى والجاه ، فيقول :- [٨]

قَدْ بلَوْنا النَّاسَ في أخْلاقهِـــــم ... فرأيْناهُمْ لِذي المَال تَبَـــــعْ

وَحبيبُ النّاسِ مَنْ أطْعَمَهُـــــمْ ... إنَّما النّاس جميعاً بالطَّمَـــــعْ

ويؤكد هذه الحقيقة التي لا تحتاج إلى ما يثبت صحتها بقوله :- [٩]

إذا قَلَّ مالُ المرء قَلَّ صدَيقُـــــهُ ... وَضاقَتْ بهِ عَمَّا يُريدُ طَريقُـــهُ

وقَصَّر طَرْفُ العَيْنِ عَنْهُ كَلالَـــــةً ... وأَسْرَعَ فيما لا يُحبُّ شَقيقُـــهُ

وذَمَّ إليه خِدْنُهُ طَعْمَ عُـــــــوده ... وقَدَ كانَ يَسْتَحليه حينَ يَذوقُهُ

فالأصدقاء يكثرون حيث المالُ والجاهُ، وصاحب المال والجاه ، يحترمه الناس، ثم يؤكد ذلك بقوله :- [١٠]

أجَلَّك قَومُكَ حين صِرْتَ إلى الغنى ... وَكُلُّ غَنِيٍّ في العُيونِ جَليلُ

إنَّ الغنى محببٌ إلى النفس ، ونفس الإنسان توّاقه إليه ، فهو الذي يستر الخلل عند المرء ، ويضفي عليه هيبةً وجلالاً .

ويرى أبو العتاهية أن الإنسان محتاج إلى الصديق ، وذلك لأن الإنسان عضو في هذه الخلية الاجتماعية ، فالحاجة نفسية واجتماعية ، قبل أن تكون نفعية تتعلق بالمصالح المادية فالذي يتفحص معاني الأبيات الآتية يحس بمدى الغربة التي يعيشها أبو العتاهية في مجتمع تُبُدّلت فيه القيم وانهارت المباديء، فيقول :- [١١]

وإنّي لمُشْتاقٌ إلى ظِلِّ صاحـــــــبٍ ... يَروقُ وَيَصْفو إن كَدَرْتُ عَليْـــــهْ

عَذيري من الإنسانِ لا إن جَفَوْتُـــــهُ ... صَفا لي ولا إنْ كُنْتُ طَوْعَ يَدَيْـــهْ

والإحساس بالغربة أحيانا يدفعه نحو التنازل عن بعض مبادئه التي تتعلق بالصداقة ، فهو يريد أن يشعر نفسه بالأمان من وحشة الغربة وهذا لن يتحقق إلا إذا نظر إلى طباع البشر على أنها يعتريها الخلل والنقص ، فهو على الرغم من تقلب الناس ، وتبدّل أخلاقهم ، يحافظ على مبادئه تجاه الصداقة والصديق ، فيغفر زلّة صديقه رغم خيانته له ، فيقابل إساءة الصديق بالإحسان ، وهذا توفيق من الله عزّ وجلّ يستحق الشكر عليه، فيقول :- [١٢]

---

[٨] المصدر السابق ، ص ٢١٨.

[٩] المصدر السابق ، ص ٢٥٣.

[١٠] المصدر السابق ، ص ٣١٨.

[١١] المصدر السابق ، هامش ص ٤١٨.

[١٢] المصدر السابق ، ص ٨٠.

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي خَانَنِي وُدُّهُ ... وَلا تَبَدَّلْتُ وَلا خُنْتُ

الحَمْدُ للهِ عَلى صُنْعِهِ ... إِنِّي إِذا عَزَّ أَخي هُنْتُ

فهو يطمع في صديق يكون مخلصا له في السراء والضراء ، عونا له على نوائب الدهر ، يعادي من عاداه ، ويغض الطرف عن عثراته ، ويحفظه في وجوده وغيبته ، بما يحفظه في حياته وبعد موته ، فيقول :- (١٣)

أُحِبُّ مِنَ الإِخْوانِ كُلَّ مُؤَاتٍ ... وَفِيٍّ يَغُضُّ الطَّرْفَ عَنْ عَثَرَاتِي

يُوافِقُنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ أُرِيدُهُ ... وَيَحْفَظُنِي حَيّاً وَبَعْدَ وَفَاتِي

ثم يواصل رسم صورة الصديق ، ويتعدى في أمانيه الصورة المعتادة للصديق ، بل ويضفي عليها ملامح إسلامية تجعل الصداقة مشتملة على الإيثار ، والتضحية من أجل الصديق ، فيقول :- (١٤)

إِنَّ أَخاكَ الصِّدْقَ مَنْ كَانَ مَعَكْ ... وَمَنْ ضَرَّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

وَمَنْ إِذا رَيْبُ الزَّمانِ صَدَعَكْ ... شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَنْفَعَكْ

ويحاول أبو العتاهية بحكمته ، أن يسدي النصح للناس من أجل أن تتوثق عرى الصداقة وتسودها المودة والوفاء ، فيقول :- (١٥)

أَقْلِلْ زِيارَتَكَ الصَّدِيقَ ولا تُطِلْ ... هِجْرانَهُ فَيَلِجَّ فِي هِجْرانِهِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لا تُلائِمُ كُلَّ مَنْ ... أَلْقَى إِلَيكَ تَلَهُّفاً بِلِسانِهِ

إِنَّ الصَّدِيقَ يَلِجُّ فِي غِشْيانِهِ ... لِصَدِيقِهِ فَيَمِلَّ مِنْ غِشْيانِهِ

حَتَّى تَرَاهُ بَعْدَ طُولِ مَسَرَّةٍ ... بِمَكانِهِ مُسْتَثْقِلاً لِمَكانِهِ

وَأَخَفُّ ما يُلْفَى الفَتَى ثِقْلاً عَلى ... إِخْوانِهِ ما كَفَّ عَنْ إِخْوانِهِ

والفكرة الواردة في الأبيات تقوم على مبدأ الاعتدال والوسطية في التعامل مع الصديق في زياراته ، ومن يخالط الناس،ويطلع على العلاقات التي تربطهم يرى أن الصديق الوفي نادر الوجود ، وأبو العتاهية وقد خبر الناس في شؤون حياتهم ، نجده يتبرم بالصداقة والصديق حين يتسرب اليأس إلى نفسه ، ويضيق ذرعا بندرة الصديق الذي تطمح إليه نفسه ، فيقول :- (١٦)

طَلَبْتُ أَخاً فِي اللهِ فِي الغَرْبِ والشَّرْقِ ... فَأَعْوَزَنِي هذا عَلَى كَثْرَةِ الخَلْقِ

فَصِرْتُ وَحِيداً بَيْنَهُمْ مُتَصَبِّراً ... عَلى الغَدْرِ مِنْهُمْ وَالمَلالَةِ وَالمَلْقِ

وَكَمْ مِنْ أَخٍ قَدْ ذُقْتُهُ ذا بَشاشَةٍ ... إِذا سَاغَ فِي عَيْنِي يَغَصُّ بِهِ حَلْقِي

---

(١٣) المصدر السابق ، ص ٥٩.

(١٤) المصدر السابق ، هامش ص ٢٧٤

(١٥) المصدر السابق ، ص ٤٠١.

(١٦) المصدر السابق ، ص ٢٤٦.

وَلَمْ أَرَ كالدُّنْيا وكَشْفي لأَهْلِـــــها فما انكَشَفوا لي عَنْ وفاءٍ ولا صِـــدْقِ

فهو يعلن سخطه على الناس لعدم وفائهم ويتبرم بصداقتهم الزائفة القائمة على النفعية ، ويختـــار طريق العـــزلة والوحـــدة أحـــيانا ، فالعزلة خير جليس إذا عز على الإنسان أن يجد صاحبـــا وفيـــا فيقول :- (١٧)

بَرِمْتُ بالنّاسِ وأَخْلاقِهِـــــــــم فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بالوَحْـــــدَةِ

ما أكثَرَ النّاسَ لعمري وَمَـــــــا أَقَلَّهُمُ في حاصِلِ العُـــــدَّةِ

والتجربة الذاتية في مجال الصداقة والصديق كثيرة في ديوانه ، وتتوالى في أشعاره ، وهـــو يشـــرّح بمبضعه تلك الأجسام المريضة بالصفات التي تُناقض أخلاق الصديق ، يضع العلاج أحيانـــا،ويؤسّـــس قواعدَ للصداقة تقوم على التضحية والفداء والإخلاص ، فيرسل الحكمة تلو الحكمة في هذا المجـــال ، وأحيانا أخرى يضيق بالناس وسلوكاتهم ، ولكنه يعي تمام الوعي أن الكمال لله وحده ، وكل النـاس لا يسلمون من العيوب ، فالنقص صفة في البشر ، ويقرر أن وجود الصديق الذي يشـــتمل علـــى كـــل الصفات المرغوب فيها ، أمر نادر ، فيقول :- (١٨)

أَتَطْلُبُ صاحِباً لا عَيْبَ فيـــــــهِ وَأَيُّ النّاسِ لَيْسَ لَهُ عُيـــــوبُ

رَأَيْتُ النّاسَ صالحُهُم قَليـــــلٌ وَهُمْ واللهُ محمودٌ ، ضُـــــروبُ

هذه هي رؤية أبي العتاهية للصداقة والصديق تتضح من خلال أشعاره وتُظهر لنا سعة ثقافة وعمـــق تجاربه الذاتية في شؤون الناس ، وأمور الحياة وتكتسبهذه التجارب صفة الدوام لارتدائها ثوب الحكمة الذي أظفاه على أشعاره ، وأفاض عليها من روحه ، ليعطي للحياة المفعمة بالوفاء والإخلاص للصديـــق معنىً إسلاميّاً دعت إليه العقيدة الإسلامية السمحة .

ثانيا :-

القيم الاجتماعية :

أ. الحلم :

الحلم من أبرز الخصال الخلقية التي أكدتها أشعار أبي العتاهية الحكمية ، وهي خلةٌ تكسب صاحبـــها رزانةً ووقاراً وهي نعمةٌ من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان حفظاً للتوازن في حالة الغضب ، ومنعـــا لانفلات سَوْرَةِ الغضب،وكبحاً لجماح النفس الأمارة بالسوء .

---

(١٧) المصدر السابق ، هامش ص ١٣٤.

(١٨) المصدر السابق ص ، ٢٣.

وأبو العتاهية لم يغفل هذا الجانب الخلقي ، فراح يسدي النصح للناس ، مستفيدا من ثقافته الإسلامية ، وضمّن أشعاره ، أخلاقاً إسلامية ، فيقول واصفا الحلم بأنه وقاية للإنسان من الأذى ، وحافظا كرامته . [١٩]

والصَّمْتُ للمَرْءِ الحليم وِقايَةٌ ... يَنْفي بها عن عِرْضِه ما يَكْرَهُ
لا تَنْسَ حِلْمَكَ حين يَقْرَعُكَ الأذى ... مِنْ كُلِّ ما يُجني عَليْكَ ويَجْبَهُ
فَلربَّما صَبَرَ الحَليمُ على الأذى ... حَتّى يرى وكأنَّهُ يَتَدَلَّهُ
ولربَّما حَجَبَ الحليمُ جوابَهُ ... بالصَّمْتِ مِنْهُ وإنَّهُ لمفَوَّهُ
ولربَّما جَمَعَ السِّفاهُ بذي الحِجا ... حتّى يُذَلِّلَهُ الدَّنيءُ الأَسْفَهُ
ولربَّما نَسِيَ الوَقورُ وقارَهُ ... حتى تَراهُ جاهِلاً يتدَهْدَهُ
إنَّ الحليمَ عن الأذى مُتَحَجِّبٌ ... وَعَنِ الخَنا متوقِّرٌ مُتَنَزِّهُ

فالحلم كما يورده أبو العتاهية في الأبيات السابقة ، من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب ، لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد ، واجتلاب الحمد ، فحد الحلم في رأيه هو ضبط النفس عن الغضب ، والترفع عن الشتم ، لأن ذلك من شرف النفس وعلوّ الهمة .

ويؤكد ذلك ما أوردته الحكم الفارسية في مجال الحلم « فقد سُئل أنو شروان أيُّ مناقبُ المرءِ زَيْنٌ له ؟ قال : الحلمُ عند الغضب ، والعفوُ عند المقدرة ،وطلبُ الثواب ، والاجتهاد للدار الباقية لا الفانية » . [٢٠]

وقد عبر عن هذا الخلق الرفيع الرسول صلى الله علية وسلم في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه : « ليس الشّديد بالصُّرعةِ ،وإنَّما الشّديدُ الذي يملكُ نفسه عند الغضب» . [٢١]

ج. الرفق ولين الجانب

الرفق من دواعي الألفة والتواصل ، وعماد السعادة وقد حث عليه ديننا السمح ، قال تعالى : ﴿ فَبِما رَحْمَةٍ من اللهِ لِنْتَ لَهُم ، وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غليظَ القَلْبِ لانفضّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [٢٢]

والرفق من دواعي التذرّع بالشفقة والرحمة مع جميع المخلوقات ، والعطف على البؤساء والضعفاء ، ومعاملةِ جميع الناس بالرأفة ولين الجانب ، والابتعاد عن القسوة والغلظة . [٢٣]

---

[١٩] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٤٠٩.

[٢٠] ابن مسكوية : الحكمة الخالدة ،ص ٦٠.

[٢١] النووي : رياض الصالحين ص ٢١٥.

[٢٢] سورة آل عمران ، الآية ١٥٩.

[٢٣] أحمد الدجوي : فتح الخلاق في مكارم الأخلاق ، ص ١١٣.

وأبو العتاهية حريصٌ على نصائحه التي يُسديها الناس ، ترغيباً لهم في التمسّك بها ، وتوجيهًا لهم الوجهة الإسلامية السليمة ، فيقول : [٢٤]

أَخي عِنْدي مِنَ الأيَّام تَجْربَةٌ ... فيما أَظُنُّ وعِلْمٌ بارِعٌ شافِ
لا تَمْشِ في النّاس إلا رَحْمَةً لهُمُ ... و لا تُعامِلْهُمُ إلا بإنصافِ
واقْطَعْ قُوى كُلِّ حقدٍ أنْتَ مُضْمِرُهُ ... إنْ زَلَّ ذو زَلَّةٍ أو إنْ هَفا هافِ
وارغَبْ بنفْسِكَ عَمّا لا صلاحَ لَهُ ... و أوْسِعِ النّاسَ مِنْ برٍّ وإلطافِ

ولين الجانب خلق مرغوب فيه ، وعلى الإنسان أن يبدي تواضعا لأخيه المسلم ، وأن يصفح عن المسيء ، وأن يلتمس لأخيه عذرا ، وأن يترفع عن الأمور التي تخلو من الصلاح ، وهذه الأمور لا تتأتى إلا بعد أن يقوى إيمان الإنسان ، ويتوّج إيمانه بالزهد في هذه الدنيا ، ليحصل على النتائج التي تجعل الإنسان يحيا حياته سالما من هَمِّ العداوات ، وافر العرض ، وهذا مبتغى المرء في هذه الدنيا ، وبهذا تكون يد الرفق ولين الجانب قد جنت ثمرة السلامة ، وجلبت راحة البال والطمأنينة فيقول أبو العتاهية : [٢٥]

وامْسِكْ مِنَ الدُّنيا الكَفافَ وجُدْ على ... أَخيكَ وخُذْ بالرِّفْقِ واجتَنِبِ الخُرقا
فإني رأيتُ المرءَ يُحْرَمُ حَظَّهُ ... من الدِّينِ والدُّنيا إذا حُرِمَ الرِّفقا

والفكرة الواردة في هذين البيتين في مجملها مأخوذة من حديث الرسول (ص) الذي يقول فيه « من يحرم الرفق يحرم الخير كله »[٢٦] ويمضي أبو العتاهية منشدا أشعارا تفيض حكما أخلاقية ، فيقول : [٢٧]

داوِ بالرِّفْقِ جِراحاتِ الخَرَقْ ... وَابْلُ قَبْلَ الحَمْدِ والذَّمِّ وَذُقْ
وَسِعِ النّاسَ بخُلْقٍ حَسَنٍ ... لمْ يَضِقْ شَيءٌ علَى حُسْنِ الخُلُقْ
كُلُّ مَنْ لم تَتَّسِعْ أخلاقُهُ ... بَعْدَ الإحسانُ فيهِ وَسُحُقْ

فالرفق هو البلسم الشافي لأمراض سوء الخلق ، فينبغي للمسلم أن يتحلى به ، ويتمثل ذلك في المعاملة الطيبة ، التي تقرب الإنسان المسلم من قلوب الآخرين ، وفي الوقت نفسه يدعو أبو العتاهية دعوة صريحة لاختبار أخلاق الناس وتجريبهم قبل حمدهم ، لأن سوء الخلق مرض اجتماعي يعدي كما يعدي الجَرَبُ .

---

[٢٤] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٢٤١.

[٢٥] المصدر السابق نفسه ص ٢٤٥.

[٢٦] النووي ، رياض الصالحين ص ٢١٢.

[٢٧] أبو العتاهية : أشعاره واخباره ص ٢٤٧.

فتأتي نتائج المعاملة الطيبة ، بالثناء على الإنسان الذي يعامل الناس برفق وخلق حسن كما عبر عن ذلك الشاعر أبو العتاهية بقوله : [٢٨]

عامِلِ النّاسَ برأيٍ رَفيقٍ ... والْقَ مَنْ تَلْقى بوَجْهٍ طليقٍ
فإذا أنْتَ جميلُ الثَّنـاءِ ... وإذا أنْتَ كَثيرُ الصَّديقِ

أ-اليقين :-

يحاول أبو العتاهية في بعض أشعاره الزهدية أن يتناول النفس الإنسانية وطبائعها في الأحوال المختلفة ، ويوفّق في عرض صورٍ منها ،فيتحدث عن اليقين وجدواه في تبديد ظلام الحيرة والشك عند الإنسان ، فيقول : [٢٩]

ألا إنَّ اليقينَ عليه نورٌ ... وإنَّ الشَكَّ لَيْسَ عَليه نورُ

ويقول : [٣٠]

خُذْ مِنْ يَقينِكَ ما تَجْلو الظنونَ به ... وإنْ بدا لكَ أمرٌ مُشْكلٌ فَدَعِ
قَدْ يُصبحُ المرءُ فيما ليسَ يُدركُهُ ... مُعَلَّقَ البالِ بينَ اليأسِ والطَمَعِ
لم يَعْمَلِ النّاسُ في التَّصْحيحِ بَينَهُم ... فاضْطَرَّ بعضُهُم بَعْضاً إلى الخُدْعِ

وانعدام اليقين في النفس البشرية يجعلها تعيش حالة من الصراع ، تدفعه إلى اليأس أحيانا مما في هذه الدنيا من ملذات ، وقد يلجأ إلى الطمع الذي يوقعه في المهالك أحيانا أخرى ، ويؤدي إلى المخادعة والاحتيال ظنا منه أن الرزق يأتي بقوة الأقوياء أوبذكاء الأذكياء ، واليقين بالله عز وجل هو الذي يقطع الشك ويجعل الإنسان المسلم يقبل على الله بنفس راضية بقضائه وقدره عزّ وجلّ ، قانعة برزقه الذي يقدّرهُ عليها ، فيقول : [٣١]

لَعَمْرُ أبي لو أنَّني أتفكَّرُ ... رَضيتُ بما يُقْضى عَلَيَّ ويُقْدَرُ
تَوَكَّلْ على الرحمانِ في كلِّ حاجةٍ ... أَرَدْتَ فإن اللهَ يَقْضي ويَقْدِرُ
متى ما يُرِدْ ذو العرْشِ أمراً بعبْدِهِ ... يُصِبْهُ وما للعَبْدِ ما يَتَخَيَّرُ
وَقَدْ يَهْلِكُ الإنسانُ من بابِ أَمْنِهِ ... وينجو لعمرُ اللهِ منْ حيثُ يَحْذَرُ

والبيت الأخير يضمنه أبو العتاهية حكمة رائعة ، مفادها معنى المثل العربي القائل: « من مأمنه يؤتى الحذر» ويعبر عن مدى رضى نفسه بما هو مقدر من الله عز وجل ، فيقول : [٣٢]

---

[٢٨] المصدر السابق ، ص ٢٤٧.

[٢٩] المصدر السابق، ص ١٥٨.

[٣٠] المصدر السابق ، ص ٢٠٩.

[٣١] المصدر السابق ، ض ١٥١.

[٣٢] المصدر السابق نفسه ص ٢٠٢.

نَبغي من الدُّنيا الغنى فيَـــزيدُنا فَقْراً ونطْلُبُ أن نَصِحَّ فنَمْرَضـــا
لنْ يَصْدُقَ اللهَ المَحَبَّةَ عَـــبْدُهُ إلا أحبَّ لَهُ ومِنْهُ وأبغـــضا
والنّفسُ في طَلَبِ الخَلاصِ ومالَها من مَخْلَصٍ حَتّى تصيرُ إلى الرّضى

فالرضى هو السبيل الوحيد للخلاص من شرور هذه الدنيا ، فالمرء يلهث وراء مغريات الدنيا ظنا منه أنه سيحصل على بغيته ، وأنه سينجو من غوائل الدهر ، فيقول : [٣٣]

غَلبَ اليقينُ عليَّ شَكي في الـرَّدى حتـى كأني لا أراهُ عيـانـا
فَعَميتُ حَتّى صِرْتُ فيه كأنَنـي أُعْطيتُ من رَيْبِ المنونِ أمـانا

وضعف اليقين عند المرء يدفعه نحو الحرص على الحياة وجمع المزيد من الأموال ، فيظلم المسكين ، ويستصغر من هُم دونه ، لا يبالي من أي المصادر استقى ويصور أبو العتاهية هذا الأمر بقوله :[٣٤]

لمْ يكفِني جَمْعي لضَعْفٍ بَقيـــني حَتّى استَطَلْتُ به على المِسْكينِ
مَنْ كان فوقي في اليَسار مَنَحْتَهُ الـــ تَعْظيمَ واستَصْغَرْتُ مَنْ هُوَ دونـي

((فالمرء بحاجة إلى من يبصره بأمور دينه ، ومناحي حياته ، يأخذ بيده ولو بشيء من العنف بعيدا عن طريق الشر ليسلك طريق الخير)أو على أقل تقدير بحاجة إلى من يبصره بمزالق طريق الشر وعثراته ، وباستقامة طريق الخير ، لأنه طريق الأمن والنجاح والسلامة)). [٣٥]

ج. الصبر :-

الصبر على مصائب الدنيا من القيم التي يؤكدها أبو العتاهية في أشعاره الزهدية ، حيث يقول[٣٦]

ما أكْرَمَ الصَّبْرَ وما أَحْسَـــنَ الـ صِّدْقَ وما أَزْيَنَهُ بالفتـــى
الخُرْقُ شُؤْمٌ والتُّقى جنّـــةٌ والرِّفْقُ يُمْنٌ والقُنوعُ الغِنـــى
نافِسْ إذا نافَسْتَ في حِكْمَـــةٍ آخٍ إذا آخَيْتَ أهْلَ التُّقـــى

فهو في الأبيات السابقة يورد مجموعة من القيم الاجتماعية ، منها الصبر على البلاء والتقوى التي تكون مصدرا رئيسا من مصادر قيمه ، التي أكد عليها .

والصبر أنواع ، صبر على المصائب ، وصبر على الشهوات ، وصبر على الطاعات فالصبر على شهوات النفس ورغباتها ليس أمرا سهلا ، ويحتاج إلى نفس وثّابة نحو الخير ، تقوى في الحالات التي تضعف عندها النفوس : [٣٧]

---

[٣٣] المصدر السابق ، ص ٣٩٥.

[٣٤] المصدر السابق ، ص ٣٩٥.

[٣٥] يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة ، ص ٥٥٧.

[٣٦] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ١٢.

وَلِلنَّفْسِ دونَ العارفاتِ صُعُوبَةٌ فإنْ صَعُبَتْ يوماً عليْكَ فهوِّنْها

وللنَفْسِ طَيْرٌ يَنْتَفِضْنَ إلى الهَوى بأَجْنِحَةٍ تَهْوِي إليهِ فَسكِّنْها

ويواصل تصويره للنفس البشرية متأملا خفايا هذه النفس وما تطمح إليه،ويصورها أجمل تصوير حين يرى أنها كالطائر ، تجوب الآفاق بحثا عن الهوى ، فلا بد من كبح جماحها ، لأنها تتمادى في البحث عن المتع والملذات ، فيقول : (٣٨)

أَلا مَنْ لنَفْسٍ في الهَوى قَدْ تَمَادَتِ إذا قُلْتُ قَدْ مالَتْ عنِ الجَهْلِ عادَتِ

وَحَسْبُ امرئٍ شَرّاً بإهمالِ نَفْسِهِ وإمْكانِها مِنْ كُلِّ شيءٍ أَرادَتِ

ويتعمق أبو العتاهية في تأملاته في النفس البشرية وطباعها ، فالنفس البشرية ، سريعة الإنفلات ، فإذا ترك لها الحبل على الغارب فأنها ستكون أمارة بالسوء ، لا تتوقف عند حد ، وهذا ما جعل أبا العتاهية يخلص إلى نتيجة يقرر من خلالها،أن النفس راغبة إذا رغبتها ولن تقنع بشيء ، والدنيا لا تدوم على حال ، والنقص سمة من سماتها كما يقول : (٣٩)

ما يُحْرِزُ المَرْءُ من أَطْرافِهِ طَرَفاً إلا تَخَوَّنَهُ النُّقْصانُ مِنْ طَرَفِ

وهذا البيت قد أورده الرازي في كتابه (الأمثال والحكم) لاشتماله على حكمة رائعة ، دلت على عمق فهم أبي العتاهية لمعنى الحياة،وتقلباتها ، واللبيب مَنْ يفهم هذه الحياة على حقيقتها ، ويعمل من أجل الحياة الأبدية التي وعد الله بها عباده المتقين في جنات النعيم . (٤٠)

هِيَ الدّارُ دارُ الأَذى والقَذى وَدارُ الفَناءِ ودارُ الغُرُرْ

ولَوْ نِلْتَها بحذافيرِها لَمُتَّ ولَمْ تَقْضِ منْها الوَطَرْ

أيا مَنْ يُؤَمِّلُ طُولَ الحياةِ وَطولُ الحياةِ عليهِ ضَرَرْ

إذا ما كَبِرْتَ وَبانَ الشبابُ فلا خَيْرَ في العَيْشِ بَعْدَ الكِبَرْ

فهذه هي الدنيا وهذا حالها وحال أبنائها ، فلا بد من أخذ العبر ، والتحلي بخلق الصبر على كل مصائبها ، وهمومها وأحزانها ، تاركينها وراء ظهورنا ملتفتين بكل مشاعرنا نحو الحياة الآخرة ، وأبو العتاهية يدعو نحو هذا التوجه قائلا : (٤١)

تَصَبَّرْ عَنِ الدُّنيا وَدَعْ كُلَّ تائهٍ مُطيعِ هَوىً يَهْوي بِهِ في المَهامِهِ

دَعِ النّاسَ والدُّنْيا فَبَيْنَ مُكالِبٍ عَلَيْها بأنيابٍ وَبَيْنَ مُشافِهِ

---

(٣٧) المصدر السابق ، ص ٤٠٢.

(٣٨) المصدر السابق ، ص ٧٠ - ٧١.

(٣٩) المصدر السابق ، ص ٢٣٩.

(٤٠) المصدر السابق ، ص ١٦١ – ١٦٢.

(٤١) المصدر السابق ، ص ٤١٠.

وَمَنْ لَمْ يُحاسِبْ نَفْسَهُ في أُمورِهِ ... يَقَعْ في عَظيمٍ مُشْكِلٍ مُتَشابِهِ

الآفات الاجتماعية :-

" كان القرن الأول مسرحا لتفاعل المؤثرات والعوامل التي ظهرت آثارها واضحة جلية في تكوين المجتمع الإسلامي في القرن الثاني الهجري ، وقد أخذت الحياة الاجتماعية في القرن الأول تتعقد بتأثرها بحضارات مختلفة ، وأصبح شرب الخمر فيها والعكوف عن الملذات شيئا طبيعيا ، ومظهرا من مظاهر الحضارة في ذلك العصر ، وكان التغير واسعا شاملا في الكوفة والبصرة وعاش الناس آنذاك على الشهوات والمتع واللهو والشراب ". [٤٢]

(وقد أدت هذه الظروف كلها إلى ظهور بعض المفاسد والعيوب الاجتماعية التي رافقت تلك الحضارة ومغرياتها ، رغم وجود تيار الزهد الذي كان انعكاسا صادقا في نفوس المتقين ضد الحياة العابثة الماجنة ، وكان يقوى ويشتد كلما أغرق المجتمع الإسلامي في لهوه وترفه ، وكان هذا التيار مرتكزا على أساس الدين والتقوى والأخذ بكتاب الله وسنة رسوله وبلغته مواعظه حيث أراد من نفوسهم واستز ل بها الدمع من محاجرهم كما يقول عبدالحكيم حسان). [٤٣]

والشعر الذي صور هذه المفاسد والعيوب اعتمد فيه أبو العتاهية على تصوير الدنيا في حقيقة باطلها ، وتوقف عند الآفات الدنيوية التي اشتملت عليها نفوس البشر في العصر العباسي ، متصدية للتراخي في أمر الآخرة ، وقد صور لنا النقائص الخلقية والعيوب الاجتماعية التي تحط من قيمة الإنسان وتهبط به إلى أدنى مستويات الضّعة والمهانة ، بنظرٍ ثاقبٍ ، وتحليلٍ دقيقٍ ، يكشف عن ميول النفس البشرية بأسلوب سلس عذب فيه تجسيم وواقعية .

وقد حرص أبو العتاهية على إظهار الآفات الاجتماعية ليعمل على تنفير الناس منها ، ومن هذه العيوب والآفات الاجتماعية ، الطمع والحرص والبخل والحسد ، وطول الأمل وهوى النفس .

الحرص :

يظهر أبو العتاهية الحرص على أنه من لؤم الطباع في النفس البشرية وأن الناس تتفاوت في حرصها على حطام الدنيا ، ويقول أبو العتاهية أشعارا في هذه الآفات محذّرا منها : [٤٤]

الحِرْصُ لؤْمٌ ومِثْلُهُ الطَمَعُ ... ما اجْتَمَعَ الحِرْصُ قَطُّ والوَرَعُ

لو قَنَعَ النّاسُ بالكَفافِ إذاً ... لا تّسَعوا في الّذي به قَنِعوا

---

[٤٢] مصطفى هدارة : اتجاهات الشعر العربي ، ص ٥٧.

[٤٣] عبدالحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي ، ص ٢٠٣.

[٤٤] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ٢١٣.

فالحرص والورع لا يلتقيان ، والحريص شقي بما يجمع ، والحرص مذلة ومنقصة كما يراه أبو العتاهية ، ويؤكد ذلك ما قالته الحكم الفارسية بقولها : قيل لأنو شروان : " سمعناكم تقولون من كرهَ العارَ فليجتنبْ خمسَ خصال فما هي ؟ قال نعم ، الحرصُ ، والشُّحّ ، واحتقارُ الناس ، واتباعُ الهوى ، والمطلُ بالعِدة " . (٤٥)

والحرص من جملة المعايب التي ابتلي بها المجتمع الذي عاش فيه أبو العتاهية ، فالناس يحرصون على جمع المال وادّخاره ، من حلاله وحرامه ، ظنّاً منهم أن حرصهم يؤمنهم من غائلة الفقر ، ويزيد في أرزاقهم ، ولكن الذين يعتقدونه هو الفقر الحاضر ، فيحذر أبو العتاهية من هذا الأمر قائلا : (٤٦)

المرْءُ يَطْلُبُ والمنيَّةُ تَطْلُبُـــهْ ... وَيَدُ الزَّمانِ تُديرُهُ وتُقَلِّبُـــهْ

ليسَ الحَريصُ بزائدٍ في رزقِهِ ... اللهُ يَقسِمُهُ لهُ ويُسَبِّبُـــهْ

فالحرص مذلة للنفس الإنسانية ، إذا اقترن بالطمع ، كما يقول أبو العتاهية : (٤٧)

أذلَّ الحرصُ والطَمَعُ الرِّقابـــا ... وقَدْ يعْفُو الكريمُ إذا استرابـــا

وأبو العتاهية يضع خلاصة تجاربه في أشعاره الوعظية ، علّها تكون نافعة للناس الذين يحبون الاعتبار في هذه الدنيا فيقول : (٤٨)

الحرصُ داءٌ قد أضَـــــــــرَّ بمَنْ ترى إلا قليـــــــلا

كَمْ من عزيزٍ قَدْ رأيـــــــــتَ الحرْصَ صَيَّرَهُ ذليـــلا

فَتجنَّبِ الشَّهواتِ واحـــــــــذَرْ أنْ تكونَ لها قتيـــلا

فعاقبة الحرص وخيمة ، وضرره بالغ في النفس ، والحريص مشغول في جمع المال واكتنازه ، والحرص عليه ، وعدم الإنفاق منه ، فهو يعيش في سكرة حب المال والحرص عليه ، فيقول : (٤٩)

ذَهَبَ الحرْصُ بأَصْحابِ الدَّلَجْ ... فَهُمْ في غَمْرةٍ ذاتِ لُجَجْ

فلا بد إن يتجرع كأس الذل والمهانة ، ولا بد أن يقع في المهالك وقد تكون نهايته بسبب حرصه ، كما يقول أبو العتاهية : (٥٠)

يُجرِّعُهُ الحِرْصُ كأْسَ الفَـــنا ... ويَحْمِلُهُ فَوْقَ ظَهْرِ الغَـــرَرْ

---

(٤٥) ابن مسكويه : الحكمة الخالدة ، ص ٥٧.

(٤٦) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ٤٧.

(٤٧) المصدر السابق ، ص ١٩.

(٤٨) المصدر السابق ، ص ٣١١ — ٣١٢.

(٤٩) المصدر السابق ، ص ٩١.

(٥٠) المصدر السابق ، ص ١٦٠.

فأبو العتاهية يقدم لنا تجربته ، ويعرض أمامنا تناقضات النفس البشرية فهي تنـــزع للدنيا وتتشبث بها وتحرص عليها ، يخالجها خوف من المصير فتهرب من صدمات هذا الوجود ، فيقول : [٥١]

ما اسْتَعْبَدَ الحِرْصُ مَنْ لَهُ أَدَبُ ... للمَرْءِ في الحِرْصِ هِمَّةٌ عَجَبُ

البَغْيُ والحِرْصُ والهَوى فِتَنٌ ... لم يَنْجُ مِنها عُجْمٌ ولا عَـرَبُ

أجل أن النفس البشرية تعيش ملحمة من الحرص الكامن في أعماق النفس لا سيما التي حرمـت في مرحلة من مراحل الحياة كأبي العتاهية ، فيصفها بالفتنة التي لم ينج منها أحد ، فالحرص فتنة ، ولكـــن المرء يبقى يبحث عن العطايا وعن الأموال ، لأنه مسكون بالخوف من غدر الزمان ، فيبحـــث عـــن وسائل تضمن له الحياة بعيدا عن هذا الخوف وهذا ما يفسر نفسية أبي العتاهية وموقفـــه مـــن المـــال وحرصه عليه ، وفي المقابل دعوته إلى الزهد في الدنيا وما فيها ، فيبدو للوهلة الأولى أن هذا تنـــاقض ، فالفقر الذي عاشه في بداية حياته ، ما زال ماثلا بين عينيه ، يخافه كلما فكر فيه ورغم كل ذلك فإننـــا نجده يحذر من الحرص لأنه قد يجرا الإنسان إلى مزالق خطيرة ويوقعه في الحرام ، ويجلب لـــه المتـــاعب النفسية والجسدية ، فالتعاسة ملازمه له في حياته التي يملأها الحرص عليه هما وغما .

وأبو العتاهية دائم التخويف والترهيب من النتائج التي يؤول إليها الحرص ، فيقول : [٥٢]

يا جامعَ المالِ منذُ كانَ ، غدا ... يأتي على ما جَمَعْتَهُ الحَـرَبُ

والورثة ينتظرون لحظة الموت ، ليأخذ كل نصيبه ، فلماذا لا يرعوي الإنسان ويقدم لآخرته ممـــا في يديه ، في الدنيا ، فالمال مال الله ، والمرء مستخلف فيه ، فيقول : [٥٣]

جَمَعْتَ من الدُّنيا وحُزْتَ وُمَنِّيتا ... ومالَكَ إلا ما وَهَبْتَ وأَمْضَيتـــا

و مالَكَ مِمّا يأكلُ النّاسُ غيرُما ... أَكَلْتَ من المال الحَلال فأفْنيتـــا

و مالَكَ إلا كلُّ شيءٍ جَعَلْتَـــه ... أَمامَكَ لا شَيْءٌ لغَيْرِكَ بَقّيتـــا

والمرء مسؤول عن أمواله ومحاسب عليها من أين اكتسبها وفيما أنفقها ، فلا بد من تسخير المـــال لخدمة الإنسان في الدنيا ولكسب الحسنات في الآخرة والسمعة الطيبة عند الناس ، فيقول : [٥٤]

إنَّ مالَ المرءِ لَيْـــسَ لَـــهُ ... مِنهُ إلاّ ذِكْرُهُ الحَسَـــنُ

مالَـــهُ مِمّـــا يُخَلِّفُـــهُ ... بَعْدُ إلا فِعْلُهُ الحَسَـــنُ

فما دام أن المال وسيلة يتصرف بها الإنسان فيما يجلب له الحمد ، والذكر الحسن ، فلماذا نحـرص عليه كي يجعل من حياتنا كلها تعبا وشقاء وتعاسة في الدنيا ، وخسارة كبيرة في الآخرة لأن الله سبحانه

---

[٥١] المصدر السابق ، ص ٢٤.

[٥٢] المصدر السابق ، ص ٢٥.

[٥٣] المصدر السابق ، ص ٦٥ – ٦٥.

[٥٤] المصدر السابق ، ص ٣٦٢.

وتعالى قد توعد الذين يحرصون على جمع المال والحرص عليه وعدم تأدية حقوق الله والبشر فيه ، قال تعالى: (والذين يكْنِزونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنفقونها في سبيلِ اللهِ فبشِّرْهُم بعذابٍ أليم ، يَوْمَ يُحْمى عليها في نارِ جَهَنَّمَ فتُكْوى بها جباهُهُمْ وجُنوبُهم وظهورُهم) .[٥٥]

فما دام أن الموت واقع لا محالة ، والإنسان لن يظفر بشيء من ماله إلا بمقدار ما ينفق منه في وجوه الخير التي تقربه من الله عز وجل ليحصل على رضاه ، لأن المرء سوف يسأل عن ماله فيما أنفقه ومما اكتسبه ، وهذه خلاصة رأي أبي العتاهية :[٥٦]

ماذا تُؤَهِلُ لا أبا لك في ... مالٍ تموتُ وأنْتَ تُمْسِكُهُ
ما لَمْ تكُنْ لَكَ فيهِ منفعَةٌ ... مما مَلَكْتَ فلسْتَ تَمْلِكُهُ
أنْفِقْ فإنَّ اللهَ يُخْلِفُهُ ... لا تَمْضِ مَذْموماً وتَتْرُكُهُ

الطمع :

صفة ذميمة في النفس البشرية ، وقد رأينا كيف صور أبو العتاهية الإنسان الحريص ، وما يجرُّ الحرصُ عليه من صفات الذُّل والهوان ، والنتائج التي يؤدي إليها الطمع تكاد تكون نفسها التي يلحقها الحرص ، فيقول : [٥٧]

إنَّ المطامِعَ ما علِمْتَ مَذلَّةٌ ... للطامعينَ وأيْنَ مَنْ لا يَطْمَعُ
سَلِّمْ ولا تُنكِرْ لِرَبِّكَ قُدْرَةً ... فاللهُ يَخْفِضُ مَنْ يَشاءُ ويَرْفَعُ
كُلُّ امرئٍ مُتَطبِّعٌ بطباعِهِ ... لَيْسَ امرؤٌ إلا على ما يُطْبَعُ

فالطمع مذلة للطامعين ، والمرء بطبيعته يحب الاستزادة من كل شيء ، ويبقى طامعا في المال والملذات ، إلا من تدارك هذه النفس ، ونهاها عن غيها وطمعها وجاهد نفسه وهواه ، في الحد من طمعها عن طريق اليقين والتوكل على الله والانقياد له عز وجل والتسليم بقضائه وقدره على الإنسان ، فالرزق مقسوم من عند الله عز وجل .

والذي يطلق العنان لنفسه فإنها ستوقعه في ربق الاستعباد ، ويصبح أسيرا لطمعه ، منبوذا في مجتمعه ، وأبو العتاهية يوضح هذا النهج من خلال تجربته العميقة ، قائلا : [٥٨]

ما اسْتَعْبَدَ المرءَ كاستعبادِ مَطْمَعِهِ ... ولا تَسَلّى بمثْلِ الصَّبْرِ واليأسِ

رأينا أن الطمع ذل واستعباد ، وصاحب الطمع عبد لمطامعه يمضي وقته لاهثاً وراء مطامعه ، كما يقول أبو العتاهية : [٥٩]

---

[٥٥] سورة التوبة ، الآية ٣٤ ، ٣٥.

[٥٦] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ٢٧٧.

[٥٧] المصدر السابق ، ص ٢٠٩.

[٥٨] المصدر السابق ، ص ١٩٠.

عَبْدُ المطامعِ في لباسِ مَذلَّـــــــةٍ ... إنَّ الذليلَ لَمَنْ تَعَبَّدُهُ الطَمَـــعْ
ولرُبَّمَا مُحِقَ الكثيرُ وَرُبَّمَـــــا ... كَثُرَ القليلُ إلى القليلِ إذا جُمِعْ
والمرءُ أَسْلَمُ ما يكون بدينـــــهِ ... عِنْدَ التَحَفُظِ والسَّكينةِ والـوَرَعْ

فإذا أراد الإنسان أن ينأى بدينه عما هو مشين له ، فعليه أن يبتعد عن الطمع وأن يروض نفسه على الورع والزهد في هذه الدنيا ، لينال ما تشتهيه نفسه في الحياة الآخرة في جنة عرضها السماوات والأرض ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

والقناعة هي المأمن من خطر الطمع كما يقول أبو العتاهية : [٦٠]

حتّى مَتى يَسْتَفزُّني الطَمَـــعُ ... أَليْسَ لي بالكفافِ مُتَّسَـــعُ
ما أفْضَلَ الصَّبْرَ والقناعَةَ للـــ ... ـناسِ جميعاً لو أنَّهم قَنِعـــوا

والنفس البشرية كثيرة الإلحاح على صاحبها من أجل تحقيق مطامعها التي تتمناها ، لذا يصور ذلك أبو العتاهية بقوله : [٦١]

إنَّ مَنْ يَطمَعُ في كُلِّ مُـــنىً ... أطمَعَتْهُ النَفْسُ فيها لَطَمِـــعْ
وقَنوعُ المرءِ يَحْمي عِرْضَـــهُ ... ما القَريرُ العَيْنُ إلا مَنْ قَنَـــعْ
وسرورُ المرءِ فيـــــما زادَهُ ... وإذا ما نَقَصَ المرءُ جَـــزِعْ

فالطمع مثلمة لعرض الإنسان ، فقد يؤدي بالإنسان إلى جمع المال ، ليصبح هدفاً وغاية ، دون النظر إلى الوسيلة ، فما على المرء إلا أن يصون عرضه ونفسه بطرد شبح الطمع من نفسه المجبولة على حب التملك، بالقناعة فيما رزقه الله عز وجل .

ونلاحظ أبا العتاهية يسدي النصح مشفقا على أبناء جنسه ، فيقول : [٦٢]

لا خَيْرَ لا خَيْرَ للإنسانِ في طَمَعٍ ... يَصيرُ منْهُ إلى ذُلٍّ ومَحْقَرَةِ
استغفرُ اللهَ مَن ذَنْبي وأسألُـــهُ ... عَيْشاً هنيئاً بأخلاقٍ مُطَهَّرةِ

والطمع لا يأتي بخير البتة ، بل يجلب المساوئ والشرور للإنسان ، فيجعله يحمد الحرام ، ويذم الحلال ، ويلبس الإنسان ثوب المذلة : [٦٣]

قَيِّدْ عَنِ الدُّنيا هَواكَ بسَلْـــوَةٍ ... واقْمَعْ نشاطَكَ في الهَوى بنكـالِ
بَرِّدْ بيأسِكَ عَنْكَ حَرَّ مطامـــعٍ ... قَدَحَتْ بعقْلِكَ أَثْقَبَ الأشْعـــالِ

---

[٥٩] المصدر السابق ، ص ٢٢٥.

[٦٠] المصدر السابق ، ص ٢٣٠.

[٦١] المصدر السابق ، ص ٢٢٠.

[٦٢] المصدر السابق ، ص ٨٦.

[٦٣] المصدر السابق ، ص ٢٨٨.

وأبو العتاهية يحاول عرض مساوئ الطمع على الإنسان ، مرهّباً منفّراً ، فيقول : [٦٤]

وإذا طَمِعْتَ لبسْتَ ثوبَ مَذَلَّـــةٍ إنَّ المطامِعَ معْـــدِنُ الإذلالِ

الحسد:

الحسد شر من شرور النفس الإنسانية ، منذ أن قتل قابيلُ هابيلَ ، وإخراج إبليس آدم من الجنة ، حين أبى أن يسجد له ، ولعل أبا العتاهية عانى من الحسد ، شأنه شأن كل الذين اشتهروا في مجتمعاتهم ، عن طريق الأشعار أو المناصب التي تقلدوها ، فهو لم يسلم من شر الحسد والحاسدين ، فقد حاكوا حوله القصص والحكايات الكاذبة ، واتهموه مرة بالزندقة ، ومرة بالبخل وغرض هذه الدراسة أن تكشف زيف هذه الاتهامات في طيات فصولها ، أما فيما يتعلق بالحسد والتحذير منه فقدر وردت أشعار أظهرت الحسد خلقا ذميما ، فمنها قوله : [٦٥]

مَنْ حَسَدَ النّاسَ على مالِهِـــم تَحَمَّلَ الهَمَّ بأَعْبائِـــــــهِ

فالحسد لا يجلب إلا الهم لصاحبه ، وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خطورة الحسد في حياة الإنسان المسلم بقوله :- « إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » . [٦٦]

والمؤمن يغبط ولا يحسد ، والمنافق هو الذي يحسد ، لأن في الحسد تمني لزوال النعمة عن الإنسان ، والحسد أمر خطير يلحق الضرر بالناس وهذا واضح في قول أبي العتاهية : [٦٧]

يُحْسَدُ المرءُ في النَّعيم صَباحا ثُمَّ يُمْسي وعَيْشُهُ مَذْمـــومُ

وقد أوردت الحكم الفارسية بعض أقوال الحكماء فيما يتعلق بالحسد كقولهم : " في الحسد اثنتان ، كمد عاجل يثلم العقل ، وكدر حادث في العيش " . [٦٨]

فهذه نتائج الحسد وثماره التي يجنيها الحسود ، إضافة إلى الضرر الذي يوقعه الحاسد في نفس المحسود .

فالحاسد عدو لدود ، يحسد الناس وهو دونهم ، ويؤكد ذلك قول أبي العتاهية :

مَنْ سادَ بالجهلِ أو قَبْلَ الرُّسوخ فِلا تَرادُ إلا عَداوَةً المُحقينـــا

يَبْغي ويَحْسُدُ قوماً وهْوَ دُونَهُـــم ضاهى بذلكَ أعداءَ النبيّينا

---

[٦٤] المصدر السابق ، ص ٢٨٩.

[٦٥] المصدر السابق ، ص ٥.

[٦٦] الحنبلي : جامع العلوم والحكم ، ص ٤٤

[٦٧] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ٣٤٠

[٦٨] ابن مسكويه : الحكمة الخالدة ، ص ٨١.

وأبو العتاهية يقف من الحسد هذا الموقف ، ولا يخفي ما في نفسه من حب للمنافسة الشـــريفة ، لأنها فضيلة داعية إلى اكتساب الفضائل والاقتداء بأخبار الأفاضل ، فالمنافسة تشبه بالأفاضل من غـــير إدخال الضرر عليهم ، وهذا هو الفرق بين الحسد والغبطة .

البخل :

لقد تحدث أبو العتاهية في أشعاره عن هذه الآفة الاجتماعية ، وتوقف عندها وعاب على من يبخـل بماله ولا ينفقه فيما ينفعه في الآخرة ، غير أن بعض الروايات التي أوردها المصادر القديمة تعيب على أبي العتاهية حديثه عن البخل ، وتتهمه بالبخل،وحتى تتضح الصورة وتنجلي الحقائق لا بد من التوقف عند هذه القضية في محاولة لدفع هذه التهمة التي قد تكون ملفقة على هذا الشاعر ، ودافعها الحسد ، فـأبو العتاهية له أعداؤه ، شأنه شأن كل الشعراء الذي طارت شهرتهم وذاع صيتهم في الآفاق ، فلا يخلـــو من حسد الحاسدين الذين راحوا يكيلون له التهم الواحدة تلو الأخرى ، يقول الكفراوي : " أمـــا فيما يتعلق ببخله بما في يده رغم كثرته ، فقد وردت فيه قصص كثيرة لعل الرواة قد تزيدوا فيها رغبـة في إثارة السامع والترويح عنه " [٧٠] فالإثارة قد تكون قضية أخرى دفعت بأعدائه لترويج مثل هـــذه القصص فإذا سمحنا لمنطق العقل أن يناقش هذه القضية ، لأفاد بأن الناس كلهم يحبون المال ويحرصـــون عليه ، فلماذا يعاب على أبي العتاهية حبه للمال وحرصه عليه ، وهو الإنسان الذي عاش عيشة الفقـــر المدقع الذي ما زال شبحه يخيفه ، فالتجربة الأولى أثرت في نفسه وجعلته يخاف من تكرار تلك التجربـة المفزعة ، فكم من غني أصبح فقيرا ، وكم من أناس أمسوا يفترشون الحرير ، وأصبحـــوا يفترشـــون التراب ، فهذه قضية أرّقت الشاعر كثيرا ، وعبّر عنها بقوله : [٧١]

ألم تَرَ أنَّ الفقْرَ يُرجى لَهُ الغِنى وأنَّ الغنى يُخْشَى عليهِ من الفَقْرِ

والتجارب علمته ، وجعلته يصدر هذه الحكمة الرائعة ، التي طرقها غيره من الشعراء .

والإسراف مرفوض في ديننا ، والتقتير كذلك ، فلا بد إذن من الاعتدال ، والوســـطية ، ومـــن يتصفح الأخبار التي أوردها المصادر القديمة ، وتابعها فيها الباحثون ، يجدها ملفقة كاذبة في معظمـــها ، اتهم بها الرجل اتهاما ، وهو بريئ منها ومع ذلك كله ، فإنها أخبار تظل تحيـــط بالشـــاعر ، يناقشـــها الباحثون ، وتتناقلها المصادر ، فلا غرابة في ذلك ، فالمتهم يبقى بريئاً حتى تثبت إدانته .

حتى أن بعض الدارسين أشار إلى أن الفرس يتصف أغلبهم بالبخل متكئين على آراء الجاحظ الـــتي يصف بها أهل (مرو) ومدى بخلهم ، فيسحبون هذا الحكم على أبي العتاهية ، قياسا على أصله ، ويمكن القول إن أبا العتاهية كان مقتصدا في نفقته ، مدبرا لمعيشته بطريقة تخلصه من تلك المعانـــاة المريـــرة ،

---

[٧٠] محمد الكفراوي : أسطورة الزهد ، ص ٩٨.

[٧١] أبو العتاهية أشعاره وأخباره هامش ، ص ١٤٥.

والحياة الفقيرة التي عاشها ، وإن تهمة البخل قد دبرت له من قبل " سلم الخاسر " * حين هجـــاه أبـــو العتاهية .

والذي جعلني أتوصل إلى هذه النتيجة هو ما قاله الشاعر من أشعاره تدلل على بغضـــــه للبخـــل والبخلاء،ومن هذه الأشعار قوله : [٧٣]

أيُّها الطالبُ الكَثيرَ ليَغْنـــــى ... كُلُّ مَنْ يطْلُبُ الكَثير فَقيـــرُ
وأَقَلُّ القليل يُغْني ويَكْفـــــي ... ليْسَ يُغني وليْس يكفي الكَثيرُ

فلو كان بخيلا لما استطاع أن يرسم صورةً لحياة الكفاف المليئة بالزهد بقوله : [٧٤]

غنى المرءِ ما يَكْفيه مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ ... فإنْ زادَ شيئاً عادَ ذاكَ الغنى فقْرا

وقوله : [٧٥]

واجْعَلِ المالَ إلى اللـــــهِ زاداً ... واجْعَلِ الدُّنيا طَريقاً وجِسْـــرا
إنّما التاجرُ حَقّاً يقينـــــــاً ... تاجرٌ يربَحُ حَمْداً وأَجْـــــرا

وثمة قضية أخرى تجعلنا نزداد يقينا بأن أبا العتاهية ليس بخيلا ، وهي أن الطبقة التي عـــاش بينـــها الشاعر ، فقيرة محرومة ، في الوقت الذي كان أبو العتاهية يحصل على بعض العطايا والهبات من قصـور الخلافة ، فالناس والحالة هذه ينظرون إليه نظرة العيون الفارغة ، ويريدون منه أن ينفق كل ما يملـــك كي يشملهم ذلك العطاء .

فالمجتمع،الأغنياءُ فيه يزدادون غنى ، والفقراءُ يزدادون فقرا ، وأحياناً يرافق الغنى شيءٌ من الحرص ، فهو يرسم هذه الصورة بقوله : [٧٦]

إنْ كُنْـــتَ مـــتَّخذاً خليـــلاً ... فَتَلَبَّثْ و انتقدِ الخَليـــــــلا
ولرُبَّما سُئِلَ البـــخيـــــــــلُ ... لُ الشَّيْءَ لا يَسْوى فتيـــــلا
فَاضْرِبْ بطَرْفِكَ حَيْثُ شئـــــــ ... تَ فلَنْ ترَى إلا بخيـــــــلا

ويمكن القول بأن صاحب النعمة محسود ولا بد وأن يغمز بالبخل وغيره ، وأن الرواة تســـتهويهم مثل تلك الروايات من أجل الطرافة والتندر .

---

* سلم الخاسر :- شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، كان يلقب بالخاسر لأن أباه خلّف له مالاً فأنفقه على الأدب ويقال أنه رهن القرآن الكريم بطبنور

[٧٣] المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٧.

[٧٤] المصدر السابق نفسه ، ص ١٥.

[٧٥] المصدر السابق ، ص ١٦٣.

[٧٦] المصدر السابق ، ص ٣١١ ــ ٣١٢.

ولا ننسى أن الله عز وجل قد رسم طريقا واضحاً لكل من أراد أن يمضي قدما في طريق النجاح والفلاح ، قال تعالى : ﴿ و لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلولةً إلى عُنُقِكَ و لا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فتقعُدَ ملوماً مَحْسورا ﴾ . (٧٧)

طول الأمل وهوى النفس :

وهما من الآفات التي تنطوي عليها نفوس البشر ، وتدفعهم نحو التسويف والانشغال عن الأمور التي فيها صلاح دينهم ودنياهم ، وأبو العتاهية في وعظه أخذ يحذر الناس من اغترارهم بطول الأمل ، رغم قصر الأجل ، فيقول : (٧٨)

امْهَد لنفْسِكَ واذْكُرْ ساعَةَ الأَجَلِ ... ولا تُغَرَّنَّ في دُنْياك بالأَمَلِ

لا تَلْعَبَنّ بكَ الدُّنيا وزُخرُفُها ... فإنها قُرِنَتْ بالظِّلِّ في المَثَلِ

وهوى النفس يحتاج إلى مجاهدة وترويض للنفس ، لأن الإنسان يعيش حالة من الصراع بينه وبين هوى النفس ورغباتها التي لا تنتهي عند حد ، وهذا الصراع عاشه أبو العتاهية وعبر عنه بوضوح ، معترفا بقوة الصراع الذي تعيشه النفس الأمارة بالسوء،فيقول : (٧٩)

أَشَدُّ الجهادِ جهادُ الهَوى ... وما كَرَمُ المرءِ إلاّ التُّقَى

مجاهدة النفس من أصعب الأمور على النفس إذا ما تعلقت بالدنيا وزخرفها ، وفسحة الأمل في الحياة أمر مرغوب فيه إن لم يقترب بالغفلة التي تنسي المرء الغاية التي خُلق من أجلها ، للوصول إلى المصير الذي رسم للبشرية،فيقول : (٨٠)

سَهَوْتُ وغَرَّني أَملي ... وَقَدْ قَصَّرْتُ في عَمَلي

ومَنْزِلَةٍ خُلِقْتُ لها ... جَعَلْتُ بخيرِها شُغْلي

أرى الأيّامَ مُسْرِعَةً ... تُقَرِّبُني إلى أَجَلي

فالأجل مستور بالأمل ، والأمل الذي لا يلهي ولا يشغل عن الآخرة هو من الأمور التي تضفي على الحياة نوعا من الإيجابية والتوازن ثم يقول : (٨١)

كُلُّ فُقْدامٍ له أَمَلٌ ... يُلْهي ولكنَّ خَلْفَهُ الأَجَلا

والأمل مطية الأجل ، وهو الذي يحث الخطى مسرعا نحو الأجل المحتوم على الإنسان ، فربما كان أمل المرء سبب في أجله كما يقول : (٨٢)

---

(٧٧) سورة الإسراء ، الآية ٢٩.

(٧٨) المصدر السابق ، ص ٢٩٤ – ٢٩٥.

(٧٩) المصدر السابق ، ص ٢٦.

(٨٠) المصدر السابق ، ص ٢٩٩ – ٣٠٠.

(٨١) المصدر السابق ، ص ١٩٨.

ما أقْطَعَ الآجالَ للآمـــــــال ... وأسْرَعَ الآمالَ في الآجـــــال

وكُلُّ شيءٍ فإلـــــــى زوالٍ ... يا عجبا مِنّي بما اشْتغالـــــي

فآمالنا هي التي تخدعنا ، وتجعلنا نعيش في غفلة ، حتى إذا جاء الموت انتبهنا ، فيقول : [٨٣]

خَدَعَتْنا الآمالُ حتىّ طَلَـــــبْنا ... وجَمَعْنا لغيـــــرنا وسَعَيْنـــا

فالنفس راغبة إذا نحن رغّبناها فلا بد من كبح جماحها ، فيقول : [٨٤]

نَصَبْتِ لنا دُونَ التفكّرِ يا دُنيْـــــا ... أمانيَّ يَفْنى العمرُ من قَبْلِ أن تَفْنى

متى تَنْقضي حاجاتُ مَنْ ليسَ واصلاً ... إلى حاجةٍ حتـــى تكونَ له أُخرى

والمرء مشغول في هذه الحياة بقضاء حوائجه التي لا تنتهي عند حدٍ ، والآمال التي في النفوس كبيرة ، تتحدث بها النفس دائما ، ولا يُخلِّص المرء منها إلا الرضى بما قدر الله عليه ، فيقول : [٨٥]

اللهُ أصْدَقُ والآمـــالُ كاذبـــةٌ ... وكلُّ هذي المُنى في القَلْبِ وَسْواسُ

والخيرُ أجمعُ إنْ صَحَّ الرِّضى لك فيـــ ... ما يَصْنَعُ اللهُ لا ما يَصْنَعُ النـــاسُ

النقائص الخلقية "النفاق والرياء" :

من المعايب الأخلاقية ، التي توقف عندها أبو العتاهية ، وحاول إبرازها محذرا من خطورتها ، النفاق والرياء ، لأن هذه الصفات الذميمة ، سبب في تحقيق المكاسب المادية أحيانا ، فالنـــاس مـــع الغـــني وصاحب السلطان والجاه ، وان ألمّت به حادثة من حوادث الدهر ، تخلوا عنه ، وكانوا عبئا جديـــدا مضاف إلى ما ألحقه به الدهر من مصائب ، وهذا ما عبَّر عنه أبو العتاهية الذي يحاول جاهدا إبراز هـــذه الصفات للتنفير منها ، ومعالجة هذه الأمراض الاجتماعية ، فيقول : [٨٦]

ما النّاسُ إلا للكثيرِ المالِ أو ... لِمُسَلَّطٍ ما دامَ في سُلطانـــهِ

فإذا الزمانُ رمَى الفتى بمُلِمّةٍ ... كانَ الثقاتُ عليه من أعْوانهِ

والناس يميلون حيث يميل صاحب الغنى مع ما في نفوسهم من حقد وحسد وينظرون للأغنياء نظرة احترام وتقدير ، ويجعلونهم موضع رعايتهم ، فيعبر عن ذلك بقوله : [٨٧]

مَنْ كانَ فوقي في اليَسار مَنَحْتُهُ التـــ ... ـــعْظيمَ واستَصْغَرْتُ مَنْ هو دوني

---

[٨٢] المصدر السابق ، ص ٣٠٢.

[٨٣] المصدر السابق ، ص ٣٦٦.

[٨٤] المصدر السابق ، ص ٧ – ٨.

[٨٥] المصدر السابق ، ص ١٩٣.

[٨٦] المصدر السابق ، ص ٤٠١ ،

[٨٧] المصدر السابق ، ص ٣٩٥.

فهو ساخط على الناس ، وعلى الزمان الذي يعيشون فيه ، وأحوال الناس قد تغيّرت وتبدلـــت ، فبعض الناس تربطهم علاقة أساسها المصالح المادية المبنية على النفاق : [٨٨]

كُلّ يوازِنُكَ المودّةَ دائبـــاً ... يُعْطي ويأخُذُ مِنْكَ بالميزانِ

فإذا رأى رجحانَ حبةِ خَرْدَلٍ ... مالَتْ مودَّتُه مَعَ الرُّجحانِ

فالناس في زمانه نفعيون ، ينتهزون الفرص للوصول إلى مطامعهم ، فالصداقة مرتبطة ارتباطا وثيقـا بالبذل والعطاء فيرسم صورة هذه العلاقة بقوله : [٨٩]

المرءُ منظورٌ إليـــــــهِ ... ما دامَ يُرْجى ما لديهِ

منْ كُنْتَ تبغي أن تكـــو ... نَ الدَّهْرَ ذا فضلٍ عليهِ

فابذُلْ لهُ ما في يديـــــــ ... كَ وأَغْضِ عَمّا في يديهِ

وأبو العتاهية يبذل النصح في ذلك ، وهو يتهكم عليهم بأسى ومرارة ، ويرسم لهم طريق المعاملـة الصحيحة من خلال إظهار هذه المعايب الخلقية . [٩٠]

وقد استمد أبو العتاهية بعض معانيه من الحكم الفارسية ، ووظفها في أشعاره كقولهم : « الحســد والكذب والنفاق أثافي الذل » . [٩١]

الغدر والمكر :

أبو العتاهية متبرم بالناس وبأخلاقهم ، فهم يجاهرونه العداء، ويقابلون نصحه بنكـران الجميـل ، يلحقون به الظلم ، ويلصقون به التهم ، فيصور مدى غربته في مجتمعه قائلا : [٩٢]

فيا رَبِّ إنَّ الناسَ لا يُنْصفونَني ... وكيفَ ولو أنْصَفتُهم ظَلموني

وإنْ كانَ لي شيءٌ تصدَّوا لأخْذهِ ... وإنْ جئتُ أبغي شَيْئَهم منَعوني

وإنْ نالَهُم رِفْدي فلا شُكْرَ عندَهُم ... وإنْ أنا لَمْ أبذلْ لهُم شتَمونـــي

وإنْ وَجَدوا عندي رخاءً تقرَّبـــوا ... وإن نَزَلتْ بي شِدةٌ خَذَلونـــي

وإنْ طرقتني نكبةٌ فكهوا بهـــــا ... وإنْ صحبتني نعمةٌ حَسَدونـــي

فهو يحكم على قومه باللؤم والحطة ، فهم إن وجدوا مطمعا عند المرء تقربوا منه وإن نزلت به ضائقـة خذلوه ، وتركوه وحيدا يصارع الزمن ، فالغدر طبع في نفوسهم ، والعيب في النـــاس لا في زمـانهم

---

[٨٨] المصدر السابق ، ص ٣٧٢.

[٨٩] المصدر السابق ، ص ٤٠٨.

[٩٠] أسامة عانوتي : أبو العتاهية رائد الزهد ، ص ١٠٨.

[٩١] ابن مسكويه : الحكمة الخالدة ، ص ١٢١.

[٩٢] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ٣٦٥.

والتعمق في فهم أشعاره يجعلنا نحس بمدى الغربة التي يعاني منها في مجتمعه ، وهذا ما جعله يلقي باللوم على الناس لا على الزمن ، فالذي لا يواتيه ينفر منه ويبتعد عنه ، فيقول : [٩٣]

يا خَليليَّ لا أَذُمُّ زمانـــــي ... غَيْرَ أَني أَذمُّ أَهْلَ زمانـــــي
لستُ أُحصي كَمْ أخٍ كان لي منـ ... ـهُم قليلُ الوفاءِ حُلو اللّسانِ
لم أجِدْهُ مؤاتياً فتصـــدّقْـ ... ـتُ بحظي منْهُ على الشَيْطانِ

فالناس في كل المجتمعات غالبا ما يلبسون مسوح الضأن ، ألسنتهم أحلى من العسل ولكنهم كالذئاب غدرا وقلة وفاء ، فيقول : [٩٤]

والدَّهرُ يَخْدَعُ من تَرى عن نفْسِهِ ... إنَّ ابنَ آدمَ يَسْتريحُ إلى الخُدَعْ

والغدر قد يكون طبع في بعض الناس ، ولكن الغدر والمكر السيء سيحيقان بأهلهما : [٩٥]

أحبالُ المرءِ تأتي عليهِ ... ساعةٌ تقطَعُ كُلَّ احتيالِ

الظلم والبغي :

ولأن الظلم ظلمات يوم القيامة ، فأبو العتاهية دائم التحذير من عواقب الظلم إذْ أن مرتع الظلم وخيم ، فيقول : [٩٦]

أَما واللهِ إنَّ الظُّلْمَ لُؤْمُ ... وما زالَ المسيءُ هُو الظلومُ

فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ، فيقول منفّرا من مغبة الظلم : [٩٧]

إيّاكَ والظُّلْمَ إنه ظُلَمٌ ... إيّاكَ والظَّنَّ إنّهُ كَذِبُ

وإذا نامت عيون الظالمين ، فعيون المظلومين لم تنم ، وأن الله ناصر المظلوم ولو بعد حين ، فيعبر عن ذلك بقوله : [٩٨]

رَقَدَتْ عُيونُ الظالمين ولَمْ ... تَرْقُدْ لمظلومٍ مَظالِمُهُ

والظالم خاسر لا محالة ، وستغلب العواقب عليه ، فيقول : [٩٩]

والبَغْيُ يَصْرَعُ أهْلَهُ ويُريكَهُمْ ... وجَميعُهم مِنْ صَرْعِهِ يتَأَوَّهُ

ويقول : [١٠٠]

---

[٩٣] المصدر السابق ، ص ٣٦٩.

[٩٤] المصدر السابق ، ص ٢٢٤.

[٩٥] المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

[٩٦] المصدر السابق ، ص ٣٥٣.

[٩٧] المصدر السابق ، ص ٢٥.

[٩٨] المصدر السابق ، ص ٣٦٠.

[٩٩] المصدر السابق ، ص ٤٠٩.

[١٠٠] المصدر السابق ، ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

صاحبُ البَغْيِ لَيْس يَسْلَمُ مِنْهُ ... وَعلى نَفْسِهِ بَغى كُلُّ باغِ
أَبْلَغَ الدَّهْرُ في مواعظِهِ بَلْ ... زادَ فيهِنَّ لي عَلى الإبلاغِ

التكالب على الدنيا

يرى أبو العتاهية مدى تفاهة الدنيا والصراع عليها ، لأنها زائلة وفانية ولكن الناس منشغلون فيها عن الآخرة فيقول : [١٠١]

لو شَمَّرَتْ فِكْرَتي فيما خُلِقْتُ لَهُ ... ما اشتَدَّ حِرْصي على الدُّنْيا ولا طَلَبي

والتكالب على الدنيا هو الذي يدفع الناس باتجاه هذه الآفات الاجتماعية ، والنقائص الخلقية ، فحب الدنيا يعمي الإنسان عن التفكر في المصير المحتوم ومن مظاهر التكالب على الدنيا الغرور والتيه والكبرياء .

الغرور والكبرياء :

من النقائص الخلقية التي أتصف بها الناس في مختلف العصور ، ونراهما متعمقين في العصر الذي عاش فيه الشاعر ، الكبرياء والغرور ، وهما صفتان ذميمتان ، غالبا ما تظهران عند أولئك الذين يعيشون في قصور الخلافة ، وعند المتنفذين ، وأصحاب الجاه والسلطان ، وقد شن أبو العتاهية على هؤلاء حربا لا هوادة فيها ، فيقول : [١٠٢]

حتّى متى ذُو التيهِ في تيهِهِ ... أَصْلَحَهُ اللهُ وعافاهُ
يَتيهُ أهلُ التيهِ مِنْ جَهْلِهِمْ ... وَهُمْ يموتونَ وإنْ تاهوا
مَنْ طَلَبَ العزَّ ليبقى بِهِ ... فإنَّ عِزَّ المرءِ تقْواهُ
لم يعتَصِمْ باللهِ من خَلْقِهِ ... مَنْ لَيْسَ يَرْجوهُ ويَخْشاهُ

فهو يذكر الذين يتيهون ويتكبرون في هذه الحياة بما هو أقوى من كبريائهم وصلفهم ألا وهو الموت ، فمن يتذكر الموت لابد وان يخفف من كبريائه وعجبه وهذا تقريع للمتكبرين كما يقول : [١٠٣]

للموتِ أبناءٌ بِهِمْ ... ما شِئْتَ من صَلَفٍ وَتيهِ
وكأنّني بالموتِ قَدْ ... دارَتْ رحاهُ على بنيهِ

فهو يذكر الإنسان المتكبر بالأصل الذي منه خلق وهو التراب بقوله : [١٠٤]

من ترابٍ خُلقْتَ لا شَكَّ فيهِ ... وغداً أَنْتَ صائرٌ للتُّرابِ
كيفَ تَلْهو وأنتَ من حَمإِ الطّيـ ... ـنِ وتَمْشي وأنتَ ذو إعجابِ

---

[١٠١] المصدر السابق ، ص ٣١.

[١٠٢] المصدر السابق ، ص ٤١٣ – ٤١٤.

[١٠٣] المصدر السابق ، ص ٦٧٠.

[١٠٤] المصدر السابق ، ص ٤٣.

فخفِ اللهَ واتْرُكِ الزَّهوَ واذكُرْ مَوْقِفَ الخاطئين يَوْمَ الحسابِ

فالتواضع في ذاك الزمان بدعة ، والكبر سنة كما يقول : [١٠٥]

وَاعلَمْ بأنَّكَ في زمانٍ مُشَبَّهاتٍ هُنَّ هُنَّهْ
صارَ التواضُعُ بِدْعَةً فيه وصارَ الكِبْرُ سُنَّهْ

والكبر يكسب المقت ، ويلهي عن التآلف ، ويوغر صدور الناس ، ويخفي المحاسن ويظهر المساوئ

الحقد واللؤم :

الحقد من لؤم الطباع ، وخبث الأصل في نفوس بعض البشر ، فصاحبها مبتلي في هاتين النقيصتين ويشير أبو العتاهية إلى ذلك بقوله : [١٠٦]

مَنْ لزمَ الحِقْدَ لَمْ يَزَلْ كَمِداً تُغرِقُهُ في بُحورها الكُرَبُ

ويحذر من ذلك بقوله : [١٠٧]

وَقَدْ عَرَفْتُ اللئامَ ليسَ لَهُمْ عَهْدٌ ولا خلَّةٌ ولا حَسَبُ
أحذرْ عليْكَ اللئامَ إنَّهُمُ ليْسَ يُبالونَ منْكَ ما ركِبوا
فَنِصْفُ خُلْقِ اللئامِ مُذْ خُلقوا ذلٌّ ذَليلٌ ونصفُهُ شغَبُ
فِرَّ منَ اللؤمِ واللئامِ ولا تَدْنُ منهُمْ فإنَّهم جَرَبُ

فهم يعدون كما يعدي الأجرب ، لذا نجده لا يترك فرصة إلا وينفر منهم كي لا يقع الناس في شراكهم ، لأن اللئيم لا يرقب في الله إلاً ولا ذمة ، فيقول : [١٠٨]

إذا لُجَّ أهلُ اللؤمِ طاشَتْ عُقولُهم كذاكَ لجاجاتِ اللئامِ إذا لَجّوا

النقد الاجتماعي :

- أولا : التنافس على الرئاسة والمناصب :

لقد ظهر في العصر العباسي تيار الترف بين الطبقة الحاكمة وكبار رجال الدولة ، وكان ذلك على حساب طبقة العامة المحرومة التي تقوم على شظف العيش والشقاء ، وكان هذا الوضع السائد مدعاة إلى النقمة على هذه الحياة المنحرفة ، وظهرت هذه النقمة في أشعار أبي العتاهية بأسلوب ناقد ، متخذا موقفا لا يحيد عنه وهو العودة إلى المثل الإسلامية ، فرأى أبو العتاهية أن يخفف من حدة هذا التنافس

---

[١٠٥] المصدر السابق ، ص٤٠٤.
[١٠٦] المصدر السابق ، ص ٢٤.
[١٠٧] المصدر السابق ، ص ٢٥.
[١٠٨] المصدر السابق نفسه ، ص ٩٣.

مصورا مساوءه وما يجره على المجتمع من قلب للموازين ، وتسلم للمناصب من قبل أناس لا يستحقونها ، فأحدثوا في المجتمع خللا من خلال ترفهم وحبهم للمناصب،فيقول : [١٠٩]

حُبُّ الرئاسة أطْغى منْ عَلى الأرض ... حتَّى بَغى بعضُهم فيها على بَعْض
فحَسْبي اللهُ ربي لا شريكَ لـــهُ ... إليه ما كانَ من بَسْطي ومن قَبْضي
إنَّ القنوعَ لزادٌ إن رضيتَ بـــه ... كنتَ الغنيّ وكُنْتَ الوافرَ العِرْض

ثم يؤكد صورة التطاحن السياسي والتنافس الذي بدا واضحا بل كان على أشده في ذلك العصر فيقول : [١١٠]

طَلَبُ الرئاسة ما علمـــت ... تُ تفاقَمَتْ فيه النَّفاسَهْ
والناسُ يَخْبطُ بعضُهـــم ... بعْضاً على طَلَبِ الرئاسهْ

ومن مظاهر هذا التنافس كثرة النفاق والمتاجرة بالعقائد والقيم في سبيل الوصول لتلك المناصب ، فالمناصب غاية ، والغاية تبرر الوسيلة كما بيَّن أبو العتاهية في وصفه لذلك المجتمع ،(فالمتنفذون يتصفون بالنفاق السياسي طلبا للوجاهة ، ولا يبالون باستباحتهم المحرمات ، وتحليل الحرام وتحريم الحلال ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ووصل ما أمر الله به أن يقطع يستهينون بكل مكرمة ، ويتاجرون بكل عقيدة). [١١١]

ويصور هذه الفوضى السياسية قول أبو العتاهية في هذه الأبيات : [١١٢]

حُبُّ الرِّئاسة داءٌ يُخلِقُ الدِّنيـــا ... ويَجْعَلُ الحبَّ جُرْماً للمحبينا
يَفْري الحلاقِمَ والأرحامُ يَقْطَعُها ... فلا مروءةَ يُبْقي لا ولا دينا

وقوله : [١١٣]

أأُخيَّ مَنْ عَشِقَ الرئاسةَ خفْتُ أنْ ... يَطْغى ويُحْدِثَ بِدْعَةً وضَلالا
أأُخي إنّ الدارَ مدْبِـــرةٌ وإنْ ... كُنّا نَرى إدْبارَها إقبـــالا

ثانيا: نقد الحكام وتوجيههم

صور أبو العتاهية في نقده ذلك التناقض الكبير بين طوائف المجتمع ، فأصبحت أشعاره صدى لتلك الأوضاع ، فكان يوجه أشعاره لعامة الناس ، وكذلك الخاصة ، فيوجه الخليفة ، نحو العمل على إزالة هذا التناقض ، والنظر بعين العطف والرحمة إلى حال الطبقة المسحوقة في المجتمع ، وقصيدته التي يصف

---

[١٠٩] المصدر السابق ، ص ٢٠٣.

[١١٠] المصدر السابق ، ص ١٩٥.

[١١١] أسامة عانوتي ، أبو العتاهية رائد الزهد ، ص ١١٨.

[١١٢] أبو العتاهية أشعاره وأخباره هامش ، ص ٣٩٩.

[١١٣] المصدر السابق ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩.

فيها أحوال الأمة وما لحق بها من جوع وعري ، تعتبر صيحة نقدية مدوية ذات أثر عظيم في نفوس الخلفاء ، لعلهم يخرجون من قصورهم ونعيمهم ، ليتحسسوا أحوال الشعب الذين ضاقت بهم الحياة ذرعا ، فيقول : [١١٤]

مَنْ مُبلِّغٌ عنّي الإما ... مَ نصائحاً متواليَهْ
إنّي أرى الأسْعارَ أسـ ... ـعارَ الرَّعيّةِ غاليَهْ
وأرى المكاسبَ نَزْرةً ... وأرى الضَّرورةَ فاشيَهْ
وأرى عُمومَ الدَّهر را ... ئحةً تَمُرُّ وغاديَهْ
وأرى المراضِعَ فيه عَنْ ... أوْلادِها مُتجافيَهْ
وأرى اليتامى والأرا ... مِلَ في البيْتِ خاليَهْ
مَنْ يرْتجي والنّاس غي ... رُكَ للعُيونِ الباكيَهْ
مَنْ للبُطونِ الجائعا ... تِ وللجُسوم العاريَهْ

فهي مواعظ تقدم للخليفة آنذاك فيها عبر وعظات تتحول إلى لوحات ترسم أحوال الناس وما يلاقون من ضنك الحياة ، فيها شجاعة أدبية عظيمة لا تصدر إلا عن زاهد واعظ يرى أن الحق أحق أن يتبع ، فهو لا يخشى أن يسدي النصيحة لهؤلاء الحكام . [١١٥]

وللمح في أشعاره النقدية مزجا بين النقد والوعظ ، كي يصل إلى غايته المنشودة ، ويكون التأثير قويا ومقبولا لدى الحكام ، فهذا الرشيد – كما يروي صاحب الأغاني – يقول له : " عظني ، فقال أبو العتاهية : " أخافك " ، فقال له الرشيد : " أنت آمن " فأنشده :

لا تَأْمَنَ الموْتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسِ ... وإنْ تَمَنَّعْتَ بالحُجّابِ والحَرَسِ
فما تَزالُ سِهامُ الموْتِ نافذةً ... في جَنْبِ مُدَّرِعٍ منْها ومُتَّرِسِ
تَرْجو النَّجاةَ ولمْ تَسْلُكْ مسالِكَها ... إنَّ السَّفينةَ لا تجري عَلى اليَبَسِ

فبكى الرشيد حتى بل كمه " . [١١٦]

" لقد صاغ أبو العتاهية أشعاره النقدية بصورة مؤثرة ، وبأسلوب نقدي أحيانا يعتمد كثيرا على الخيال" .

وأشعار أبي العتاهية تدور حول الإنسان من حيث سعيه الملح في الحياة الدنيا ، يستكثر من الولد ، ويجمع المال ، ويشيد الدور والمصانع ، ويقبل على الشهوات والملذات ، ويقع في الخطأ والمعاصي ثم يموت ، وكأنه ما كان ويتساوى مع العبيد وعامة الناس .

---

[١١٤] المصدر السابق نفسه ، ص ٤٣٩ – ٤٤٠.

[١١٥] محمد أحمد ربيع : تاريخ الأدب العربي القديم ، ص ١٥٩ – ١٦٠.

[١١٦] الأصفهاني : الأغاني ج٣ ، ص ١٠٦ . انظر الديوان ، ص ١٩٤.

الفصل الثالث

وسائله في التوسل إلى الله

أولاً : التسبيحات .

ثانياً : التمجيد والتحميد .

ثالثاً : التضرع .

رابعاً : مناجاة النفس .

استطاع أبو العتاهية أن يضع العلاج الناجع لمثل هذه الآفات والمفاسد التي تتسرب إلى النفس البشرية ، رائدهُ في ذلك الصدق الخالص والجرأة في مواعظه ونصائحه لعامةِ الناس وخاصتّها من حكّام وخلفاء ، فيقول : (١١٧)

إنَّ الملوكَ بلاءٌ حَيْثُما حلّوا ... فلاَ يكُنْ لَك في أكنافِهم ظِلُّ

ماذا تُرجّي بقومٍ إن هُمْ غَضبوا ... جاروا عليكَ وإنْ أَرضَيْتَهمُ ملّوا

وإن نصحْتَ لهم ظنّوك تَخْدَعُهُم ... واستثقلّوك كَما يستثقلُّ الكَلُّ

فاستغنِ باللهِ عَنْ أبوابِهِمَ كَرماً ... إنَّ الوقوفَ على أبوْابِهِمُ ذلُّ

فهذه جرأةٌ أدبية في الحق ، لا تصدر إلا عن شاعر سخّر شعره لوعظ الناس ونصحهم ، فهو يُسدي النصيحة تلْو النصيحة ، حتى لو أدى ذلك إلى إدخال الحزن إلى نفس الحاكم أو الخليفة ، فهارون الرشيد كثيراً ما كان يبكي عندما يسمعُ وعظ أبي العتاهية ، وهو يتنزّل على قلبه محدثاً له حُزناً عظيماً ، ويُوجد في نفسه يقظته نحو الآخرة ، وتضعه أمام مسؤولياته في الحكم ، وترسم له صورة محاكمته عند ملك الملوك حين يسأل عن رعيته التي استرعاه إياها الله عز وجل .

وهكذا أفاض أبو العتاهية في وصف الآفات الاجتماعية والتحذير منها ، فهو مدرك لعيوب مجتمعه في مجملها ، لذا نجده يحاول تارة علاج هذه المفاسد التي داخلت نفوس أبناء مجتمعة وتارة يوجه نقده لأولئك النفر الذين توغلوا في هذه **المفاسد** .

١١٧-أبو العتاهية أشعاره وأخباره هامش ص ٧١٠

الابتهالات الدينية

****

الابتهال لغةً : الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه لله عز وجل ، وفي التنزيل : (ثُمَّ نبتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللهِ على الكاذبين)(١) ، أي يخلص ويجتهد كلٌّ منا في الدعاء واللعن على الكاذب منها ، قال ابو بكر : "قال قومٌ : المبتهل معناه في كلام العرب المسبح الذاكر لله واحتجوا بقول النابغة :

اَقْطَعُ اللّيْلَ آهةً وانتحاباً وَابتهالاً لله أيّ ابتهال

"وفي حديث الدعاء ، والابتهال أن تمدَّ يديك جميعاً ، واصله التضرّع والمبالغة في السؤال .(٢)

والابتهالات الدينية من الموضوعات التي طرقها ابو العتاهية في أشعاره الزهدية ، فهو يستهل بها قصائده الشعرية ، ويؤد لها مقطوعات مستقلة ويستمد معانيها وألفاظها من القرآن الكريم ، فيستشعر القارئ لها جواً دينياً خالصاً ، فكان يضمّن أشعاره عبارات التسبيح والتحميد والتمجيد ، ويفيض عليها من مشاعره الدينية .

ونلمس في ابتهالات أبي العتاهية تطوراً من مرحلة الخوف من الله ، والخشية من الوقوع في المعصية ، والى ما يترتب عليه من عذاب تقشعر له الأبدان ، خيفةً من صور العذاب وأنواعه وعندما تعود به الذاكرة إلى ماضي أيامه التي فرّط فيها بحق الله عز وجل والى مرحلة الخوف مما يترتب على ارتكاب المعاصي والوقوع فيها ، فهي مرحلة تجعل النفس ترتجف خوفا من صور العذاب وأنواعه .

وهذه الصور تبقى قائمة في أعين كلّ المؤمنين وأذهانهم ، لأنّها تتردد في الآيات القرآنية ، وترد على أسماعهم وتصور لهم ما ينتظر الإنسان من مصير يوم يقوم الحساب ، فهي صور مفزعة وتبعث على القلق والخوف بالنسبة للذين فرّطوا في حياتهم ولم يقدموا شيئاً لأخرتهم .(٣)

وقد وعى أبو العتاهية هذه المرحلة ، وتمثل هذه الأبيات وفهمها وأدرك كُنْهها ، وصاغها شعراً أفاض عليه من روحه الخائفة من هذا المصير ، فلجأ إلى الابتهالات ، ليعّبر عما في نفسه ، مُنْتَقلاً من مرحلة الخوف إلى مرحلة الرجاء .

---

١. سورة آل عمران ، الآية ٦١.

٢. ابن منظور :لسان العرب ، مادة بهل ،٧٢/١١.

٣. علي عطوي : شعر الزهد ، ص١٣١.

بل نستطيع القول : انّه يريد ان يتوازن في نفسه مع الخوف والرجاء .

وأبو العتاهية وإن اتجه إلى الله عزّ وجلّ خوفاً ورهبةً منه ، فإنّه عن طريق الابتهالات ينحو منحى آخر،وتمجيده لله عز وجل وتنزيهه عن كل نقص أو خلل .

وهكذا كانت انتفاضه اليقين ، ورعشة الإيمان ، وهيبة المولى عزّ وجل هي خاتمة حياة أبي العتاهية الزهدية ، فالابتهالات والتسبيحات ، والاستغفار والندم هي علامات تلك المرحلة التي وصل إليها الشاعر بعد ما انفق جانباً من حياته في اللهو وفي نشوة الدنيا وحبّها ، فقد أبحر أبو العتاهية من بحر الآثام إلى مرفأ الإيمان ورحاب الغفران .

(وتتحكم روح الاعتراف بالذنب ، والإقرار بالضعف في كثير من شعر أبي العتاهية حتى ليغدو بعض شعره أشبه ما يكون بالتضرع والابتهالات).(٤)

(وأبو العتاهية في ابتهالاته يلهج بالدعاء والحمد لله على نعمه وآلائه والرغبة والرجاء في فضله وعونه ، معبراً عن مدى ضعفه . ودعاؤه لله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى ، وتمجيده وتنزيهه في ساعة الشدة والحاجة ، معهود لدى الزهاد كي تنفرج عنهم الكرب والغمم).(٥)

والذى يتأمل ابتهالات أبي العتاهية يرى أنّها تتوقف عند عظمة الله عَزَّ وجل ، وقدرته على تدبير الكون ، بكل دقة وإتقان . ونراه كذلك في هذه الأشعار يتهادى بين الفلاسفة والمتصوفين ، متكئاً على بعض مصطلحات الصوفية ، ويتعمق أحياناً ليصل إلى بعض المصطلحات الفلسفية المتعلقة بالكون وخلقه،فيعبر عن ذلك بقوله :-(٦)

لقد دَبَّرَ الدُّنيا حكيمٌ مدبّرَ ... لطيفٌ خبيرٌ عالِمٌ بالسرائرِ

إذا أبقت الدُّنيا على المرءِ دينَه ... فما فاتَه مِنْها فليْسَ بضائرِ

إذا أنت لم تُؤْثِرْ رِضى اللهِ وَحْدَهُ ... على كلِّ ما تَهوْى فلسْتَ بصابرِ

ويضل أبو العتاهية يَسْبَحُ بنا في هذا الكون الفسيح ، يرقب عظمة الله عز وجل وحكمته في خلقه ، وتصريف شؤونه،فيقول :-(٧)

---

٤. شفيق الرقب وزميله : تاريخ الأدب القديم ، ١١٠.

٥. مجاهد بهجت : التيار الإسلامي في الشعر الإسلامي ، ص٤٨٤.

٦. أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص١٤٩.

٧. المصدر السابق ، ص ١٦٥-١٦٦.

لله عاقبةُ الأمورِ ... طوبى لمعتبرٍ ذكورِ
طوبى لكلِّ مراقبٍ ... ولكلِّ أوابٍ شكورِ
طوبى لكلِّ مفكرٍ ... ولكلِّ محتسبٍ صبورِ

فهو يمدح من يتأمل في خلق الله عز وجل ، ويتدبر عجيب مخلوقاته ويأخذ العبر من هذه الحياة التي يعيشها الإنسان ، فيصبر ويحتسب ذلك عند الله عز وجل، ويشكر الله على ما انعم عليه . وأبو العتاهية دائم التوكل على الله ، كثير الحمد ، راض بالحاضر إذا ما قورن بالمستقبل متخذا من أحداث الزمان عبرا ، ومن كرِّ الأيام مواعظ ودروس،فيقول:-(٨)

أنا بالله وَحْدَهُ وإليْهِ ... إنما الخيرُ كُلُّه في يَدَيْهِ
أحمَدُ اللهَ وَهْوَ أهْمَني الحَمْـ ... ـدَ على المَنِّ والمَزيدُ لَدَيْهِ
كَمْ زمانٍ بَكَيْتُ مِنْهُ قَديماً ... ثُمَّ لَما مَضى بَكَيْتُ عَلَيْهِ

(والدعاء والمناجاة التي ترد في الابتهالات الدينية عند الشعراء ، أو العُبَّاد المتصوفين، هي محور الصِّلة بينهم وبين الله عزَّ وجل ، ولبُّ عبادتهم ، وهؤلاء كانوا يكابدون الليل والناس هجوع ، ولهم فيه أنين ، وقد ثبت أن أبا العتاهية ، كان يتهجّد في الليل ، حتى اتهمه أعداؤه بعبادته للقمر ومناجاته).(٩)

ويرسم أبو العتاهية صورة المتبتِّل لله عزَّ وجلّ ، المتهجِّد له يناجيه في تسبيحاته وتضرّعاته فيقول :(١٠)

إنَّ القَريرَةَ عَيْنُهُ عَبْدٌ ... خَشِيَ الإلهَ وعَيشُهُ قَصْدُ
عبدٌ قَليلُ النَّوم مُجْتَهِدٌ ... لله كُلُّ فَعالِهِ رُشْدُ
نَزِهٌ عَنِ الدُّنيا وباطِلِها ... لا عَرْضٌ يشْغَلُهُ ولا نقْدُ
مُسْتَجْهلٌ في الله مَحْتَقَرٌ ... هَزْلُ المَخافةِ عِنْدَهُ جِدُّ

---

٨. المصدر السابق ، ص٤١١-٤١٢.
٩. . مجاهد بهجت : التيار الإسلامي في الشعر الإسلامي ، ص٤٨٥.
١٠. أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص١٤٩.

متذلّـــلٌ لله مُرتَقِـــــبٌ ... مـــا لَيْـــسَ مِـــنْ إتيانـــهِ بُـــــدُّ
رَفَضَ الحياةَ علـــى حَلاوَتِـــها ... واختـــارَ مـــا فيـــهِ لَـــهُ الخُلْـــدُ
يَكْفيهِ مـــا بَلَـــغَ المَحَـــلُّ بـــهِ ... لا يَشْـــتَكي إنْ نابَـــــهُ جَـــهْدُ
فاشْدُد يَديـــكَ إذا ظَفِرْتَ بـــه ... ما العَيْشُ إلا القَصْدُ والزُّهـــــدُ

ويكاد شاعرنا يصل مرتبة الصوفية حين ينفرد بنفسه ويختلي بها معتزلاً الناس والحيـــاة ، ولعل نظرته للعلاقة السامية الرفيعة بين العبد وربّه هي غير تلك العلاقة التي تجمع الناس بالنـاس ، فالعلاقة الأولى عند أبي العتاهية هي علاقة سموٍّ ورفعةٍ ، تقضي في أساسها خلوةً بين العبد وربّـــه ، لأنّ الخلوة فيها تفرّغٌ للقلوب في المناجاة ، وصفاءٌ للنفوس وسموٌ للأرواح ، وليـــس غريبـــاً أنْ يتّصف أبو العتاهية بهذا لأنّه عاش في عصر اشتهر بالتصوُّف الذي نضج علـــى أيـــدي زهّـــادٍ متصوّفين سبقوه ، وأنضجوا هذا الفنّ أمثال ذي النون المصري ، ورابعة العدوية ، وإبراهيم بـــن ادهم ، والحسن البصري إمام الزاهدين .

أولاً : التسبيحات

في شعر أبي العتاهية مناجاةٌ حارّة ردّدها مرّهاً لجلال الله عزّ وجلّ ، مسبّحاً له ، وقد اكـــثر من هذه التسبيحات والتحميدات في ديوانه،فكانت انتفاضة اليقين ، ورعشة الإيمان ، وهيبة المولى عزّ وجل ، فيقول :(١١)

سُبْحانَ مَنْ هُـــوَ لا يَـــزالُ مُسَبَّحاً ... أبَـــداً ولَيْـــسَ لِغَـــيْرِه السُّـــبْحانُ
سُبحانَ مَنْ تَجْـــري قَضايـــاهُ علـــى ... ما شـــاءَ مِنْـــها غـــائِبٌ وعِيـــانُ
سُبحانَ مَـــنْ هُـــوَ لا يَـــزالُ ورِزْقُـــهُ ... لِلعـــالَمِينَ بـــهِ عَلَيْـــهِ ضَمـــــانُ
سُبحانَ مَنْ نِذِكْـــرِه طُـــرُقُ الرِضـــى ... مِنْـــهُ وفيـــهِ الـــرَّوْحَ والرَّيْحـــانُ
سُبحانَ مَنْ لا شيء يحجُـــبُ عِلْمـــه ... فالسّـــرُّ أجمـــعُ عنـــده إعـــلانُ
مَلِـــكٌ عَزيـــزٌ لا يُفـــارِقُ عِـــزَّهُ ... يُعْصى ويُرجـــى عِنْـــدَه الغُفْـــرانُ
مَلِـــكٌ لَـــهُ ظَـــهْرُ القَضـــاءِ وبَطْنُـــهُ ... لَمْ تُبْـــلِ جِـــدّةَ مُلْكِـــهِ الأزْمـــانُ
مَلِكٌ هُوَ المَلِكُ الّـــذي مِـــنْ حِلْمِـــهِ ... يُعْصى بِحُسْـــنِ بَلائـــهِ ويُخـــانُ
يَبْلـــى لِكُـــلِّ مُسَـــلْطَنٍ سُـــلطانُهُ ... والله لا يَبْلـــى لَـــهُ سُـــلطانُ

---

١١. المصدر السابق ، ص ٣٧٠

فهو في هذه القصيدة يورد صفات الله عزّ وجلّ ، ويتغنى بها ، فالله رازقٌ عباده ، حليم عليهم ، في ذكره طرق الرضى منه عزّ وجل . أمره بين الكاف والنون ، لا يُعييه شيءٌ في هذا الكون . وهو متعّمد لذكر هذه الصفات ، ليبيّن لأولئك الأغنياء المترفين ، أنّ الغنى من الله عزّ وجلّ ، وهو ليس من تحصيل المرء ، وأن المناصب التي يتولونها ستزول ولن يبقى إلا سلطان الله عز وجل ، وهذه الإشارات تتأتى من خلال ما يعانيه أبو العتاهية من مجتمعه الذي انقلبت فيه الموازين .

ويمضي أبو العتاهية في تسبيحاته منزهاً الحقَّ عز وجل عن كل نقص ، فمشيئة الله عز وجل تسبق الأحداث ، وهي بين الكاف والنون ، فيقول :(١٢)

سبحانَ من سبقت مشيئتُه وقضى بذاك لِنَفْسِه وحكم

ويقول كذلك مدلّلا على قدرة الخالق ، وعجيب صنعه :(١٣)

سُبْحَانَ مِنْ قَهَرَ المُلوكَ بِقُدْرَةٍ وَسِعَتْ جَميعَ الخَلقِ ذاتِ بَدائعِ

أيُّ الحَوادثِ لَيْسَ يَشْهدُ أنَّهُ صُنْعٌ ويَشْهَدُ باقتِدارِ الصّانعِ

فهو يعبر عما في نفسه من حقد مبعثه الشعور بضعة نسبه ، فيقول ان الله عز وجل يقهر الملوك والحكام بقدرته التي تشمل جميع الناس فلا يخرج عن قدرته أحد ، وكل ما في هذا الكون من مشاهد وأحداث تدلّل على تلك القدرة الفائقة .

ويظهر أبو العتاهية مدى ذهنتة من حِلْم الله عز وجل على عباده الذين يقابلون نعمه الكثيرة بالجحود والنكران ، ويُظهر ذلك عن طريق عصيانهم لله عزّ وجل وعدم إقامة حدود الله عز وجل ، وهذا طبع في نفوس بعض البشر كما رسمته الآيات القرآنية الكريمة قال تعالى:(١٤) "قُتِلَ الإنْسانُ ما أكْفَرَهُ ، من أيِّ شيءٍ خَلَقَهُ ، من نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فقَدَّرَهُ "

وهذا واضح في قول أبو العتاهية :-(١٥)

سُبحانَ من يُعْصى بأنعُمِه وَيكونُ منّهُ الفَضْلُ والعَفْوُ

١٢. المصدر السابق ، ص٣٤١.

١٣. المصدر السابق ، ص٢٢٣

١٤. سورة عبس ، الآيات من ١٧-١٩.

١٥. أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٤٢٩.

فيقول:(١٦)

سُبْحانَ مَنْ باعَدَ في تَقَدُّمِهْ نَعْصيهِ في قَبْضَتِهِ بأَنْعُمِهْ

وهذا الكونُ الفسيحُ لا يتحرك فيه متحركُ ولا يسكن فيه ساكن إلا بعلم الله عز وجل ، الذي خلق العباد ، وبهر عقولهم بقدرته الفائقة ، فيقول:-(١٧)

سُبحانَ مَنْ قَهَرَ العِبادَ بِقُدرَةٍ باري السُّكونِ وناشِرِ الحَرَكاتِ

وهو الذي يقيم الحجج على الناس الذين يتكبرون على الله عزّ وجلّ ويعاندونه ، فقد تحداهم في مواقف عديدة في القران الكريم قال تعالى:(هذا خَلْقُ اللهِ فأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ، بَلِ الظَّالِمُونَ في ضَلَالٍ مُبِينٍ)(١٨) فيقول أبو العتاهية معبِّراً عن هذه الحجج الدامغة والبراهين السَّاطعة التي تدلّل على قدرة الخالق:(١٩)

سُبحان مَنْ لم تَزَلْ لَهُ حِجَجٌ قامَتْ على خَلْقِهِ بمَعْرِفَتِهْ

قَدْ عَلموا أنَّه الإلهُ ولكِنْ عَجِزَ العالَمونَ عن صِفَتِهْ

والله سبحانه وتعالى قد تكفّل بالرزق لجميع مخلوقاته حتى النّملة في جحرها وهذا مَنٌّ وكَرَمٌ منه ، عزَّ وجلَّ ، فيعبّر أبو العتاهية في ابتهالاته عن دهشته من قدرةِ الله الواسعة التي تشمل كلّ مَنْ على وجه الأرض ، فيقول :(٢٠)

سُبْحانَ مَنْ لا شَيْءَ يَعْدِلُهُ كَمْ مِنْ بَصيرٍ قَلْبُهُ أعْمى

سُبْحَانَ مَنْ أعْطاكَ مِنْ سَعةٍ سُبْحانَ مَنْ أعْطاكَ ما أَعْطى

فخزائن الله ملأ ، لا تنقص ولا تنفد ، وهو غنيٌّ عن العالمين ، لا يريد منهم شيئاً ، غني عن عبادهم ونفقاتهم ، وهو المتفضل على عباده لو أعطى كلَّ من في الكون ما نقص من ملكه شيء ، يرزق الكافر والمؤمن على حدٍّ سواء . وها هو يعود ثانية في ابتهالاته ليحذر من الحرص وما يجره على الإنسان فيقول :(٢١)

---

١٦. المصدر السابق ، ص٤٦٥.

١٧. المصدر السابق ، ص٥٧.

١٨. سورة لقمان ، الاية ١١.

١٩. أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص٨٧.

٢٠. المصدر السابق ، ص١٠-١١.

٢١. المصدر السابق ، ص٣١.

سُبْحانَ مَنْ لَيْس مِنْ شَـــيءٍ يُعادِلُـهُ إنَّ الحَريصَ على الدُّنيا لَفـــي تَعَـــبِ

فالله هو الأول والآخر ، والباطن والظاهر ، فهو أهل للحمد والثناء جلَّ شأنه فالحمد كـلّ الحمد لله الذي لا ينقطع فضله عن الناس ، فنعمة الحمد هي فضل من الله عزَّ وجلَّ ، فالله سبحانه وتعالى لا يطاع ألا بأمره وفضله ، ولا يُعصى ألا بعلمه ، والسعيد من يلهم التسبيح والحمد كمـا يقول أبو العتاهية :(٢٢)

سُـبْحانَ مَـنْ أَلْهَمَـني حَمْـــدَهُ وَمَـنْ هُـوَ الأوَّلُ والآخِـــرُ
ومَـنْ هَـوَ الدَّائِـمُ في مُلْكِـــهِ وَمَـنْ هُـوَ البـاطِنُ والظَّـاهِرُ

والعدل من صفات الله عزَّ وجلَّ ، فقد أخذ على نفسه أنْ لا يظلم أحدا وحرَّم الظلم علـى نفسه ، يوم القيامة يقيم الموازين بالقسط ، فكلّ يأخذ جزاءه ، فالجنة تتزين لأصحابها ، والنار قـد أوقد عليها ثلاثة آلاف سنة تنتظر أولئك الذين كفروا بربهم ، وهذا هو العدل الإلهي المطلق ، من احسن فلنفسه ومن أساء فعليها ، ويصور أبو العتاهية هذه الصفات بقوله :-(٢٣)

سُـبْحانَ مَـنْ وَسِـــعَ العِبـــا دَ بعَدْلِـــهِ في حُكمِـــهِ
وَبعَفْـــوِهِ وَبَعِطْفِـــهِ وبلُطْفِـــهِ وبحِلْمِـــهِ
وجَميـعُ مـــا هُـــوَ كـــائِنٌ يَجْـــري بِسَـابِقِ عِلْمِـــهِ
قَـــدْ أسْـــعَدَ اللهُ امْـــرَءًا أرْضـــاهُ مِنْـــهُ بِقِسْـــمِهِ

والسعيد من رضي بحكم الله عزَّ وجلَّ ، وبما قسمه له ، فأذعن لقضائه عزَّ وجل وقـدره ، يؤمن إيمانا مطلقا بحكمة الله عز وجل في تصريف شؤون هذا الكون ، رائده في ذلك "لو اطّلعنـا على الغيب لرضينا بالواقع" .

ويواصل أبو العتاهية ابتهالاته وتجلياته بذكر صفات الله عزَّ وجلَّ وأسمائه الحسنى ، وقدرتـه الباهرة فيقول :(٢٤)

سُـبْحانَ ربّـكَ مـا أراكَ تَتـــوبَ والرَّأسَ مِنْكَ بِشَيْبِهِ مَخضـــوبُ
سُبْحانَ رَبّكَ ذي الجَلالِ أمـــا تَـرى ثَوبَ الزَّمانِ عَلَيْكَ كَيْفَ تَنـوبُ

---

٢٢. المصدر السابق ، ص١٧٥.
٢٣. المصدر السابق ، ص٣٥٩.
٢٤. المصدر السابق ، ص٣٠-٣١.

سُبْحانَ رَبِّكَ كَيْـــفَ يَغْلِبُـــكَ الْـــهَوى سُـــبْحانَه إنَّ الْـــهَوى لَغَلـــــوبُ
سُبْحانَ رَبِّكَ ما تَـــزالُ وَفيـــكَ عَـــن إصْلاحِ نَفْســـكَ فَـــتْرَةٌ وَنُكـــوبُ
سُبْحانَ رَبِّكَ كَيْفَ يَلْتَـــذُّ امْـــرُؤٌ بِالْعَيْشِ وَهُوَ بَنفْســـهِ مَطْلـــوبُ

فالتوبة طريق الرجوع إلى الله بقلب خاشع ، ولسان ذاكر ، والتوبة هي اليقظة من تلـــك الغفلة التي تسيطر على الإنسان ، فهو يذكر الناس ويأمرهم بالتوبةِ الصادقةِ والنَّصوح ، التذكـــير بالموت حتى في ابتهالاته الدينية ، لأنه وَجَدَ الموت عِلاجا ناجعا يشفي غليله ، ويبرد الحمم المشتعلة في قلبه على أولئك الذين سبقوه ونالوا حظوظهم في قصور الخلفاء والأمراء.

هكذا كانت ابتهالات أبي العتاهية ، تلمح فيها تسبيحات عديدة بين ثنايا قصائده ، ومقطوعاتـــه ، كأنه يخرج للتأمل في مخلوقات الله عزَّ وجلَّ وآياته الدالة

عليه جل شأنه ، يناجي ربه حينا ، ويعود لمناجاة نفسه حينا آخر ، تضج نَفْسُهُ خوفا من الله عـــزَّ وجلَّ ، ويمزج خوفه من الله عزَّ وجلَّ برجاء عفوه ، ومغفرة زلاّته التي كانت أيام لهوه وشـــبابه ، فكل يوم يمر في حياته يقربه من القبر الذي يخافه ويخشاه ، ويفرق لذكره ، كلمـــا تذكـــر يـــوم الحساب وتطاير الصحف زاد خوفه، ولَكِنَّ بابَ التوبةِ عند الله مفتوحٌ على مصراعيه وعفـــو الله مأمول ، وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مرجوة ، وهو يدرك أنَّ نسيان الذنب هو توبـــة المتحققين لما يغلب على قلوبهم من عظمة الله عزَّ وجلَّ ودوام ذكره .والتوبة تستلزم المحاسبة الـــتي هي ضبط الحواس ورعاية الأوقات وعد الذنوب والاستغفار منها ، ومن عزم على التوبة فلا يقنط من رحمة الله عز وجل ، قال تعالى :(يا أَيُّها الذين آمنوا تُوبوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحا)(٢٥).

التمجيد والتحميد :

اشتملت الابتهالات الدّينية عِنْدَ أبي العتاهية على الأشعار التي يحمد الله فيها ويمجّدهُ عن طريق ذكر صفاته عزَّ وجلَّ ، فالنعم التي أنعمها على عباده كثيرة، قال تعالى: (وإن تَعُدُّوا نعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إنَّ اللهَ لَغَفُور رَحِيمٌ) [٢٦] وقوله عز وجل: (وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثم إذا مَسَّـــكُم الضُّرُّ فإليه تَجْأَرُون)[٢٧]فما دام أن الله متفضل على عباده بنعم كثيرة، فهو لا يريد منا سوى شـــكر هذه النعم وحمده عليها، ويقول ابن قيّم الجوزية في مجال شكر النعم: "وكما أن تلك النعـــم منْـــهُ ومِنْ مجرّد

---

٢٥. سورة التحريم الآية ٨.
٢٦.سورة النحل ، الاية ١٨.
٢٧. سورة النحل ، الاية ٥٣.

فضله وشكرها لا يُنال إلا بتوفيقه، والذنوب من خذلانه، وتخليته عن عبده وتخليته بينه وبين نفسه، وإن لم يكشفْ ذلك عن عبده، فلا سبيل له إلى كشفه عن نفسه، فإذا هو مضطرّ إلى التّضرّع والابتهال إليه، أن يدفع عنه أسبابها حتى لا تصدر منه، وإذا وقعت بحكم المقادير، ومقتضى البشرية، فهو مضطر إلى التضرع الدعاء، ليدفع عنه موجباتها وعقوباتها، فلا ينفك العبد عن ضرورته إلى هذه الأصول الثلاثة ولا فلاح له إلا بها: الشكر وطلب العافية، التوبة النصوح ."(٢٨)

وأبو العتاهية كما يُفهم من أشعاره، قد عَرَفَ الله حقَّ معرفته عن طريق التفكير والتأمل في آيات القرآن كلّها، والتفكر في آياته المشهودة، وتأمل حكمته، وقدرته، ولطفه، وإحسانه وعدله، وقيامه بالقسط على خلقه كما مرَّ بنا في التسبيحات.

نجده يحمد الله عزَّ وجلَّ على آلائه، في الأشعار التي وردت في ديوانه الزهدي ويمجّده في ثنايا تلك القصائد الشعرية فيقول:(٢٩)

لَكَ الحَمْدُ يا ذا العَرشِ يا خَيْرَ مَعْبودِ ... ويا خَيْرَ مَسْئولٍ ويا خَيْرَ مَحْمودِ
شَهِدْنا لَكَ اللّهُمَّ أنْ لَسْتَ والِدا ... ولَكِنَّكَ المَوْلى ولَسْتَ بَمِوْلودِ
وأنَّكَ مَعْروفٌ ولَسْتَ بَمِوْصوفٍ ... وأنَّكَ مَوْجودٌ ولَسْتَ بَمِجْدودِ
وأنَّكَ رَبٌّ لا تَزالُ ولَمْ تَزَلْ ... قَريباً بَعيداً غائِباً غَيْرَ مَفْقودِ

فهو يقترب من التصوف، متأملاً صفات الله عز وجل ، مؤكداً على وحدانيته ، وحين نتأمل الأبيات السابقة بعناية ، نلمح فيها لغة قوية تشبه لغة المعتزلة وأصحاب علم الكلام ، ففيها إشارات واضحة لبعض القضايا الجدلية ، مثل رؤية الله عز وجل ، ومسائل الصفات والتنزيه .

ومن تحميداته قوله:(٣٠)

فَالحَمْدُ لله حَمْداً لا انقِطاعَ لَهُ ... ما إنْ يُعَظَّمُ إلاّ مَنْ لَهُ وَرَقُ*
والحَمْدُ لله حَمْداً دائِماً أبَداً ... فازَ الّذينَ إلى ما عِنْدَهُ سَبَقوا
والحَمْدُ لله شُكْراً لا نَفادَ لَهُ ... النّاسُ في غَفْلَةٍ عَمّا له خُلِقوا

---

٢٨. ابن قيم الجوزية : الفوائد ، ٢٦٣.
٢٩. أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ١٠٤.
٣٠ . المصدر السابق، ص ٢٥٠.
* الورق : الدراهيم

فالله يستحقُ حمداً دائماً أبداً ، لا انقطاع له ، وأبو العتاهية في ثنايا تسبيحاته يقرر بعض الحقائق طالما أرّقته ، وهي أنّ الناس لا تُعَظّم إلا صاحب المال ، وأن الذين سيفوزون يوم القيامة هم السابقون إلى فعل الخيرات .

وكما ترى فإنّ أشعار أبي العتاهية في الابتهالات تدور في فلك التحميد والتمجيد لله عزَّ وجلّ ، فالشكر والثّناء على الله لأنه المُنْعِم على البشر ، والحمد كما يراه أبو العتاهية نعمةٌ تستحق الشكر ، وهو توفيق من الله عزَّ وجلّ ، وكَمْ مِنْ أُناسٍ يأكلون ويشربون من نعم الله عزَّ وجلّ ولكنّهم لا يشكرونَهُ ، لأنّ الشيطانَ ينسيهم ذلك ، أما الإنسان المسلم فإنه يشكر الله عزَّ وجلّ على كلّ صغيرة وكبيرة، يحمد الله حتى على المكروه لأنه لا يُحْمَدُ على مكروه سواه ، فالذي يَرْضَى عنه يوفقه لطاعة الحمد . وقد عبّر أبو العتاهية عن هذه الفكرة بقوله : (٣١)

سُبْحَانَ مَنْ ألهمني حَمْدَهُ ... وَمَنْ هُوَ الأوّلُ والآخِرُ

فالحمد إلهام من الله عزَّ وجلّ ، ونعمةٌ يعطيها كلّ مَنْ يلزم حدود الله ولا يتعداها، ويتوالى التحميد والتمجيد لله عزَّ وجلّ بقوله: (٣٢)

فالحَمْدُ لله الذي هُوَ دائمٌ ... أبَداً وَلَيْسَ لِمَا سِواهُ دَوامُ
والحَمْدُ لله الّذي لِجَلالِهِ ... وَلِحِلْمِهِ تَتصَاغَرُ الأحْلامُ
والحَمْدُ لله الّذي هو لَمْ يَزَلْ ... لاَ تَسْتَقِلُّ بِعِلْمِهِ الأوْهامُ
سُبْحَانَهُ مَلِكٌ تَعالى جَدُّهُ ... وَلِوَجْهِهِ الإجلالُ والإكْرامُ

فالصفات المطلقة هي لله تعالى ، والكمال له وحده ، والنقص طَبْعٌ في البشر ، وحلمه شامل لخلقه ، لا يؤاخذهم بما فعل السفهاء منهم .

والحقائق التي يقرّرها أبو العتاهية خلال الأشعار التي ترد فيها التحميدات ، كلّها منصبة على الآخرة ، والتشويق إليها، وتصغير شأن الحياة الدنيا التي تزول عما قريب،فيقول . (٣٣)

الحمد لله كلُّ زائلٌ بالِ ... لاشَيْءَ يبقى مِنَ الدُّنْيا على حالِ

---

٣١. المصدر السابق، ص ١٧٥.
٣٢. المصدر السابق، ص ٣٥٢.
٣٣. المصدر السابق، ص ٣٢٣.

فالزوال حقيقة ثابتة يؤكدها أبو العتاهية وهي لا تقبل الشك البته ، لأن القرآن الكريم قد أشار إليها في كثير من الآيات القرآنية، وكذلك أحاديث رسول الله صلى عليه وسلم.

ويكثُر الدعاء بحمد الله عزَّ وجلَّ في أشعار أبي العتاهية، فهو أهل للحمد ويستحق الثنا على منِّه وكرمه على العباد، فيقول: (٣٤)

رَبِّ لَكَ الحَمْدُ وأَنْتَ أَهْلُهُ ... مَنْ لَزِمَ التّقوى أنارَ عَقْلَهُ

ثم ينطلق في ذكر صفاته تعالى، فهو ليس كمثله شيء، فيقول: (٣٥)

الْحَمْدُ لله لا شَريكَ لَهُ ... حاشا لَهُ أنْ يكونَ مُشْتَرِكا

الحمد للخالِقِ الّذي حَرَّكَ السّا ... كِنَ مِنّا وسَكَّنَ الْحَرِكا

وقامَتِ الأرضُ والسَّماءُ بِهِ ... ومادَحى مِنْهُما وما سمكا

وَقَلَّبَ اللّيْلَ والنّهارَ وصَبْ ... بْ الرِّزقَ صَبّاً وَدَبَّر الفَلَكا

ونرى أنّه يذكر عجائب مخلوقاته من خَلْقٍ للسماوات،ورفع سمكها وتسويتها بلا عمد وتعاقب الليل والنهار ، فالق الإصباح ، ورازق خلقه ، فضلاً وكرماً منه ، فهو جدير بالحمد والثناء .

وتمجيد الله عزَّ وجلَّ معهودٌ لدى الزهاد ، وأبو العتاهية خير من نظم الأشعار في ذكر صفات الله عزَّ وجلَّ ، وأسمائه الحسنى إذ يقول : (٣٦)

وَهُوَ الخَفيُّ الظّاهِرُ المَلِكُ الّذي ... هُوَ لَمْ يَزَلْ مَلِكاً على الْعَرْشِ اسْتَوى

وهو المُقَدِّرُ والمُدَبِّرُ خَلْقَه ... وَهُوَ الّذي في المُلْكِ لَيْسَ لَهُ سِوى

وَهُوَ الّذي يَقْضي بِما هُوَ أهْلُهُ ... فينَا ولا يُقْضى عَلَيهِ إذا قَضى

وَهُوَ الّذي بَعَثَ النّبيَّ مُحَمّداً ... صَلّى الإلهُ عَلى النّبيِّ المُصْطَفى

وَهُوَ الّذي أَنْجى وأَنْقَذَنا بِهِ ... بَعْدَ الضَّلالِ مِنَ الضَّلالِ إلى الهُدى

ويوردُ أبو العتاهية صفات الحقّ عزَّ وجلَّ في منظومة شعرية رائعة ، فهو المقدّر، والمدبر ، وهو المنعم على أمّة محمد صلّى الله عليه وسلم أعظم نعمةٍ ، وهي نعمة الإسلام ، وكفى بها من نعمة،ومن فضائل هذه الأمة أنّها خير الأمم .

---

٣٤ . المصدر السابق، ص ٤٥٣.

٣٥. المصدر السابق، ص ٢٦١.

٣٦. المصدر السابق، ص ١٥.

الضلال:- الفساد، ضل اللحم إذا أنتن.

ونبيُّها خير الأنبياء ، لا يدخل الجنّة نبيٌّ قبله ، ولا تدخل أمّةٌ الجنّة قبل أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهذه الأمّة تداركها الله عزَّ وجلَّ بمحمد صلى الله عليه وسلم أخرجهم من ظلام الكفر إلى نور الهداية .

ثم يفخر أبو العتاهية لعبودية الله عزَّ وجلَّ قائلا :- (٣٧)

تَبارَكَ مَنْ فَخْري بأني لَهُ عَبْدٌ وسُبْحانَهُ سُبْحانَهُ ولَهُ الحَمْدُ
ولا مَلِكٌ إلا مَلْكُهُ عَزَّ وَجْهُهُ هو القَبْلُ في سُلطانه وَهْوَ البَعْدُ

وهو المعبود بحق مالك الملك لا قبله ولا بعده ، ونحن البشر فقراء له عز وجل وهو الغني عنا ، فنحن الذين نحتاج إلى رزقه ، ورحمته وعفوه ، وهذا واضح في قول أبي العتاهية : (٣٨)

تبارَكَ اللهُ وسُبحانَهُ مَنْ جَهِلَ اللهَ فذاكَ الفَقيرُ

وقوله: (٣٩)

هُوَ اللهُ رَبّي والقَضاءُ قَضاؤُهُ وَرَبّي على ما كانَ مِنْهُ حَميدُ

فأبو العتاهية مسلِّمٌ أمره لله ، راض بقضائه قانع بحكمه ، وهذا الإقرار والاعتراف لا يصدران إلا من إنسان عرف الله حق المعرفة ، وراح يتبتل إليه ويناجيه ، يدعوه بأسمائه الحسنى ، وبصفاته الجليلة .

وقد تطرق أبو العتاهية في أشعاره لأهمية الذكر في حياة الإنسان المسلم مصداقا لقوله تعالى :(وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْري)(٤٠) وقوله تعالى :(وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ ، وَتَبَتَّلْ إليه تَبْتيلا)(٤١) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لأن أقول سبحانَ الله ، والحمدُ لله ، ولا الـه إلا الله ، واللهُ اكبر ، أحبُّ إليّ مما طَلَعَتْ عليه الشمسُ" .(٤٢)

---

٣٧ . المصدر السابق، ص ١١٠.
٣٨. المصدر السابق، ص ١٧٣.
٣٩. المصدر السابق، ص ١٢٢.
٤٠. سورة طه ، الآية ١٤.
٤١. سورة المزمل ، الآية ٨.
٤٢. النووي : رياض الصالحين ، ص ٤٦٦.

فلنستمع لأبي العتاهية وهو يتحدث عن قيمة الذكر فيقول :(٤٣)

أيا واهاً للذكر الله ... به يا واهاً به واها

لقد طيّب ذكرُ الله ... به بالتسبيح أفواها

وهو مولعٌ بالذّكر ويرى ان ذكر الله من اشرف الأعمال كما يقول :(٤٤)

تبارَكَ اللهُ وَجَلَّ اللهُ ... أعْظَمُ ما فَاهَتْ بهِ الأفواهُ

ثالثاً : التضرّع

التضرّع لغة : التذلل والمبالغة في السؤال والرغبة ، يقال ضَرِعَ ويضرع بالكسر والفتح، وتضرّع إذا خضع وذلّ . وقوله عزّ وجلّ :(تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وخِفْيَةً)، والمعنى تدعونه مظهرين الضراعة وهو شدّة الفقر والحاجة إلى الله عزّ وجلّ (٤٥)

وقول الله عز وجل : (واْذكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بالغُدُوّ والآصَالِ ولاتَكُن منَ الغَافِلِينَ)(٤٦)

ويرى أبو العتاهية أنّ التقوى هي الزادُ الباقي ، وأنّ الرجاءَ في الله هو الأمل، وأنّ التوبة الصادقة ، هي المحطة الأولى من محطات أولئك الذين عادوا لرشدهم ، ورجعوا لربهم، فالتوبة كمل يقول ابن قيم الجوزية " هي بداية العبد ونهايته ، وحاجته إليها في النهاية ضرورية ، كما أنّ حاجته إليها في البداية كذلك"(٤٧)

وهي عنوان النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة لقول الله عزّ وجلّ (وتُوبوا إلى اللهِ جَميعا أيُّها المؤمنونَ لعلكُم تُفلحونَ)(٤٨)

---

٤٣. أبو العتاهية أشعاره وأخباره هامش ص ٤٠٦.

٤٤. المصدر السابق ، ص ٤٦٠.

٤٥. ابن منظور : لسان العرب ، مادة الضرع ، مجلد ٨ ، ص ٢٢٢.

٤٦. سورة الأعراف ، الآية ٢٠٥.

٤٧. ابن قيم الجوزية : الفوائد ، ص ١٢٣

٤٨. سورة النور الآية ٣١

" فالتوبة هي وسيلة التضرع لله عزَّ وجلَّ ، وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان ، وخيار خلقه أنْ يتوبوا إليه بعد إيمانهم ، وصبرهم ، وهجرتهم وجهادهم ، وعلَّقت الآية الفَلاَح بالتوبة – تعليق السبب بسببه ، وجاءت بأداة لعلَّ المشعرة بالترجي إيذانا بأنَّ من تاب كان على وجاء الفَلاَح ، فلا يرجو الفَلاَح إلا التائبون "(٤٩)

وقال الله عزّوجل :(وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فأولئِكَ هُمُ الظالمونَ) (٥٠) فقسم الله عزَّ وجلَّ العباد إلى تائب وظالم ، فالتائب متضرع لله عزَّ وجلَّ يظهر ندمه وأسفه على ما ارتكب من آثام ، يُهرع إلى الله عزَّ وجلَّ في كل مُلمَّةٍ تعصف به ، فالله هو ملاذ التائبين المتضرعين ، والظالم هو الذي نسي ربه ، وغاب عنه هول يومٍ صُبْحُه القيامة ، والرسول صلى الله عليه وسلم هو إمام المتضرعين في كل الأحوال ، فقد سقط رداؤه في غزوة بدر حين كان يتضرّع لربّه طالباً نصرَه وعونه .

وكان صلى الله عليه وسلّم يكثر من التوبة والتضرّع ، وأصحابه ، رضي الله عنهم يعدون له في المحل الواحد قبل ان يقوم "ربِّ اغْفِرْ لي وتُبْ عليَّ انك أنت التواب الغفور" مائة مرة .(٥١)

ويرفع أبو العتاهية آناء الليل وأطراف النهار اكفَّ الضراعة إلى الله ، نادماً على ما اقترف من ذنوب ، ويقول:(٥٢)

إلهي لا تُعذِّبني فإنّي ... مقرٌّ بالذيّ قَدْ كان مِنّي

ومالي حيلةٌ إلاّ رجائي ... وعفْوك إنْ عَفَوْتَ وحُسْنُ ظَنّي

فَكَم مِنْ زلةٍ لي في البرايا ... وأنْتَ عليَّ ذو فَضْلٍ ومَنِّ

إذا فَكَّرْتُ في نَدَمي عَليها ... عَضَضْتُ أناملي وقَرَعْتُ سِنّي

يَظَنُّ الناسُ بي خَيْراً وإنّي ... لشرُّ النّاسِ إنْ لم تَعْفُ عَنّي

أُجَنُّ بزهرة الدُّنيا جنونا ... وأفْني العُمْرَ فيها بالتَّمَنِّي

وَلَوْ أنّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ فيها ... قَلَبْتُ لأهْلِها ظَهْرَ المِجَنِّ

حقا أن هذه الأبيات نشيد روحاني خالص ، يؤكّد ، الإحساس بالذنب والطمع بالمغفرة من الله عز وجل .

---

٤٩ عبدالطيف أحمد : التصوف في الأسلام ، ص ٢١٢ .

٥٠ .سورة الحجرات، الآية ١١

٥١ . محمد يوسف كاندهلوي : حياة الصحابة ص ٢٦٨

٥٢ . ابو العتاهية اشعاره واخباره ص ٣٧٥ ، ٣٧٦

فها هو ينهي حياته بين الاستغفار والندم ، وإظهار التوبة إلى الله عزَّ وجلَّ متضرعا له بـــأن يقبل توبته ، ويغفر ذنوبه قائلا :(٥٣)

يـــا رَبِّ إنِّ لَـــكَ فِـــي كـــلِّ مـــا ... قَـــدَّرْتَ عَبْـــدُ أمِـــــلُ شـــــاكِرُ

فـــاغْفِر ذُنـــــوبي إنَّـــــها جَمَّـــــةٌ ... واسْـــتُر خطَـــائي إنـــك السَّـــــاتِرُ

إنَّه الإقبال على الله عزَّ وجلَّ بقلبٍ خاشعٍ ، طالباً للمغفرة ، فالحمل ثَقيل والعقبة كؤود ، ولكن عفو الله مأمول حين يقبل العبد على ربه ، فالله عزَّ وجلَّ يفرح بتوبة العبد ، ويريد من عباده ، أنْ يذنبوا ويغفر لهم لأنَّ من أسمائه الحسنى ، الغفار ،والغفور . وعلى المرء أنْ لا يقطع الأمل بعفو الله ، وأنْ يكونَ دائمَ الرجاء ، والتوكل على الله ، يوازن بين الخوف والرجاء كما يقول أبو العتاهية :-(٥٤)

يـــا رَبِّ أرْجـــوكَ لا سِـــــواكا ... ولم يَخِـــبْ سَـــعْيُ مَـــنْ رَجاكـــا

أنْـــتَ الَّـــذي لَـــمْ تَـــزَلْ خَفِيًّـــا ... لاَ تُبلُـــغُ الأوْهـــامُ مُنْتَـــهاكا

إنْ أنْـــت لَـــمْ تَـــهْدِنا ضَلِلْنَـــا ... يـــا رَبِّ إنَّ الْـــهُدى هُداكـــا

أحَطـــتَ عِلْمـــاً بِنـــا جَميعـــاً ... أنْـــتَ تَرانـــا ولا نَراكـــا

فالله عزَّ وجلَّ هو الهادي إلى سواء السبيل ، يهدي من يشاء ، وهو رجاء الخائفين ، ومـــلاذ الهاربين من عذابه .

وشاعرنا دائم التضرع وإظهار الخوف والأسى ، يتذلل أمام ربه وهو يناجيه في ابتهالاتـــه الدينية ، يطلب منه أنْ يهب له الحِلْمَ والعزم على التقوى ، والتقوى هي ميزان المفاضلة بين البشر ، وهي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، كما عرّفها علي بـــن أبي طالب كرّم الله وجهه ، وهي أمور نلمسها في أشعار أبي العتاهية ، فهو دائم الخوف من الله ، تائب إليه ، يناجي ربَّه في قيام الليل وقد احكم أمره استعداداً للرحيل وهذا واضح في قصائده التي تعبّر عن مشاهد حيَّةٍ للإنسان في الموت وسكراته ، وفي القبر وظلماته فيقول :(٥٥)

---

٥٣. المصدر السابق ص ١٧٥

٥٤. المصدر السابق ، ص ٢٦١-٢٦٢.

٥٥. المصدر السابق ، ص ٣٤٧.

أيـا رَبِّ يـاذَا الْعَـرْشِ أنْـتَ رَحِيـمُ ... وأنْتَ بِمـا تُخْفـي الصُّـدورُ عَليـمُ
فَيـا رَبِّ هَـبْ لي مِنْـكَ حِلْمـاً فـإنَّني ... أرَى الْحِلْمَ لَمْ يَنْـدَمْ عَلَيْـهِ حَليـمُ
ويَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ عَزْمـاً عَلـى التُّقـى ... أَقيمُ بِهِ مـا عِشْـتُ حَيْـثُ أُقيـمُ
ألاَ انْ تَقْـوَى اللهِ أكْـرَمُ نِسْـبَةٍ ... تَسامى بِـها عِنْـدَ الْفَخـارِ كَـريمُ
إذا ما اجْتَنَبْـتَ النَّـاسَ إلاّ عَلـى التُّقـى ... خَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيـا وأنْـتَ سَـليمُ

ويردّد الحان الضراعة لله عز وجل ، طالباً منه الحلم ، والعزم على التقوى ، فالتقوى كثيرا ما ترد في ثنايا أشعاره ، لأنّ ضعة النسب التي لحقت به ، ومهنة والده ، جعلته يجد عزاءه في التقوى ، فهي اكرم النسب كما يرى أبو العتاهية ، فمن يمتلك التقوى فقد يعتلي عريكه المجد التي طالما حلم بها ، وحالت الظروف دون تحقيقها ، فيناجي ربه ، متضرعا إليه ، طالبا العون منه ، - والمغفرة كما يقول في الأبيات آلاتية :-(٥٦)

يـا رَبِّ إنّـي بِـكَ أنْـتَ رَبّـي ... ومِنْـكَ إحْسـانٌ ومِنّـي ذَنْـبي
اسْـتَغْفِرُ اللهَ فَنِعْـمَ الْقـادِرُ ... اللهُ لي مِـنْ شَـرِّ مـا أحـاذِرُ

ويقول :(٥٧)

يـا رَبِّ سَـلِّمْنا وَسَـلِّمْ مِنّـا ... وَتُـبْ عَلَيْنـا وَتَجـاوَزْ عَنّـا
يـا رَبِّ إنّـا بِـكَ حَيْـثُ كُنّـا

فالندم على الذنب يورث الحِكْمة ، ويبعث على التوبة الصادقة ، والمرءُ المؤرَّقُ من وخز الضمير ، وثقل الذنب يتفكّر في النهاية ، ويلجأ إلى الضّراعة والابتهال إلى الله عزَّ وجلَّ ، مظهراً ضعفه وتذلّله أمام خالقه ، معترفاً بقدرة الله عزَّ وجلَّ على تصريف أمور الكون كلّه من خلق وحياة ، وممات وبعث وحساب ، فيقول :(٥٨)

يـا رَبِّ أنْـتَ خَلَقْتَـني ... وخَلَقْـتَ لِي وخَلَقْـتَ مِنّـي
سُـبْحانَكَ اللّـهُمَّ عـا ... لِـمُ كُـلِّ غَيْـبٍ مُسْـتَكِنِ
مـالي بِشُـكْرِكَ طاقَـةٌ ... يـا سَـيِّدي إنْ لَـمْ تُعِنّـي

---

٥٦. المصدر السابق ، ص ٤٥٥ – ٤٥٦.
٥٧. المصدر السابق ، ص ٤٦٤.
٥٨. المصدر السابق ، ص ٦٥٨.

فهو مقرٌّ بذنوبه ، معترفٌ بها ، ولكنَّ يقينه على الله بأنْ يغفر ذنوبه هو الذي يعطيه شحنةً إيمانيةً ، تدفعه باتجاه التوبة الصادقة والخوف من هول يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة لمن فرّط في جنب الله ، فيقول :(٥٩)

اسْتَغفرُ اللهَ مِنْ ذَنْبي وَمِنْ سَرَفي ... أنّي وإنْ كُنْتُ مَسْتوراً لَخَطّاءُ

لم تَقْتَحِمْ بي دواعي النّفْسِ مَعْصِيةً ... إلاّ وبَيْني وبَيْنَ النُّورِ ظَلْماءُ

٥. مناجاة النفس

يحدّث أبو العتاهية نفسه ويناجي ربه في ساعات الضراعة والابتهال ، فيذكّر نفسه بالمصير الذي ستؤول إليه ، ويحذرها من العذاب الذي ينتظرها إن هي لم تقلع عن معاصيها .

والمناجاة والخلوة بالنفس أمرٌ محمودة عواقبه ، فلا بدَّ للإنسان من أن يقدر قيمة الوقت في حياته ، وليعلم أنّه محاسب على الزمن فيما أفناه ، فعليه أن يجعل من وقته ساعةً يناجي نفسه ويحاسبها وساعةً يناجي ربه ، وإلا فالويل لتلك النفس الغافلة ، وأبو العتاهية طالما ناجى نفسه ، وحاسبها ، وذكّرها بالمعاد ، ويوم التناد،فيقول :(٦٠)

يا نفسُ ما أوضحَ قَصْدَ السَّبيلْ ... خُلْقِتِ يا نَفْسُ لأمرٍ جَليلْ

يا نفسُ ما اقْربَ مِنّا البِلى ... أنا الذّي لا نَفْسَ لي عَنْ قَليلْ

كلُّ خليلٍ فلَهُ فُرْقَةٌ ... لا بدَّ يوماً مِنْ فِراقِ الخَليلْ

يا عَجَباً إنا لنَلْهوَ وقَدْ ... نُودِيَ في أسماعِنا بالرَّحيلْ

فالطريق واضح لكل ذي عينين ، ومن قصد السبيل القويم فلا بدَّ وأن يصل ، ونحن في هذه الدنيا مخلوقون لأمر جليل ، قال تعالى : (وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ)(٦١) وإنَّ الحياة يعقبها موت وفراق لكلّ ما هو غال وعزيز على النفس في الدُّنيا ، والعجب كلّ العجب من لهونا وغفلتنا ، وداع الموت ينادي ، وصاحب القرن قَدْ التقم القرن وأحنى الظهر ينتظر الأمر من الله عزَّ وجلَّ بالنفخة في الصور ، حقا إنّها أخطار تهددنا ونحن لا نُلقي لها بالاً ، وقد اتضح لي خلال هذه الدراسة مدى وعي الشاعر ابي العتاهية لهذه الأخطار ، فقد رسم لنا صور القيامة وأهوالها ، وأبرز الموت مراراً وتكراراً في أشعاره الزهدية التي لم يدانيه فيها مدانٍ ، ولا يجاريه في كثرتها مجارٍ ، فكان له قصب السَبق في ذلك .

والمناجاة لم تخلُ من ذكر الموت ، فهو يقول أنّه من سلسلة كلهم أموات وانَّ الموت لا يفرّق بين كبير وصغير ، ورضيع وفطيم فيقول :(٦٢)

يـا نَفْـسُ ابْـنَ أبي وَأيْـنَ أبـو أبي ... وَأبوهُ ، عُدّي لا أبـا لَـكِ وَاحْسُـبي
عُدّي فَـإنّي قَـدْ نَظَـرْتُ فَلَـمْ أجِـدْ ... بَيْـني وَبَيْـنَ أبيـكِ حَيّـا مِـنْ أبِ
قَدْ ماتَ ما بَيْـنَ الجَنـينِ إلى الرَّضيـ ... ـعِ إلى الْفَطيـمِ إلى الْكَبـيرِ الأشْـيَبِ
فَـإلى مَـنى هـذا أرانـي لاعِبـاً ... وارى المَنـونَ إذا أتَـتْ لَـمْ تَلْعَـبِ

ويواصل مناجاته الحزينة للنفس ، والندم والحزن يلفانه ، والخوف من المصير يؤرقه فيقـول :(٦٣)

يـا نَفْـسُ مـا هـوَ إلاّ صَـبْرُ أيّـامِ ... كـأنَّ لَذّتَـها أضْغـاثُ أحْـلامِ
يا نَفْـسُ مـالِيَ لا أنْفَـكُّ مِـنْ طَمَـعٍ ... طَـرْفي إلَيْـهِ سَـريعٌ طـامِحٌ سـامِ
يا نَفْـسُ كـوني عَـنِ الدُّنْيـا مُبـاعِدَةً ... وَخَلّفِيـها فـإنَّ الْحَـقَّ قُدّامـي
يا نَفْسُ ما الذّخْـرُ إلاّ مـا انْتَفَعْـتُ بـهِ ... في القبْرِ يَوْمَ يَكـونُ الدَّفْـنُ إكْرامـي
وَللزَّمـانِ وَعيـدٌ في تَصَرُّفِـهِ ... إنَّ الزَّمـانَ لَـذُو نَقْـضٍ وَإبْـرامِ
أمّـا الْمَشِـيبُ فَقَـدْ أدّى نَذارَتَـهُ ... وَقَدْ قَضـى مـا عَلَيْـهِ مُنْـذُ أعْـوامِ

فهو يذكّر نفسه بالموت ، فقد جاء النذير ، واشتعل الرأس شيباً ، فإلى متى سيبقى الإنسـان طامعاً في الحياة الدُّنيا حريصاً عليها ؟! فالدُّنيا وملذاتها أضغاث أحلام ، وقد آنَ الأوانُ أنْ ترعوي أيتها النفس وأنْ تقدّمي لك ذخراً ، تجدينه يوم القيامة .

ولابدَّ من الارتفاع فوق شهوات النفس ، والعقل هو الذي يكبح جماح النفس ، فـالحرب سِجَال بين العقل والنفس ، ولكن يبقى العقل الملجأ الوحيد الذي يعصم من الزيغ ، وهو السـبيل الى الهدى والتقوى .

---

٦٢. أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٣٢ .

٦٣. المصدر السابق ، ص ٣٤٥.

وأبو العتاهية يسطر القرار النهائي في العزم على التحول والانقلاب ، من أجل انتصار العقل على النفس ، ولم يكنْ هذا التحول سهلاً ، بل جاء نتيجةً للتفكّر الذي رافق الابتهالات والتضرّع ، ونجدهُ يعمل عقله حتى في لحظات المناجاة والتضرّع ، لكي يخلّصها من الخزي والندامة يوم القيامة ، فيقول :(٦٤)

رَجَعْتُ إلى نَفْسي بِفِكْري لَعَلّها ... يُفارِقُ ما قَدْ غَرَّها وَأَذَلّها

ويؤكد حرصهَ على استخدام العقل والمنطق لردّ هذه النفس إلى جادة الصواب فيقول:(٦٥)

ما الْفَعَ العَقْلَ لأصْحابِهِ ... نَتِيجَةُ الْعَقْلِ تَمامُ الأَدَبْ

فهو يعلن توبته ويحثّ نفسه علي السّير قدماً في طريق التقى والحقّ ، فيقول:(٦٦)

حَتَّى مَتى يا نَفْسُ تَغْتَرّين بالأَمَلِ الكَذوبِ
يا نفْسُ توبي قَبْلَ أنْ لا تَسْتَطيعي أنْ تَتوبي
واسْتغفِري لِذُنوبِكِ الـ ... ـرَّحْمنَ غَفّارَ الذُّنوب
والمَوْتُ خَلْقٌ واحِدٌ والخَلْقُ مُخْتَلِفُ الضُّروب
والسَّعْيُ في طَلَبِ التُّقى مِنْ خَيْرِ مُكْتَسَبِ الكَسوب
ولقَلَّ ما يَنْجو الفَتى الـ ... ـمحمودُ من لَطْخِ العُيوب

فأبو العتاهية قد سلّم أمره لله عزَّ وجلّ ، بعد ان عرف مدى ضعف الإنسان في هذه الحياة الدنيا ، فيقول مسلّماً أمْرَه لله :(٦٧)

استودِعُ اللهَ أموري كلَّها ... إنْ لَمْ يَكُنْ رَبي لها فَمَنْ لها

---

٦٤. المصدر السابق ، ص ٣٣٠.
٦٥. المصدر السابق ، ص ٣١.
٦٦. المصدر السابق ، ص ٤٤.
٦٧. المصدر السابق ، هامش ص ٤٤٧.

فالله هو مصرف الأمور ، وهو مالك الملك ، الأول والآخر ، تبارك وتعالى ، فقد رأينا كيف كان أبو العتاهية زاهدا في هذه الدنيا ، ترفد زهده روافد إسلامية غزيرة ، فالابتهالات التي دارت في شعره بين التسبيحات والتحميدات وتمجيد الله سبحانه وتعالى بصفاته العلية ، هي إشارات واضحة على صدق زهده وإخلاصه لله عز وجل ، وتضرعاته التي وردت ، تعطينا دليلاً واضحاً على مدى صدق الشاعر مع نفسه ، في زهده ، حين شارف على خريف العمر ، فكان حريّا به أن يقلع عن غيه ويتزود لأخرته ، فقد دقت أجراس الموت ، وآذن العمر بالرحيل ، وجدير به أن يتضرع إلى الله عز وجل ، وان يتفجع على نفسه ويناجيها أحيانا ،

فالحياة توشك ان تنتهي وتنحسر الأيام ، وهذه الومضات الزهدية ، والسبحات الروحية . توضح لنا غزارة أشعاره الزهدية ورقة عاطفته ، وأنه يستمدها من معين عقليّ وروحيّ لا ينضب .

الفصل الرابع

أولاً: التأثر بالنص القرآني:

يُعدُ القرآن الكريم القاعدة الأساسية للزهد في الإسلام، ففيه دعوةٌ واضحة إلى التقلل والتخفف من الحياة الفانية، والإقبال على الآخرة والإعداد لها بالعبادة الحقّة القائمة على الموازنة الدقيقة بين الجانب الماديّ والروحيّ في الإنسان، وقد سلك القرآن سبلاً مُتعددة في توجيه الزهد بطريقة إسلامية، قال تعالى: " إنَّ وَعدَ اللهِ حقٌ فلا تُغُرنَكُمُ الحياة الدّنيا "[1].وقوله عز وجل : " يا أيها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالُكم ولا أولادُكم عن ذكر الله "[2].

والقرآن الكريم قد صور الجنةَ والنار وبيَّن ما في الجنة من نعيم مقيم، قال تعالى :(ادخلوا الجنةَ أنتُم وأزواجُكم تُحبرون، يُطافُ عليهم بصحافٍ من ذهبٍ وأكوابٍ وفيها ما تشتهيهِ الأنفُسُ وتَلَذُ الأعينُ وأنتُم فيها خالدون)[3].

أما صورة النار فقد رسمها القرآن بصورة تبعث على الرهبةِ والخوف، فخوف العباد من النار وحذرهم، فوصف لهيبها وحرَّها، ووصف طعامها وشرابها، وحميمها وغساقها، وبردها وزمهريرها، ولباسها وعذابها، وتوعد الله عز وجلّ الكافرين بأن يملأ جهنم منهم لأنهم استحقوها بكفرهم وعنادهم، قال تعالى : (ولقد ذرأْنا لجهنّم كثيراً من الجنِّ والإنْس)[4].وقوله تعالى : (يومَ نقُولُ لجهنّمَ هلْ امتلأتِ وتقولُ هَلْ مِنْ مَزيد)[5].

والزهد ظاهرة إسلامية خالصة ، وحركة طبيعية برزت في المحيط الإسلامي منبعثةً من الحياة الروحية في الإسلام، وكان مصدرها القرآن والسنة ، ولا صلة لها بحركات الزهد في المسيحية والبوذية ، كما يدعي المستشرقون ، ويتابعهم في ذلك بعض الدارسين الذين تستريهم أفكار بعض المستشرقين الحاقدين على الأمة والدين.

فالإسلام لا يدعو إلى الرهبانية كما هي المسيحية ، بل ينكرها أشدّ الإنكار[6].قال تعالى : (ورَهْبانيةً ابتدَعوها ما كَتَبْناها عَليهم)[7].

واستفاض أبو العتاهية في الحديث عن الزهد في هذه الدنيا، والإبانة عن زيغها، وبهرجتها، وضآلة شأنها، حتى غدا شعره الزهديّ ثروةً زاخرةً تُصور الدنيا تصويراً يوافق المفهوم الإسلامي عند

---

[1] سورة لقمان ، الآية ٣٣.
[2] سورة المنافقون ، الآية ٩ .
[3] سورة الزخرف ، الآيتان ٧٠ – ٧١ .
[4] سورة الأعراف ، الآية ١٧٩ .
[5] سورة ق ، الآية ٣٠ .
[6] محمد عبد المنعم خفاجي : دراسات في التصوف الإسلامي ، ج١ ، ص٦٠ .
[7] سورة الحديد، الآية ٢٧ .

زهاد العصر، إذ أنه اعتمد اعتماداً كبيراً على القرآن والسنة، في معانيه وألفاظه الشعرية، مما أضفى على شعره جواً إسلامياً خالصاً.

ويرى شوقي ضيف بأن أبا العتاهية متأثرٌ بالقرآن والسنة فيقول : " وكان إلى ذلك مثقفاً ثقافةً أسلاميةً واسعةً، وهي تتضح في كثرة ما نقله إلى زهدياته من آي الذكر الحكيم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ". ([8]).

فالقرآن مصدر من مصادر ثقافة أبي العتاهية التي ظهرت في أشعاره الزهدية بوضوح . وقد فطن إلى هذا التأثر بعض القدامى والمحدثين ([9]) ، فأبو العباس المبرد أشار إلى الشبه القوي بين قول الله تعالى: (فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) وبين قول أبي العتاهية :

وقَد يَهلِك الإنسان مِن باب أمنهِ ... وينجو لَعَمْرُ الله من حَيْثُ يَحذَرُ

وفي هذا الفصل سنقف على مظاهر التأثر بالقرآن والحديث ، من خلال الأشعار الزهدية التي اشتمل عليها ديوان أبي العتاهية ، وتتلخص الموضوعات التي تأثر بها الشاعر فيما يلي :

أ .مشاهد يوم القيامة :

تحدث الشاعر عن مشاهد يوم القيامة، وأهوالها العظيمة التي تجعل الولدان شيبا، والمصير بعد ذلك إما سعادة أبدية، أو شقاء دائم وهذا ما عبر عنه أبو العتاهية بقوله :

خُلِقَ الخَلْقُ للفَناءِ فَهُمْ بَيْـ ... ـنَ شَقِيٍّ مِنْهُم وَبَيْنَ سَعيدِ

والذي يتأمل معنى البيت السابق ينصرف ذهنه إلى الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها الحق عز وجل واصفا مصير البشر آنذاك : (يَوْمَ يأتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بإذنِهِ فَمِنْهُم شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) ([10]) ويصور أبو العتاهية هذه المشاهد المثيرة، فيقول : ([11])

ليْتَ شِعْري وَكَيْفَ حالُكِ يا نَفْـ ... ـسُ غَداً بَيْنَ سائقٍ وَشَهيدِ

إنه الخوف والفزع والقلق الذي يسري في نفس أبي العتاهية، ويلقي بضلاله على الناس كي يتأملوا ببصيرة ثاقبة هذه المشاهد، ويتكئ الشاعر على الحقائق الثابتة التي أوردها سورة (ق)، قال تعالى : (وجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائقٌ وَشَهيد، لَقَدْ كُنْتَ في غَفْلَةٍ مِنْ هَذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَك فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَديدٌ). ([12])

---

[8] شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، ص ٢٥٠.

[9] المبرد : الكامل، ج١، ص١٧٦، وانظر الديوان ص١٥١ .

[10] سورة هود، الآية ١٠٥ .

[11] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص١٢٣ .

وهو مشهد من مشاهد القيامة التي استطاع أبو العتاهية رسمه بدقة متناهية مستفيدا من معاني وألفاظ الآيات القرآنية السابقة، ثم يواصل رسم هذه الصور والمشاهد فيقول : (١٣)

بِكَ لا أَبا لَكَ مُذْ خُلِقْتَ مُوَكّلاً مَلَكٌ يَعُدُّ عَلَيْكَ ما تَتَنَفَّسُ

والفكرة مأخوذة من قول الله عز وجل : (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ). (١٤)

ويتعمق أبو العتاهية في رسم صورة هذه المشاهد قائلا: (١٥)

وَمِنْ بَيْنِ مَسْحوبٍ عَلى حَرِّ وَجْهِهِ ومِنْ بَيْنِ مَنْ يأْتي أَغَرَّ مُحَجَّلا

في هذا البيت يورد أبو العتاهية صورة تظهر مصير البشر، فالمؤمن يأتي محجلا أغر، والذي ألهته الدنيا يأتي مسحوبا على وجهه، ويريد من خلال عرض هذه الصورة أن يوغر صدور أولئك الذين اعتلوا سدة الحكم، وفاقوه منصبا وجاها، ويستمد صورته هذه من قول الله عز وجل: (يَوْمَ يُسْحَبونَ في النّارِ عَلى وُجوهِهِم، ذوقوا مَسَّ سَقَر). (١٦) وقوله تعالى: (إِذِ الأَغْلالُ في أَعْناقِهِم والسَّلاسِلُ يُسْحَبونَ في الحَمِيمِ ثُمَّ في النّارِ يُسْجَرون). (١٧) ويواصل رسم صور مشاهد القيامة فيقول: (١٨)

يَومُ النَّوازِلِ والزلازِلِ والحُوا مِلِ فيه إِذْ يَقْذِفْنَ بالأَحْمالِ
يَوْمُ التغابُنِ والتباينِ والتَّوا زُنِ والأُمورِ عَظيمةِ الأَهْوالِ
يَومَ يُنادى فيه كُلُّ مُضَلَّلٍ بِمُقَطَّعاتِ النّارِ والأَغْلالِ

فالمعاني مقتبسة بطريقة ذكية من قول الله عز وجل في سورة الحج: (يا أَيُّها النّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم إِنَّ زلزَلَةَ السَّاعةِ شيءٌ عَظيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَها تذهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عِمّا أرضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وتَرى النّاسَ سُكارى وما هُمْ بِسُكارى ولكنَّ عذابَ الله شديد). (١٩)

---

١٣ أبو العتاهية أشعاره وأخباره. ص٥٦٦
١٤ سورة ق، الآية ١٨
١٥ أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٣٠٤
١٦ سورة غافر، الآية ٧١ – ٧٢
١٧ سورة القمر، الآية ٤٨.
١٨ أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٢٨٣
١٩ سورة الحج، الآيات، ١ – ٢

ويَفرق أبو العتاهية خوفاً من مشاهد اليوم الآخر كما وردت في القُرآن الكريم، وبطبعه يُضفي بظلال خوفه على إخوانه من بني جنسه، كي يُحرك نُفوسهم بهذا الخوف، فهو يختار الآيات الكريمة التي تُشكل مشهداً رهيباً لتصوير انفطار السماء حين تمور، وتضطرب وتتصدع جوانبها،فيقول : [٢٠]

لستُمْ تُرَجُّونَ للحِسابِ ولا يَومَ تكـونُ السماءُ مُنفَطِرة

وهذا مُقتبس من الآية القرآنية الواردة في سورة الانفطار، قال تعالى: (إذا السماءُ انفطـرت) [٢١]، وحينَ يحدُث الانفطار للسماء، فالأرضُ تتزلزل تلقائياً، ويصوغُ أبو العتاهية المعاني القُرآنية شِعراً مُثيراً لمخاوف الناس من المصير الذي ينتظرهم، فيقول: [٢٢]

والحمدُ للهِ شُكراً لا نفاذَ لهُ والناسُ في غفلةٍ عَمّا لهُ خُلقوا
ما أغفلَ الناسَ عن يومٍ ابتعاثهم ويومَ يَلجُمهم في الموقِفِ العَرَقُ

ويُواصل أبو العتاهية رسم الصُور المُتتابعة لمشاهد الحساب لجميع الخلائق في يومٍ مقدارهُ خمسونَ ألفَ سنة، والشمسُ تدنو من رؤوس الخلائق ميلاً أو بعضَ ميل، فالأبصارُ شاخصة، والقلوبُ واجفة، قد بلغت الحناجرُ رهبةً وخوفاً بانتظارِ اللحضةِ الحاسمةِ في مصير الإنسان، إما إلى السعادة الحقيقية الأبدية وإما إلى الشقاءِ الدائم، وما يُقررُ ذلك هو تسلُم الكتاب إما باليمين أو بالشمال، والصورة كما يراها أبو العتاهية: [٢٣]

لَيْتَ شعري عَنْ لِساني أيَقوى يَومَ عَرْضي أن يَرُدَّ الجَوابا
لَيتَ شِعري بيميني أُعطى أم شِمالي عِندَ ذاكَ الكتابا

ومرحلة تطاير الصحُف من المراحل التي تجعل الناس يرقبونَ مصيرهم، أبصارهم شاخصة انتظاراً لتسلم الكتاب باليمين أم بالشمال لأن ذلك من دلائل المصير النهائي الذي يعقِبُ الحساب الدقيق ومراحله المُتوالية من حشرٍ وصِراطٍ وميزان، تنتهي بالخلائق إلى الجنةِ أو النار، فيقول: [٢٤]

فأما أن أخلُدَ في نعيمٍ وإما أن أُخلدَ في عَذابِ

فأهلُ الجنةِ قد وجدوا ما وعدهم ربُّهم حقاً، وأهلُ النار كذلك. يقولُ أبو العتاهية: [٢٥]

ألا ربَّ ذي طِمرينْ في مجلسٍ غداً زرابيُّهُ مبثوثةٌ ونَمارِقُهْ

---

[٢٠] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره ص ٥٤٤
[٢١] سورة الإفطار، الآية ١.
[٢٢] أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره ص ٢٥٠
[٢٣] المصدر السابق نفسه ص ٤١
[٢٤] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٣٤
[٢٥] المصدر السابق، ص ٢٥٥

تأثر أبو العتاهية بسورة الغاشية، حتى وجد نفسه أمام اقتباس ألفاظ الآيات التالية، قال تعالى: (وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ، لسَعيِها راضيةٌ، في جَنّةٍ عاليةٍ، لا تَسْمعُ فيها لاغيةً، فيها عينٌ جاريةٌ) إلى قوله تعالى: (ونمارقُ مصفوفةٌ وزرابيُ مَبثوثةٌ) [٢٦] والجنةُ هي المبتغى لكل إنسانٍ يؤمنُ بالله وباليوم الآخر، ومن أراد الجنةَ فمهرها اطلاق الدنيا وهذا ما عبر عنه أبو العتاهية بقوله: [٢٧]

أسْألُ عنِ الدُّنْيا وعن ظِلّها ... فإنَ في الجنةِ ظِلاً ظَليلْ
وإنَّ في الجنةِ للرَّوحَ والرِّ ... يحانَ والرَّاحة والسلسبيلْ
مَنْ دخَلَ الجَنَّة نال الرضى ... مما تمنّى واستطابَ المقيلْ

والاقتباس واضح في الأبيات، فالبيت الأول يتحدث فيه عما في الجنة من ظلّ ظليل وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجّنةَ بأن فيها ظِلاً ظليلاً أُعدَ للمتقين، قال تعالى: (لهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ وندخلهم ظلاً ظليلاً) [٢٨] وفي البيت الثاني يتناول أبو العتاهية ألفاظ القرآن الكريم ويصوغها شِعراً وهي واردة في قول الله عز وجل: (فأما إن كان من المُقربين، فروحٌ وريحانٌ وجناتُ نعيم) [٢٩] وفي الجنة كذلك عينٌ تحدثَ عنها أبو العتاهية وهي السلسبيل، وهي عينٌ أعدها الله للمتقين، قال تعالى: (عيناً فيها تُسمى سلسبيلا) [٣٠] وفي البيت الثاني إشارة إلى أحوال أهل الجنة كما أخبر عنها الله عز وجل بقوله: (أصحابُ الجنةِ يومئذٍ خيرٌ مُستقراً وأحسنُ مقيلا) [٣١] ولهم فيها الرضى، قال تعالى: (والذين اتبعوهُم بإحسانٍ رضِيَ اللهُ عَنْهُم ورَضوا عنه).[٣٢]

ب- الحديث عن الموت:

تناول الفصل الأول قضية الموت عند أبي العتاهية، وبيّن نظرته للموت، وهذا الفصل يعرضُ أثر القرآن في أشعار أبي العتاهية في موضوع الموت الذي أقلق الشاعر طويلاً، فهو يرى أن شمولية الموت ترويحاً للنفس أكثر مما هو إفزاع لها، فهو يُروّحُ عن نفسهِ أولاً، ويعزي نفوس المظلومين ثانياً، لذا فهو متأثر بالآيات القرآنية التي تفصح عن شُمول الموت لكل من على هذه الأرض ، فيقول: [٣٣]

وَجِدْتَ عن الموتِ الذي لَنْ تفوتَهُ ... ولا بدّ مما أنتَ عنهُ تَحيدُ

---

[٢٦] سورة الغاشية، الآيات ٨ – ١٦.
[٢٧] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره ص ٣٤
[٢٨] سورة النساء، الآية ٥٧
[٢٩] سورة الواقعة، الآية ٨٨ – ٨٩
[٣٠] سورة الإنسان، الآية ١٨
[٣١] سورة الفرقان، الآية ٢٤
[٣٢] سورة التوبة، الآية ١٠٠
[٣٣] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ١٢١

ويؤكد على هذه الفكرة، والتي يَكثرُ وجودها بين الناس، فيقول: [٣٤]

يا عجباً كُلنا يُحيدُ عنِ الـــــ ... حَيْنِ وكُلٌّ لحينِهِ لاقِ
كأن حَيّاً قَدْ قَام نادبُــــهُ ... والتفّتِ الساقُ منه بالسَّاقِ

والفكرة مأخوذةٌ من قول الله عز وجل في سورة ق، قال تعالى: (وجاءَتْ سَكْرةُ الموت بالحقِ ذلك ما كُنتَ منهُ تحيد) [٣٥] ، فالموتُ لا مهرَبَ منهُ أبداً، ولا بُدَّ من مُلاقاة الموت الذي تفرُ منه النفوس وتهرُب ، ويتوقف عند سكرات الموت قائلاً: [٣٦]

يا سَكْرةَ الموتِ قَدْ نَصَبتِ لِهـ ... ـذا الخَلقِ في كُلِّ مَسْلكٍ شَرَكا
يا سكْرةَ الموتِ أنتِ واقفةٌ ... للمَرْءِ في أيِّ آيةٍ سَلَكا

ويتحدث أبو العتاهية عن حتمية الموت، وضعف الإنسان أمامه وقلّةِ حيلة المرء في دفعه، فيقول: [٣٧]

يهرُبُ المرءُ مِنَ المَوْتِ وهلْ ... ينفعُ المرءَ من المَوْتِ الهرَبْ

ويقول كذلك: [٣٨]

ولم يُنْجِ مخلوقاً من الموتِ حيلةٌ ... ولو كانَ في حِصنٍ وثيقٍ وأحراسِ

ويسلط سلاحه على الطبقة الحاكمة ، مُشهراً سلاح الموت في وجوههم ، فيقول: [٣٩]

ما يَدفعُ الموتَ أرصادٌ ولا حرسُ ... ما يغلِبُ الموتَ لا جنٌ ولا إنسُ
ما إن دعا الموتُ أملاكاً ولا سُوَقاً ... إلا ثناهُمْ إليه الصّرْعُ والخُلْسُ
إنَ المنيةَ حَوضٌ أنتَ تكْرَهُهُ ... وأنتَ عَما قليلٍ فيه تَنْغَمِسُ

ونجدهُ قد استوعب الآيات التي تتحدث عن الموت وفهْمها فهماً دقيقاً لأن الموتَ أمرٌ هامٌ بالنسبةِ له، وهو أحد أسلحته التي يُسلطها على الرقاب في وعظياته ، فالفكرة في الأبيات السابقة تدور حولَ معنى

---

[٣٤] المصدر السابق ، ص ٥٨٩ .
[٣٥] سورة ق ، الآية ١٩ .
[٣٦] أبو العتاهية أخباره وأشعاره ص ٢٦٠ .
[٣٧] المصدر السابق ، ص ٣٠ .
[٣٨] المصدر السابق، ص ١٩٢
[٣٩] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ٢٦

الآية القُرآنية الكريمة ، قال تعالى: (قُل إنّ الموتَ الذي تفرّونَ منهُ فإنه مُلاقيكُم). [٤٠] وقولـــه عـــز وجل: (أينَما تكونوا يُدرِكْكُمُ الموتُ ولو كنتم في بُروجٍ مُشيّدة). [٤١]

والإنسان مخلوقٌ من تُراب وسيعودُ إلى التُراب بعد الموت، وسيخرُجُ إلى الحشر من الـــتراب، فالإنسان كما ترى تُرابي النشأة والأصل، فالأرضُ لها نصيبٌ من كُل مخلوق وهي فكرةٌ عبر عنها أبـــو العتاهية بقوله: [٤٢]

ألا كُـــلُّ ما هـــوَ آتٍ قَريـــــبُ وللأَرْضِ مِنْ كُـــلِّ حَيٍّ نصيـــبُ

وهي مُستمدة من قـــوله عـــز وجـــل (قَـــدْ عَلِمْنـــا ما تَنْقُـــصُ الأَرضُ مِنْهُـــم وعِنْـــدَنا كتـــابٌ حفيظ). [٤٣] ويقول أبو العتاهية: [٤٤]

لا بُد منْ مَـــوْتٍ بـــدارِ البلـــى واللهُ بَعْدَ المَوْتِ يُحيِي العظامْ

وهذا اقتباس من قول الله عز وجل: (وضَرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يُحيي العظام وهـــي رميم، قُل يُحييهـــا الذي أنشأها أول مرةٍ وهو بكُلِ خلقٍ عليم). [٤٥] أمـــا صـــورة الفنـــاء التـــي استطـــاع أبو العتـــاهية رسم ملامحهـــا، فهي مُستمـــدة من القـــرآن الكـــريم ومن قـــول الله عـــزَّ وجـــل: (كُلُّ من عليهـــا فان ، ويبقى وجهُ ربكَ ذو الجَـــلالِ والإكرام). [٤٦] وهذا ما عبرَ عنهُ أبـــو العتاهية بقوله: [٤٧]

قَضـــى عَلى خَلْقِـــهِ المَنـــايـــا فكُـــلُّ حَـــيٍّ سِـــواهُ فـــانِ

ولكُـــلِ أمةٍ أجلٌ لا يستقـــدم ســـاعةً ولا يستـــأخر ، ولهم آجالهم التي كتبهـــا الله لهم فيقول أبـــو العتاهية: [٤٨]

ولستُ بأَبْقى مِنْهُم في ديارِهم ولكَنّ لي فيها كِتاباً مُؤَجـــلاً

---

[٤٠] سورة الجمعة ، الآية ٨.
[٤١] سورة النساء ، الآية ٧٨
[٤٢] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ص ٣٧
[٤٣] سورة ق ، الآية ٤
[٤٤] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ص ٣٤٣
[٤٥] سورة يّس ، الآية ٧٨
[٤٦] سورة الرحمن ، الآية ٢٦ ـ ٢٧

عندما نتأمل الفكرة في هذا البيت نرى أنه قد تأثر بقول الله عز وجل: (وما كان لنفسٍ أن تمـــوتَ إلا بإذن الله كِتاباً مُؤَجّلاً).([٤٩]) وقوله عزّ وجلّ: (لكُلِ أُمةٍ أجلٌ إذا جاءَ أجَلُهُم فلا يستأخرون ساعةً ولا يَسْتَقدِمون).([٥٠])

والناس أمواتٌ أبناءُ أموات، وآجالهم مكتوبة مُذ كانوا في بطون أُمهاتهم، فمنهم من يُعجـلُ الله له أجله، ومنهم من يُؤَجَلُ إلى زمن مُحدد، والناسُ في نومهم يموتون الموتةَ الصُغرى فمنهم من تَرُدُ لـــه روحه، ومنهم من يُقْبَضُ وهذا وارد في قول الله عزّ وجلّ: (اللهُ يَتَوَفّى الأنْفُسَ حينَ تموت، والتي لم تُمت في منامها، فيُمسكُ التي قضى عليها الموت، ويرسلُ الأخرى إلى أجلٍ مُسمى ، إنَ في ذلكَ لآياتٍ لقـومٍ يتفكرون).([٥١]) ويطرقُ أبو العتاهية الفكرة نفسها ، فيقول: ([٥٢])

وما النـاسُ إلا ميّتٌ وابنَ ميّتٍ تأجّـلَ حـيٌّ منهـم أو تعجّـلا

ويقول أبو العتاهية عن أصل خلق الإنسان من تراب، وعودتهُ إلى التُراب: ([٥٣])

من تُرابٍ خُلقتَ لا شـكَّ فيـه وغـداً أنت صـائرٌ للتـرابِ

وهذا المعنى الذي أشار إليه الشاعر، ذكرهُ القرآن الكريم في سورة طـه، قال تعالى:(منها خلقنـاكُم وفيها نُعيدكم، ومنها نُخرجُكُم تارةً أخرى). ([٥٤])

والأجل من الأمـور الغيبية التي لا يعلمها الإنسـان، فلا يدري متى سيموت، وبـأي أرضٍ يمـوت فيقول: ([٥٥])

ليتَ شعـري فإنّني لَسْتُ أدْري أيُ يومٍ يَكـونُ آخـرَ عُمـري
وبـأيّ البـلادِ تُقبـضُ روحي وبِأيّ البِقـاعِ يُحفـرُ قَبْـري

جـ. زوال الدنيا :

إن مشاهد اضطراب النظام الكوني واختلاله يوم القيامة تملأ النفوس على اختـلاف طبقـاتهم هيبةً ورهبةً ، وقد حذر أبو العتاهية في ديوانه الزهدّي من خُطورة الغفلة التي يعيشُها الناس، ودعـا إلى الانتباه للخطـر المحدق بهم، ويُعيـد إلى الأذهـان أخبـار الأمم التي خلت، كي يجعلَ منـها عظَـةً وعبرةً،فيقول : ([٥٦])

---

[٤٩] سورة آل عمران، الآية ١٤٥.
[٥٠] سورة يونس، الآية ٤٩.
[٥١] سورة الزمر، الآية ٤٢.
[٥٢] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ص ٣٠٤.
[٥٣] المصدر السابق ، ص ٤٣.
[٥٤] سورة طـه، الآية ٥٥.
[٥٥] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١٧٠.
[٥٦] المصدر السابق ، ص ٣٠٤.

توهمتُ قوماً قَدْ خَلوا فكأنهُمْ بأجمعِهم كانوا خُيالاً تَخَيَّلا

أخذ الشاعر الشَّطر الأول من البيت، من الآية القُرآنية ، قال تعالى: (وحقَّ عليهمُ القَوْلُ في أُممٍ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِهم).[٥٧] وقوله تعالى: (كذلكَ أرسَلْناكَ في أُمّةٍ قد خلَتْ من قَبلها أُمم).[٥٨]

ويرسمُ صُورةً للفناء بقوله: [٥٩]

ما هَبَّ أو دَبَّ يَفْنى لا بَقاء له والبَرُّ والبحرُّ والأقْطارُ والأُفُقُ

فالفناء يشمل كُلَّ شيءٍ على وجه الأرض ، وقد أخذَ فكرة الفناء من قول الله عز وجل: (كُلُ من عليها فانٍ، ويبقى وجهُ ربِّكَ ذو الجلالِ والإكرام) [٦٠] ويعقِبُ هذا الفناء، رُجوع الأمر كُلهُ لله عز وجلّ ، وهي عائدةٌ لا محالة لخالقها كما يقول أبو العتاهية: [٦١]

لله عاقِبةُ الأمورِ طُوبى لمُعتبرٍ ذكورِ

وقد أخذَ الشطر الأول من الآية القُرآنية التالية: (ولله عاقبةُ الأمور).[٦٢]

ويقول أبو العتاهية إنَّ الناس يثقونَ بالدنيا وهي دارُ الزوال ، والموتُ فيها موكّل بالعباد، يتحطفهم واحداً تلوَ الآخر ، وأن الأماني فيها طويلة ، رغمَ قصر هذه الحياة فيقول: [٦٣]

رَكَنا إلى الدُّنيا فطالَ رُكوننا ولسْنا نَرى الدُّنيا على ذاكَ مَنْزِلا
فلِلّهِ دارٌ ما أحَثَّ رَحيلها وما أعرضَ الآمالَ فيها وأطوَلا
أيا صاحِبَ الدُنيا وَثِقتَ بمنزلٍ ترى المَوتَ فيهِ بالعبادِ موَكَّلا

وأخذ هذه المعاني من كتاب الله عز وجل، فالبيت الأول مأخوذ من قول الله عزّ وجلّ: (أَرَضيتُم بالحياةِ الدُّنيا من الآخرة).[٦٤] والبيت الثاني من قول الله عز وجل: (وغرّتْكُم الأمانيُّ حتى جاءَ أمرُ الله وغَرَّكُم بالله الغُرور).[٦٥] والبيت الثالث من قول الله عز وجل: (وما هذه الحياةُ الدُّنيا إلا لهوٌ ولعبٌ ، وإنَّ الدار الآخرة لهي الحيوان).[٦٦]

---

[٥٧] سورة فصلت ، الآية ٢٥.
[٥٨] سورة الرعد ، الآية ٣٠
[٥٩] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ٢٤٩
[٦٠] سورة الرحمن ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧
[٦١] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥
[٦٢] سورة الحج ، الآية ٤١
[٦٣] أبو العتاهية: أشعارهُ وأخباره ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥
[٦٤] سورة التوبة ، الآية ٣٨
[٦٥] سورة الحديد ، ص ١٤
[٦٦] سورة العنكبوت ، ص ٦٤

فالدنيا في نظر أبي العتاهية مضلّلة ، وهذا شأنها في الغدر والـزوال ، ونـراهُ يُكـرر نـداءهُ المتحـرق شوقـاً إلى الآخـرة ،والتيـاعاً من الدنيـا، لأن طبعها الغدر والغرور ، فيقول: (٦٧)

ألم تـرَ أنمـا الدُّنيـا غُـرورُ وأنَّ مُقـامَنـا فيهـا قَليـلُ

وقـولـه: (٦٨)

ألا إلـى اللهِ تصيـرُ الأمـورْ مـا أنتِ يا دُنيـايَ إلا غـُـرورْ

فالأشعار التي تتحدث عن غُرور الدُّنيا كثيرةً عند أبي العتاهية ، وقد أخذ معنى الغُرور وتعمـق في فهمه حتى أخذ يقتبس الآيات القرآنية التي تتحدث عن غُرور الدنيا ، ليصوغَ منها شِعراً مُعـبراً ، فالمعنى واضح في قول الله عز وجل : (وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغرور)(٦٩) وقول الله عز وجـل : (ألا إلى الله تصيرُ الأمور).(٧٠)

د . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

حرص أبو العتاهية على حث المسلمين على فعل الخيرات ، لأنها تُقربهم من الله عـز وجـل، وترفع منزلتهم عنده، وتُجنبهـم العـذاب ، فحث على التمسـك بالطـاعات ، واجتنـاب المعاصي في قوله: (٧١)

دَعِ الشَـرَ وابْـغِ الخيرَ في مُستَقرِّهِ فَللخـيرِ عـاداتٌ وللشَّرِ عـاداتُ

فهي دعوةٌ للخير وتجنب للشرّ وردت في القُرآن العظيم في سورة التغابن في قوله تعـالى: (واسمعـوا وأطيعوا وانفقوا خيراً لأنفسكم).(٧٢)

وأبوالعتـاهية دائم التوكـل على الله ، لأن من يتوكـل على الله فهو حسبه ، يقول: (٧٣)

تَوَكَّـلْ على اللهِ واقنـعْ ولا تُرِد فضْـلَ من فضْلُهُ أنكـدُ

وقد أخذ هذا المعنى من قول الله عز وجل: (وَمَنْ يتَوَكَّلْ عَلى اللهِ فهُوَ حَسْبُه).(٧٤)

---

٦٧ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ٢٩٠
٦٨ المصدر السابق ، ص ١٧٢
٦٩ سورة الحديد ، الآية ٢٠
٧٠ سورة الشورى ، الآية ٥٣
٧١ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ٥٨
٧٢ سورة التغابن ، الآية ١٦
٧٣ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ١٢٠
٧٤ سورة الطلاق ، الآية ٣

ومن يتوكل على الله فإنه لا ملجأ له إلا الله عز وجل، وحينَ جاءت حقيقة التوكل في قلب أبو العتاهية ، أخذ يُعبر عن هذه الحقيقة الراسخة بكُل صدق وإخلاص ، فيقول: [٧٥]

ففِرَّ إلى اللهِ من لُؤْمِهِمُ فإنّي أرى النّاسَ قَدْ أصْلَدوا

وقد أخذ هذا المعنى من قول الله عز وجل: (ففروا إلى الله إني لكم منهُ نذيرٌ مُبين).[٧٦]

ويُحذر أبو العتاهية من كثيرٍ من الأمراض الإجتماعية التي ظهرت في مجتمعه كالغيبة، والنميمة، والبُهتان، وغيرها وهي مُتمثلة في قوله: [٧٧]

إيّاكَ والبَغْيَ والبُهتانَ والغِيبَةْ والشّكَ والشركَ والطُغيانَ والريبةْ

والمعاني الواردة في البيت السابق في مُجملها، مُستمدة من القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى نهى عن البغي قال تعالى واصفاً البشر بأن قابليتهم للبغي واردة في نفوسهم لذا لا بُد من الحذر: (ولو بسط الله الرزقَ لعباده لبغوا في الأرض) [٧٨] ، وقوله: (قُل إنما حرمَ ربي الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغيَ بغير الحق) [٧٩] ، وعاقبةُ البغي تعودُ على الباغي ، قال تعالى: (يا أيُها الناسُ إنما بغيُكم على أنفسكم) [٨٠] ، ويُحذر كذلك من البُهتان ، وهذا التحذير مأخوذ من قول الله عز وجل: (والذينَ يؤذونَ المؤمنين والمؤمناتِ بغيرِ ما اكتسبوا فقد احتملوا بُهتاناً وإثماً مُبينا).[٨١]

ويرسم أبو العتاهية معالم طريق الهداية مُستفيداً من ثقافتهِ الإسلامية والقُرآن والسنة ، فيقول: [٨٢]

من يَسْتَنِرْ بالهُدى يُنِرْهُ ومَنْ يَبغِ إلى اللهِ مَطلباً يَجِدِ

والآيات التي وردت في القرآن الكريم لتُنيرَ الطريق لمن أراد الهداية كثيرة، قال تعالى: (فالذينَ آمنوا به وعزَّروهُ ونصروه واتَّبعوا النورَ الذي أُنزلَ معه أولئكَ همُ المفلحون) (٨٣)وقال

---

[٧٥] أبو العتاهية : أخباره وأشعاره ، ص ١٢٠
[٧٦] سورة الذاريات ، الآية ٥٠
[٧٧] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ٥١
[٧٨] سورة الشورى ، الآية ٢٧
[٧٩] سورة الأعراف ، الآية ٣٣
[٨٠] سورة يونس ، الآية ٢٣
[٨١] سورة الأحزاب ، الآية ٥٨
[٨٢] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ص ١٠٥
[٨٣] سورة الأعراف ، الآية ١٥٧

تعالى: (أفَمَنْ شَرحَ اللهُ صَدْرَهُ للإسلامِ فهو عَلى نورٍ من ربِّه).(٨٤) فالإيمان والكفر بينهما بونٌ شاسعٌ ، وهذا ما جعل أبا العتاهية يقول: (٨٥)

يا راكبَ الغَيِّ غَيْرَ مُتَئِدِ شَتّانَ بَيْنَ الضَّلالِ والرَّشَدِ

وقد أخذَ هذا المعنى من آيات الله البينات ، التي حددت معالم الهداية للبشرية، وبينت مدى خَسارة أولئكَ الذين مَشوا في طريق الضلال، التي تؤدي إلى النار.

والإنسان في هذه الدُنيا أسير أهوائه ورغباته، كما يرى أبو العتاهية، فمن كان مُتبعاً هوى نفسه فإنه عبدٌ لنفسه الأمارة بالسوء، فلا بُدَّ من التحرر من العُبودية، وهوى النفس، فيقول: (٨٦)

مَنْ كَانَ مُتبّعاً هَواهُ فَإنَّهُ لِهَواهُ عَبْدُ

والاقتباس واضح في الآية القرآنية التالية، قال تعالى: (فإنْ لَمْ يَستَجيبوا لَكَ فَأعْلَم أنّما يَتّبِعونَ أهْواءَهُم، ومَنْ أضَلُّ ممّنِ اتّبَعَ هَواهُ بغيرِ هُدى من الله).(٨٧)

ويُقرر أبو العتاهية حقيقة ثابتة مفادها أنَّ من يزرع خيراً يحصُدُ خيراً ، ومن يزرعُ شَّراً لا يجني إلا الشرّ والحسرة والندامة، فيقول: (٨٨)

وكَمْ حافِرٍ لامرئٍ حُفْرةً فصارَتْ خافِرِها حُفْرةْ

وهذا مُقتبس من كلام الله عز وجل في سورة النساء، قال تعالى: (من يعمل سوءً يُجْزَ به ولا يَجِدْ له من دونِ الله ولياً ولا نَصيراً).(٨٩)

ويتوقف أبو العتاهية عند شكر الله عزَّ وجل على نعمه وآلائه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى فيقول: (٩٠)

ومَنْ شَكَرَ اللهُ لَمْ يَنْسَهُ ولم يَنقطِعْ عَنْهُ مِنهُ المَزيدُ
وما يَكفُرُ العُرفَ إلاّ شقيٌّ وما يشكُرُ اللهَ إلا سَعيدُ

---

٨٤ سورة الزمر ، الآية ٢٢
٨٥ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١٠٤
٨٦ أبو العتاهية: أشعاره وأحباره ، ص ١١٨
٨٧ سورة القصص ، الآية ٥٠
٨٨ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ١٧٨
٨٩ سورة النساء ، الآية ١٢٣
٩٠ أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ١٠٧

فالذي يشكر الله إنما يحصل على المزيد من نعمه عزّ وجلّ لأن نعم الله تدوم بالشكر . والمعنى مأخوذ من قول الله عزّ وجلّ: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدَنَّكُم) [٩١] ، وقوله تعالى: (وَمَنْ يَشْكُرُ فإنّما يَشْكُرُ لنَفْسِه ، وَمن كَفَر فإنّ الله غنيٌّ حَميدٌ).[٩٢]

ومن الناس من يجعل الله وليه ويعتمد عليه في مناحي حياته، ومنهم من يجعل وليه الطاغوت فيقول أبو العتاهية: [٩٣]

مَنْ لَم يُوالِ اللهَ والرُّسُلَ التي ... نَصَحَتْ لَهُ فَوَلِيُّهُ الطّاغوتُ

وقد أخذ هذه الفكرة من قول الله عز وجل: (اللهُ وليُّ الذين آمنوا يُخْرِجُهُم منَ الظُلُماتِ إلى النّور، والذين كَفروا أولياؤُهم الطاغوتُ يُخْرجونَهُم من النّور إلى الظُلماتِ أُولئكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خالدون).[٩٤]

ومن يستمسك بالعروة الوثقى فقد فاز فوزا عظيما ، لأن عروة الإسلام لا انفصام لها كما أخبر الله عز وجل ، فيتمثل هذا المعنى قائلا: [٩٥]

ولا تَجْعَلَنَّ الحَمْدَ إلا لأَهْلِه ... ولا تَدَّعِ الإمْساكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقى

فالاقتباس جلي واضح حتى أن أبا العتاهية يحاول أن يأخذ ألفاظاً من القرآن الكريم كما هي أحيانا ، قال تعالى: (فمن يَكْفُرْ بالطاغوتِ ويُؤْمِنْ باللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقى لا انفِصامَ لها ، واللهُ سميعٌ عليمٌ).[٩٦]، والإنفاق في سبيل الله له أجرٌ عظيمٌ ، وعلى النقيض منه كَنزُ المالِ لأنه جُرم خطير ، لأن الإنسان محاسب على أمواله حسابا دقيقا من أين اكتسبها وفيما أنفقها، فما على المرء إلا أن ينفق من أمواله، في وجوه الخير، فيقول: [٩٧]

للمَرْءِ ما قَدَّمَتْ يداهُ من الـ ... فَضْلِ وللوارثينَ ما تَرَكا

وقد أخذ هذا المعنى من قول الله عز وجل في سورة البقرة: (وما تُنفقوا من خَيْرٍ فلأَنْفُسِكُم) [٩٨] ، ويُسْدي نُصْحَهُ للناس بأن ينفقوا مما رزقهم الله ، لأن الله سبحانه وتعالى سيخلف لهم ما أنفقوا ، فيقول: [٩٩]

---

[٩١] سورة إبراهيم ، الآية ٧
[٩٢] سورة لقمان ، الآية ١٢
[٩٣] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٥٣
[٩٤] سورة البقرة ، الآية ٢٥٧
[٩٥] أبو العتاهية: وأشعاره وأخباره ، ص ٢٤٥
[٩٦] سورة البقرة ، الآية ٢٥٦
[٩٧] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ٢٨٠
[٩٨] سورة البقرة ، الآية ٢٧٢
[٩٩] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص ٢٧٧

أنفِــقْ فَــإنَّ اللهَ يخلفُــهُ لا تَمْضِ مذمومــاً وتتْــرُكهُ

ويقتبــس معنى الآية القــرآنية التــالية: قال تعالى: (وما أنفقْتُم مِنْ شيءٍ فَهُو يَخْلفُــهُ وهُــوَ خَــيرُ الرازقين).(١٠٠) ومما يؤكــد فهمه للقــرآن ، معــرفتُه بطرق الإنفــاق، وتبعاته، من حيــثُ المــنّ والأذى ، فيقول: (١٠١)

لا تُتْبِعَــنَّ يداً بَسطْــتَ بهــا الــ مُعــروفَ مِنــكَ أذىً ولا منّــا

فهــو يقتبــس من القــرآن قــول الله عز وجــل: (الذينَ يُنفقــونَ أمْوَالَهُمْ في سبيــلِ اللهِ ثم لا يُتبعــونَ ما أنفقــوا منّــاً ولا أذىً لهُمْ أجْــرُهم عنــدَ ربّهــم ولا خَوْفٌ عليهــم ولا هُــم يَحْزَنون). (١٠٢) وطيب الحديث خُلقٌ رفيع يحُث عليه الشاعر فيقول: (١٠٣)

طُوبى لِمن طــابَ لــهُ الحــديثُ ما يستــوي الطَّيِّــبُ والخَبيــثُ

لنَقرأ تأثــر الشــاعر بقــول الله عــز وجــل: (قــلْ لا يَستــوي الخَبيــثُ والطَّيِّــبُ ولــو أعْجَبَكَ كُثرةُ الخبيث).(١٠٤) ويُشنع أبو العتاهية على الذين لا يُطابقُ قولهم عملهم، وهــذا الخُلُــق ممقُوت عند الله عز وجل قال تعالى: (يا أيُّهــا الذينَ آمنــوا لِمَ تقولونَ مالا تفعــلون ، كَبُــرَ مقتــاً عندَ اللهِ أن تقولوا مالا تفعلون).(١٠٥) وأبــو العتــاهية مُتأثر إلى حدٍّ بعيد بهذه الآية القرآنية العظيمة ، التي تنهى عن هذا الخُلُق الرديء فيقول: (١٠٦)

يــا ذا الــذي يَقْــرأُ في كُتُبــهِ مــا قَــدْ نَهــى اللهُ ولا يَعْمَــلُ
قد بَيّــنَ الرَّحمــٰنُ مَقــتَ الــذي يَــأمُــرُ بالحــقِّ ولا يَفْعَــلُ

هـ. غُرور الدنيا وابتلاؤها :

كثيراً ما تحدث أبو العتاهية عن غُرور الدنيا، وشرورها فهي دار ابتلاء واختبار، فقــد وعــظ الناس وحــذّرهم من غُــرور الدنيا في أكثــر من قصيدة ، وكان متأثراً بآيات القرآن الكريم الــتي بيّنت غرور الدنيا فيقول: (١٠٧)

---

١٠٠ سورة سبأ ، الآية ٣٩
١٠١ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص ٣٨٣
١٠٢ سورة البقرة ، الآية ٢٦٢
١٠٣ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ص ٤٦٥
١٠٤ سورة المائدة ، الآية ١٠٠
١٠٥ سورة الصف ، الآيتان ٢ - ٣
١٠٦ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ٢٨٥
١٠٧ المصدر السابق ، ص ٢٩٠

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدُّنْيَا غُرُورُ وَأَنَّ مُقَامَنَا فِيهَا قَلِيلُ

وفي سياق الحديث عن غرور الدنيا،نراه يستخدم أساليب مثيرة للتفكير، فالاستفهام وأدوات الاستفتاح والتنبيه كانت تتصدر الأبيات التي تتناول هذا الموضوع.

وقد وردت آيات عدة تتحدث عن غرور الدنيا منها قوله تعالى: (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور).[١٠٨]

وكذلك يقول أبو العتاهية: [١٠٩]

أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ مَا أَنْتِ يَا دُنْيَايَ إِلا غُرُورُ

وقد أخذ لفظ الآية القرآنية في الشطر الأول من البيت ، قال تعالى: (ألا إلى الله تصيرُ الأُمورُ).[١١٠]

والحياة لا تسير على وتيرةٍ واحدةٍ كما يقول أبو العتاهية: [١١١]

أَلا أَيُّهَا المَغْرُورُ هَلْ لَكَ حُجَّةٌ فَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ مُحْتَجُّ
تَدَبَّرْ صُرُوفَ الحَادِثَاتِ فَإِنَّمَا بِقَلْبِكَ مِنْهَا كُلَّ آوِنَةٍ سَحْجُ
وَلا تَحْسَبِ الحَالاتِ تَبْقَى لأَهْلِهَا فَقَدْ تَسْتَقِيمُ الحَالُ طَوْرًا وَتَعْوَجُّ

فالأفكار الواردة في الأبيات الثلاثة السابقة مستمدة من معان إسلامية، فقد ورد في كتاب الله عز وجل قوله في إقامة الحجة على الناس قال تعالى: (ولَقَدْ جاءَهُم من الأَنْباءِ ما فيه مُزْدَجَر، حِكْمَةٌ بالغة فَما تُغْنِ النُّذُرُ).[١١٢]

فلا حجة للمرء يوم القيامة، وما عليه إلا أن يتدبر تصريف شؤون الكون وكيف يديرها الخالق عز وجل.

فالدنيا غدّارة،وهو طبعها ، فهي تورد الناس المهالك كما يقول أبو العتاهية: [١١٣]

أَوْرَدَتْنَا الدُّنْيَا وَمَا أَصْدَرَتْنَا إِنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِهَا لَغُرُورُ

ويتعجب أبو العتاهية من غرور الدنيا قائلا: [١١٤]

بُلِينَا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حُبِّنَا لَهَا بِدَارِ غُرُورٍ وَيْحَهَا مَا أَغَرَّهَا

---

[١٠٨] سورة آل عمران ، الآية ١٨٥
[١٠٩] أبو العتاهية: أخباره وأشعاره، ص ١٧٢
[١١٠] سورة الشورى ، الآية ٥٣
[١١١] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص ٩٣
[١١٢] سورة الطور ، الآيتان ٤ ، ٥
[١١٣] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ١٥٣
[١١٤] المصدر السابق، ص ١٨٤

وقد أخذ أبو العتاهية هذه المعاني حول موضوع الغرور من كتاب الله عز وجل، قال تعالى: (فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيا ، ولا يَغُرَّنَّكُم باللهِ الغَرورُ).[115]

و. عظمة الخالق :

تحدث أبو العتاهية كثيرا عن صفات العظمة التي يتصف بها الله عز وجل وهي تدلل على قدرته الفائقة في تصريف شؤون هذا الكون ، فيصوغ هذه الصفات بطريقة تليق بجلال الخالق عز وجل .

وفي أشعاره إشارات واضحة إلى عظمة الخالق ، وكان يقتبس هذه الصفات بنصها من القرآن الكريم، فيقول: [116]

كُلَّ يَوْمٍ يأتي برِزْقٍ جَديدٍ مِنْ مَليكٍ غَنيٍّ حميدِ

فهو الرازق المتكفل برزق عباده ، الغني عنهم وقد أخذ هذا المعنى من قول الله عزّ وجل: (للهِ ما في السّماواتِ والأَرْضِ إنَّ اللهَ هُوَ الغَنيُّ الحَميدُ).[117] وهناك آيات عديدة ختمها الله عز وجل بجملة " غني حميد ".

ويمضي أبو العتاهية في اقتباسه من القرآن ليدلّل على عظمة الخالق، فيقول: [118]

حَسْبُنا اللهُ رَبُّنا هو مولى خَيْرُ مَوْلى ونَحْنُ شَرُّ عَبيدِ

وقد أخذ الشاعر الشطر الأول من البيت من قول الله عز وجل: (فزادَهُم إيمانا وقالوا حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيلُ).[119] ، أما قول أبي العتاهية في الشطر الثاني فهو مستمد من قول الله : (وإن تَوَلَّوا فاعْلَموا أنَّ اللهَ مولاكُم نِعْمَ المَوْلى ونَعْمَ النَّصيرُ).[120]

خلق الله الناس وجعلهم في هذه الحياة الدنيا مستخلفين في الأرض ، وهم موضع اختبار وابتلاء لمعرفة مدى قوة الإيمان والثبات على الحق فيعبر أبو العتاهية عن هذا المعنى بقوله: [121]

بَلا خَلْقَهُ بالخَيْرِ والشَّرِّ فِتْنَةً لِيَرْغَبَ فيما في يَدَيْهِ ويَسْألا

---

[115] سورة لقمان - الآية ٣٣
[116] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ١٢٣
[117] سورة لقمان ، الآية ٢٦
[118] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ١٢٣
[119] سورة آل عمران ، الآية ١٧٣
[120] سورة الأنفال ، الآية ٤٠
[121] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص ٣٠٣

وفكرة البيت مأخوذة من قول الله عز وجل في سورة الأنبياء: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون).[١٢٢]

ومن صفات الله العظيمة أنه غافر الذنب وقابل التوبة ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، فيقول أبو العتاهية: [١٢٣]

ولم يبغ إلا أن نبوء بفضله ... علينا وإلا أن نتوب فيقبلا

اتكأ الشاعر على قول الله عز وجل: (وهو الذي يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات) [١٢٤]

والله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد ، قيوم السماوات والأرض كما يقول أبو العتاهية في هذا البيت الشعري: [١٢٥]

هو الأحد القيوم من بعد خلقه ... وما زال في ديمومة الخلق أولا

والتأثر بالقرآن الكريم واضح ، فالآيات التي تتحدث عن صفات الله عز وجل كثيرة ، قال تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم).[١٢٦]

والعدل من صفات الله عز وجل ودلائل عظمته في كل شيء فلا أعدل من حكمه ولا أقسط من قضائه وقدره، عقابه عدل ، وثوابه فضل ، وقد عبر أبو العتاهية عن ذلك بقوله: [١٢٧]

ولسنا على حلو القضاء ومره ... نرى حكماً فينا من الله أعدلا

أخذ هذه الفكرة من قول الله عز وجل: (وهو خير الحاكمين).[١٢٨]

وكل حركة وسكنة في هذا الكون لا تتم إلا بعلم الله عز وجل ، وحكم الله ماض في عباده ، وأمره بين الكاف والنون ، فيقول أبو العتاهية: [١٢٩]

مضى في جميع الناس سابق علمه ... وفصله من حيث شاء ووصلا

وهو متأثر بقول الله عز وجل: (وكل شيء فصلناه تفصيلا).[١٣٠] والآيات في هذا المقام كثيرة .

---

[١٢٢] سورة الانبياء ، الآية ٣٥
[١٢٣] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ٣٠٤
[١٢٤] سورة الشورى ، الآية ٢٥
[١٢٥] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ٣٠٤
[١٢٦] سورة البقرة ، الآية ٢٥٥
[١٢٧] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ٣٠٣
[١٢٨] سورة يوسف ، الآية ٨٠
[١٢٩] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ص ٣٠٣
[١٣٠] سورة الإسراء ، الآية ١٢

[والكون آية الله الكبرى، ومعرض من معارض قدرته التي تبهر العقول ومشاهد الكون السماوية والأرضية في القرآن الكريم ، أكثر من أن تحصى ، ولا تكاد سورة تخلو من مشهد من مشاهد الكون ، وهي مشاهد تجذب النظر، وتثير الحس ، وهي تهدف إلى ربط الإنسان بالكون ، وتلمّس مظاهرها واستقصاء أسرارها لاستجلاء آثار القدرة ، ومظاهر الإبداع][131]

وأبو العتاهية كثير الوقوف عند مثل هذه المشاهد ، فيقول: [132]

وقامَتِ الأرْضُ والسَّماءُ به ... وما دَحى مِنْهُما وما سَمكا

والخلائق كلها هي من معجزات الله الخارقة ، فخلق الإنسان ، وكذلك السماوات والأرض من دلائل عظمة الخالق التي تبهر العقول ، قال تعالى: (إنَّ في خَلْقِ السّماواتِ والأَرْضِ واختلافِ الليلِ والنّهارِ لآياتٍ لأُولي الألبابِ).[133]

وَقد أخذ أبو العتاهيةَ فكرته من قول الله عز وجل: (ءأنْتُم أشَدُّ خَلْقاً أم السماءُ بناها رَفَعَ سَمْكَها فسَوّاها).[134] وقوله عز وجل: (والأرضَ بَعْدَ ذلك دَحاها) [135]

ويقول أبو العتاهية واصفا هذه المظاهر الكونية: [136]

وَقلّبَ الليلَ والنَّهارَ وصـ ... ـبَّ الرِّزْقَ صَبّاً ودبَّرَ الفلكا

فهو يقتبس المعاني بألفاظها كما وردت في سورة النور، قال تعالى: (يُقَلِّبُ اللهُ الليلَ والنَّهارَ ، إن في ذلكَ لعبرةً لأولي الأبصار).[137] وقوله عزّ وجلّ: (وهُو الذي خَلَقَ اللّيلَ والنَّهارَ والشَّمْسَ والقَمَرَ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحونَ).[138]

والله سبحانه وتعالى مبدع السماوات والأرض ، وقد وعى أبو العتاهية هذه الحقيقة الراسخة ، وأطال وقوفه متأملا في هذا الكون، مسلّما لله عز وجل في كل شيء، متمثلا أوامره، مطيعا له فيقول: [139]

وبديعُ السَّماءِ والأَرْضِ يَكْفيـ ... ـكَ فَسَلِّم لَهُ وأَنْتَ مُطيعُ

---

[131] حامد صادق: المشاهد في القرآن الكريم ، ص ٩
[132] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ٢٦١
[133] سورة آل عمران ، الآيتان ١٩٠ - ١٩١
[134] سورة النازعات ، الآيتان ٢٧ ، ٢٨
[135] سورة النازعات ، الآية ٣٠
[136] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ص ٢٦
[137] سورة النور ، الآية ٤٤
[138] سورة الأنبياء ، الآية ٣٣
[139] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ٢٢٧

والألفاظ الواردة في البيت مُستمدة من قول الله عزَّ وجلَّ في سورة البقرة ، قال تعالى: (بديعُ السماوات والأرضِ وإذا قضى أمراً فإنما يقولُ لهُ كُن فيكون).[١٤٠]

فما علينا إلا أن ننقاد طائعين ،نُسلم مقاليد أمورنا لله عزَّ وجل، فالأمر كلهُ لله الواحد القهار كما يُعبِّر عن ذلك أبو العتاهية بقوله: [١٤١]

لله عاقبةُ الأُمورِ جَميعاً ... أَخْشى التفرُّقَ أنْ يكونَ سريعاً
أفتأمنُ الدُّنيا كأنّكَ لا ترى ... في كُلِّ وجْهٍ للخُطوبِ صَريعاً

فمُردُ الأمر لله عز وجل، وقد أخذ أبو العتاهية هذه الألفاظ من قول الله عز وجل: (ومَنْ يُسلم وجههُ إلى اللهِ وهو مُحسنٌ فقد استمسكَ بالعُروةِ الوُثقى وإلى اللهِ عاقبةُ الأمور).[١٤٢]

والإقرار بوحدانية الله أمرٌ لا مفرَ منه، كما يرى أبو العتاهية، فقد أخذ معاني سورة الإخلاص وصاغها شِعراً بقوله: [١٤٣]

الحمدُ للهِ الواحدِ الصَّمَدِ ... هُوَ الَّذي لَمْ يُوْلَدْ ولم يَلِدِ

وقوله: [١٤٤]

شَهِدْنا لكَ اللهُم أنْ لَسْتَ والِداً ... ولكنَّكَ المَولى ولَستَ بمَولودِ

أما فيما يتعلق بقدر الله فهو نافذ اختطهُ الله عزَّ وجل ولا رادَّ لهُ ، وهذا ما يُعبر عنه أبو العتاهية في قوله: [١٤٥]

إنْ قَدَّرَ اللهُ أمراً كانَ مفعولا ... وكَيْفَ نَجْهَلُ أمراً ليسَ مجهولا

وهذا مأخوذ من قول الله عز وجل في سورة الأنفال، قال تعالى: (ولكن ليَقضي اللهُ أمراً كانَ مفعولا).[١٤٦]

وهو الذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء كما عبَّرَ عن ذلك أبو العتاهية: [١٤٧]

اللهُ يعلمُ ما تُجِنُّ قلوبُنا ... واللهُ لا تَخْفى عَلَيْهِ خَافِيَهْ

وقوله: [١٤٨]

---

[١٤٠] سورة البقرة ، الآية ١١٧
[١٤١] أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ص ٢٢٨
[١٤٢] سورة لقمان ، الآية ٢٢
[١٤٣] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١١٩
[١٤٤] المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٤
[١٤٥] المصدر السابق ، ص ٢٩٢
[١٤٦] سورة الأنفال ، الآية ٤٢
[١٤٧] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ٤١٨

(١٤٨)

فَتبَارَكَ اللهُ الذّي هُوَ لَمْ يَزَلْ ... مَلِكاً بِمَا تُخْفِي الصُّدورُ عَليما

وقد استفاد من قول الله عز وجل: (ربّنا إنّكَ تَعْلَمُ ما نُخْفي وما نُعْلِنُ وما يَخْفى عَلى اللهِ مِنْ شيءٍ في الأَرضِ ولا في السّماءِ).(١٤٩)

ويذّكر أبو العتاهية الذين نسوا الموت وغابت عنهم صورة المقابر، بأن الله يحيي العظام وهي رميم ، فيقول: (١٥٠)

عَجَباً لِمَنْ ينَسى المقابِرَ والبِلى ... سُبْحانَ مَنْ يُحيي العِظامَ البالِيهْ

وقد أخذ الشطر الثاني من البيت من قول الله عز وجل: (وضَرَبَ لنا مَثَلاً ونَسي خَلْقَهُ قال مَنْ يُحيي العظامَ وَهيَ رَميمٌ ، قُلْ يُحْيِيها الذي أَنشأَها أَوّلَ مَرّةٍ وَهُوَ بكلِّ خَلْقٍ عَليم) .(١٥١)

فيقول أبو العتاهية: (١٥٢)

سُبحانَهُ مَلِكٌ تَعالى جَدُّهُ ... ولِوَجْهِهِ الإجْلالُ والإكْرامُ

وقد أخذ الشطر الثاني من البيت من قول الله عز وجل: (ويَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجلالِ والإكرامِ) (١٥٣)، وقول الله عزّ وجلّ: (تبارَكَ وَجْهُ رَبِّكَ ذي الجلالِ والإكرامِ).(١٥٤) والله سبحانه وتعالى فالق الحب والنوى ، وفالق الإصباح ، ويمجّده أبو العتاهية: (١٥٥)

سُبْحانَ ربي فالِقِ الإصْباحِ ... ما أَطْلَبَ المَساءَ للصّباحِ

واستفاد من قول الله عز وجل: (فالِقُ الإصْباحِ وَجَعَلَ اللّيْلَ سَكَناً ، والشّمْسَ والقَمَرَ حُسبانا).(١٥٦) ويواصل اقتباسه من القرآن الكريم ، فيقول: (١٥٧)

فلا تَحْسَبَنَّ اللهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ ... بما كانَ أَوْصى المُرْسلينَ وأَرْسلا

ففكرة البيت وألفاظه مستمدة من قول الله عزّ وجلّ: (فلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعدِهِ رُسُلَهُ إنّ اللهَ عزيزٌ ذو انتقامٍ).(١٥٨)

---

١٤٨ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص ١١٩
١٤٩ سورة إبراهيم ، الآية ٣٨
١٥٠ أبو العتاهية: أخباره وأشعاره ، ص ٤١٨
١٥١ سورة يس ، الآيتان ٧٨ ، ٧٩
١٥٢ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٣٥٢
١٥٣ سورة الرحمن ، الآية ٢٧
١٥٤ سورة الرحمن ، الآية ٧٨
١٥٥ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٤٥٩
١٥٦ سورة الأنعام ، الآية ٩٦
١٥٧ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ٣٠٤
١٥٨ سورة إبراهيم ، الآية ٤٧

إنها دلائل على عظمة الخالق عزّ وجلّ، الذي يدبّر هذا الكون بدقةٍ متناهيةٍ، في خلقه الأعاجيبُ ، والآياتُ العظام جَلّت قدرتُه وتعالَت،وهذا ما عبر عنه أبو العتاهية: (١٥٩)

مِنْ أيّ خَلْقِ الإلهِ يَعْجَبُ مَنْ ... يَعْجَبُ والخَلْقُ كُلُّهُ عَجَبُ

والمعنى أخذه الشاعر من قول الله عز وجل: (سَنُريهم آياتنا في الآفاقِ وفي أنفُسِهِم).(١٦٠)

ويتجلى إيمان أبي العتاهية المطلق بالله عز وجل حين يردد هذا النشيد الروحاني الذي يدلل على صدق إيمانه ووحدانيته ، فيقول: (١٦١)

فيا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإلـ ... ـهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجاحِدُ

ولله في كُلِّ تحْرِيكَةٍ ... عَلَينَا وتَسْكِينَةٍ شاهِدُ

وفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ واحِدُ

المتأمل لهذه الأبيات التي صدرت من قلب شاعرنا الموحد لله تدحض أقوال المشككين في صدق إيمان أبي العتاهية وصدق زهده، وهل بعد هذا التوحيد والإقرار بالربوبية لله عز وجل ، والدلالة على قدرته المتناهية على تصريف شؤون الكون من شك في ذلك ؟

ثانيا : التأثر بالحديث والسنة النبوية.

كان الحديث النبوي رافدا من الروافد التي مدت شاعرنا بالمعاني الإسلامية، من حثٍّ على الخير وتمتّعٍ بحُسْنِ الخُلق، وترغيبٍ في القَناعةِ والتقوى ، إلى زهدٍ الدنيا ، وغير ذلك.

أ-الحث على الخير وحسن الخُلُق :

كثيرا ما كان أبو العتاهية يسدي النصح لاخوته ، ويعظهم ، وينصحهم بعمل الخير وتقديم الطاعات لله عز وجل ، ويحذّرهم من المعاصي والوقوع فيها، يقول : (١٦٢)

يا عَجَبًا للنّاس لَوْ فكّروا ... أو حاسَبوا أَنْفُسَهُم أَبْصَروا

وعبَروا الدُّنيا إلى غَيْرِها ... فإنّما الدُّنيا لَهُمْ مَعبَرُ

والخيرُ ما لَيْسَ بخافٍ هُوَ الـ ... ـمعروفُ والشَّرُّ هُوَ المُنْكَرُ

لا فَخْرَ إلا فَخْرُ أَهْلِ التُّقى ... غدًا إذا ضَمَّهُمُ المَحْشَرُ

لَيَعْلَمَنَّ النّاسُ أنَّ التُّقى ... والبِرَّ كانا خَيْرَ ما يُذْخَرُ

---

١٥٩ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٤٤

١٦٠ سورة فصلت ، الآية ٥٣

١٦١ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١٠٤

١٦٢ أبو العتاهية: أشعاره وإخباره ، ص ١٥١

فالبيت الأول يتضمن معنى حديث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : :" حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا " (١٦٣) . وفي البيت الثالث اقتباس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه عبدالله بن عمرو بن العاص حين قال : " بينما نحنُ حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذْ ذُكرت الفتنة ، فقال: " إذا رأيتم الناس قد مُرجت عهودهم، وخفتْ أماناتهم وكانوا هكذا وشبكَ بينَ أصابعه ، فقمتُ إليه فقلت : كيف أفعل عند ذلك يا رسول الله جعلني الله فداك، قال الزم بيتك وأملك عليك لسانك ، وخُذ بما تعرف ودع ما تُنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع أمر العامة. " (١٦٤) . وفي البيتين الأخيرين يحث على التقوى ، وهي مأخوذة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا حُشرَ الناس في صعيدٍ واحد فنادى مُنادٍ من قبل العرض ليعلمن أهل الموقف من أهل الكرم اليوم ؟ ليُقُم المُتَّقون " ثُم تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (إنَّ أكرَمَكُم عندَ اللهِ أتقاكُم). (١٦٥)

ويدعو الشاعر إلى تجنب مواطن الريبة في قوله : (١٦٦)

إذا عِبْتَ أمْراً فلا تَأْتِهِ ... وَذو اللُّبِّ مُجْتَنِبٌ ما يعيبُ

ودَعْ ما يُريبُكَ لا تأْتِهِ ... وَجُزْهُ إلى كُلِّ مالا يُريبُ

فهي حكمة رائعة ، ونصيحة عظيمة يُسديها أبو العتاهية وهو مُتأثر بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أنه أخذ معنى هذا الحديث بلفظه ، قال صلى اللهُ عليه وسلم : " دع ما يُريبكَ إلى مالا يُريبك " (١٦٧)

ويحث أبو العتاهية إخوانه على قول الخير ، أو الصمت في المواقف التي تتطلب من المسلم الصمت فيقول مُشيراً إلى هذه الصفة الطيبة: (١٦٨)

رَحِمَ اللهُ امرءاً أنْصَفَ مِن ... نَفْسِهِ إذْ قالَ خيراً أو صَمَتْ

والبيت بلفظه ومعناهُ مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رحمَ اللهُ امرءاً تكلم فغنم أو سكتَ فسَلِم " (١٦٩) ، ويورد أشعاراً تدعو إلى المُعاملة الطيبة مع البشر ، فيقول: (١٧٠)

عاملِ النّاسَ بِرَأْيٍ رَفيقٍ ... وَالْقَ مَنْ تَلْقى بِوَجْهٍ طلقِ

---

١٦٣ النووي : رياض الصالحين ، ١٧٦

١٦٤ منصور علي ناصف : التاج والجامع للأصول، ج٥ ، ص ٢٢٥

١٦٥ المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٥٠

١٦٦ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ٣٧

١٦٧ النووي : رياض الصالحين ، ص ٥٢

١٦٨ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ٥٦

١٦٩ الألباني : صحيح الجامع الصغير ج٣، ص ١٧٥

١٧٠ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ٢٤٧

فالبيتُ مستمدٌّ بلفظه ومعناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أنْ تلقى أخاكَ بوجهٍ طليق ".(١٧١)

والرفق خلق إسلامي رفيع ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نُزِعَ من شيء إلا شانه. ويحث أبو العتاهية على الرفق قائلا: (١٧٢)

الرِّفْقُ يَبْلُغُ ما لا يَبْلُغُ الخَرَقُ وَقَلَّ في النّاسِ مَنْ يَصفو لَهُ خُلُقُ

والاقتباس واضح في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرِّفْقَ، ويعطي على الرِّفْقِ ما لا يُعطي على العُنف، وما لا يُعطي على سواه " (١٧٣)

أمّا الخلقُ الحسن فهو أساسُ هذا الدين العظيم القائم على المعاملة الحسنة وأبو العتاهية دائم التذكير بالمعاشرة الطيبة المبنية على حسن الخلق ، فيقول: (١٧٤)

وَسِعَ النّاسَ بِخُلْقٍ حَسَنٍ لَمْ يُضِقْ شَيءٌ عَلى حُسْنِ الخُلُقْ

وفكرة البيت مأخوذة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " إنّ رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ المؤمنينَ أفضَلُ ؟ قال: أَحسَنُهم خُلقاً " (١٧٥)

والإنفاق في سبيل الله عنوانُ التكافل الاجتماعي – لذا نجد الشاعر يحث على الإنفاق في سبيل الله قائلا: (١٧٦)

أنْفِقْ فإنَّ اللهَ يُخْلِفُهُ لا تَمْضِ مَذْمومًا وتَتْرُكَهَ

والشطر الأول من البيت مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " ما من يومٍ يُصبح العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقًا خلفاً ، ويقول الآخر: اللهم أعطِ مُمْسكًا تلفًا ".(١٧٧) وأوجه الإنفاق عديدة ، ولكن أفضلها هو ما ينفقه المرء على عياله كما يقول أبو العتاهية : (١٧٨)

عيالُ اللهِ أكرَمُكُم عليهِ أبَرُّهُمُ المكارِمَ في عِيالِهِ

---

١٧١ النووي : رياض الصالحين، ص ٢٢٧
١٧١ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ٢٤٨
١٧٣ النووي : رياض الصالحين، ص ٢١٢
١٧٤ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٢٤٧
١٧٥ البيهقي : الزهد الكبير ، ص ١٩٠
١٧٦ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٢٠٧
١٧٧ النووي : رياض الصالحين ، ص ١٩١
١٧٨ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٣٣٠

ويقول: ([179])

الخلـــقُ كُلُّهـــم عيـــا ... لُ اللهِ تحْـتَ ظِـلالِـهْ
فـأحبُّهـم طُـرًا إليـ ... ـــهِ أبَـرُّهُم بعيـالِـهْ

والبيتان مأخوذان من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:"دينار أنفقته في سبيل الله،ودينـار أنفقته في رقبه،ودينار تصدقت به مسكين،ودينار أنفقته على أهلك أعظمهما أجرا الذي أنفقته علـى أهلك " ([180])وقـول الرسول صلى الله عليه وسلم: " الخلـق كلهم عيال الله ، وأحبهـم إلى الله أنفعهم لعياله " ([181]) ، ويدعو أبو العتاهية إلى كظم الغيظ ، والعفو عن النـاس ، متسـلحا بثقافتـه الإسلامية فيقـول: ([182])

صِلْ قاطِعيكَ وحارِميكَ وأعْطِهِم ... وإذا فعلْـتَ فـدُمْ بـذاكَ ووالِ

والفكـرة الأساسية في البيت مستمدة من أقوال الرسول صلى الله عليـه وسـلم: " ليـس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها " ([183]) ، والرسـول عليـه الصـلاة والسلام هو نبي الرحمة كما ورد في أشعار أبي العتاهية: ([184])

فكانَ رسولُ اللهِ مِفتـاحَ رَحْمَـةٍ ... مِـنَ اللهِ أهْداهـا لِكُـلِّ مُوحِّـدِ

وهو المبعوث رحمة للعالمين ، فالرحمة تملأ قلبه ، وتعمر أركانه ويعبر عن هذا الشاعر بقوله: ([185])

وارْحَـمْ لربِّـكَ خلْقَـهُ ... فَلْيَـرْحَمَنَّـكَ إنْ رَحِمْتَـا

والرسول هو القدوة والأسوة ، وأحاديثه نبراس للأمة ، فأبو العتاهية يتمثل قول الرسـول في هذا البيت: " من لا يرحم لا يرحم " ([186])

ب . الحث على القناعة والتقوى :

القناعة والتقوى في شعر أبي العتاهية من طرق الإضاءة التي رسمها أبـو العتاهيـة في أشـعاره الزهدية ، وهي أشبه بالمنارات التي تهدي السفن إلى الشواطئ. وهي للمرء منارة وهدايـة ، وكذلـك توصله إلى شاطئ الأمان عن طريق إقامة علاقات متوازنة بين الدنيا والآخرة .

---

[179] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٣٥
[180] النووي : رياض الصالحين ، ص ١٩١
[181] الألباني : الجامع الصغير ، ج٣ ، ص ١٤٥
[182] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٢٩٠
[183] النووي : رياض الصالحين ، ص ١٣١
[184] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١١٦
[185] المصدر السابق ، ص ٦١
[186] النووي : رياض الصالحين ، ص ٢٦٧

والقناعة صفةٌ حميدةٌ لمن تخلق بها، لأن فيها راحة للمرء من عناء الهم والنصب والتعب في هذه الحياة ، والله سبحانه وتعالى قد كتب لكل مخلوق رزقه ، يقول أبو العتاهية: (١٨٧)

وَسَرْبَلْتُ أَخْلاقي قُنوعاً وعِفَّةً ... فَعِنْدي بأَخْلاقي كنوزٌ من الذَّهَبِ
فَلَمْ أَرَ خُلْقاً كالقُنوعِ لأَهْلِهِ ... وأَنْ يُجْمِلَ الإِنْسانُ ما عاشَ في الطَّلَبِ

فالمعاني الواردة في الأبيات مستمدة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنّ روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله واجملوا في الطلب " (١٨٨) ، فالشطر الثاني من البيت مأخوذ بلفظه من قول رسول الله صلى الله عله وسلم: " فاتقوا الله واجملوا في الطلب ".

فالغنى ليس في كثرة العرض ، وإنما الغنى غني النفس ، وما تشتمل عليه من قناعة ، ويعبر أبو العتاهية عن أثر القناعة في النفس البشرية قائلا: (١٨٩)

يَطْلُبُ العَيْشَ الفتى عَبَثاً ... والغِنى في النَّفْسِ إِنْ قَنَعَتْ

والفكرة واردة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس " (١٩٠) . ويقول أبو العتاهية إن القناعة مع الكفاف هما الغنى ، والفقر عين الفقر في كثرة الأموال ، وقد كانت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله كفافا ، ويقول أبو العتاهية: (١٩١)

ما بأَهْلِ الكَفافِ فَقْرٌ ولكِنْ ... كُلُّ مَنْ لم يَقْنَعْ فذاكَ فَقيرُ

وقد تأثر أبو العتاهية كثيرا بالحديث النبوي الشريف ، فيقول: (١٩٢)

إذا المرءُ لم يُعْتِقْ من المالِ رِقَّهُ ... تَمَلَّكَهُ المالُ الذي هُو مالِكُهْ
أَلا إنّما مالي الذي أنا مُنْفِقٌ ... وليْسَ لِيَ المالُ الذي أَنا تارِكُهْ
إذا كُنْتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذي ... يَحِقُّ وإلا اسْتَهْلَكَتْهُ هَوالِكُهْ

والبيت الثاني يدور معناه حول الإنفاق في سبيل الله عز وجل ، وهو مستمد من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه أنه قال: " أتيت النبي (ص) وهو يقرأ

---

١٨٧ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ٣٦
١٨٨ ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، ج١ ، ص ٢٠
١٨٩ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١٧
١٩٠ النووي : رياض الصالحين ، ص ١٨٥
١٩١ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ١٥٢
١٩٢ المصدر السابق ، ص ٢٧٦

ألهاكم التكاثر قال: " يقـول ابن آدم: مالي ، مالي ، وهل لك يا ابنَ آدم من مالِك إلا مـا أكَلْتَ فأفنيت ، أو لبسْتَ فأبليت ، أو تصدّقْتَ فأمضيت " (١٩٣)

وكما يقول صاحبُ كتاب الزهد الكبير: " إنّ الشيطانَ يفرحُ للذي يأكل الحـرام ، فإذا تعبّد المرءُ يقول إبليس من أين مطعمه ، إن كان مطعمه مَطْعَم سوءٍ قال: دَعوه ، لا تشتغلوا بـه ، دعوه يجتهد وينصب فقد كفاكم نفسه ".(١٩٤)وعن التقوى يقول أبو العتاهية: (١٩٥)

أشَـدُّ الجِهـادِ جهـادُ الهـوى وما كَـرَمُ المَـرْءِ إلا التُّقـى

فمجاهدة النفس أمر ليس سهلا ، لان النفس أمارةٌ بالسوء ولا يرفع من قيمة النفس البشـرية إلا التقوى التي تحدث عنها أبو العتاهية كثيرا ، لأنها ميزان المفاضلة بين البشر عند الله عز وجل، وهذه القضية تخفف الإحباط الذي يعيشه حين يرى الذين خدمتهم الظروف وتقدموه ، وعاشوا عيشة مترفه

ج . الزهد في الدنيا :

أبو العتاهية دائم الحديث عن الزهد في الدنيا ونبذها والتخلي عنها والتوجه نحو الآخرة ، لمـا فيها من نعيم مقيم ، فمن جعل الدنيا أكبر همه ، ومبلغ علمه ، فقد خاب وخسـر ، ويصـوغ أبـو العتاهية هذه الفكرة شعراً ، فيقول: (١٩٦)

مَنْ كَانَتِ الدُّنيا مِنْ أكْبَـرِ هَمِّـهِ نَصَبَتْ لَهُ مِنْ حُبِّها ما يُتْعِبُـهُ

والاقتباس من حديث الرسول واضح ، فقد أخذ المعنى بلفظه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تفرّغوا من هُموم الدُّنيا ما استطعتم، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه أخشى الله ضيعته ، وجعل فقـره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكبر همه ، جمع الله عزّ وجلّ له أموره وجعل غناه في قلبه ، وما أقبـل عبدٌ بقلبه على الله عز وجل إلا جعل الله قلوب المؤمنين تفد إليه بالود والرحمة ، وكان الله عز وجل إليه بكل خير أسرع " .(١٩٧) وقد أفسد على أهل النعيم نعيمهم وهذا ما عبر عنه أبو العتاهية بقول: (١٩٨)

أيا هادِمَ اللّـذاتِ ما مِنْـكَ مَهْـرَبُ تُحاذِرُ نَفْسي مِنْكَ ما سَيُصيبُهـا

والمعنى وارد بلفظه في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثروا ذكر هادم اللـذات ، يعـني الموت).(١٩٩)

---

١٩٣ النووي : رياض الصالحين ، ص ١٧٤
١٩٤ البيهقي : الزهد الكبير ، ص ٣٤٣
١٩٥ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٧
١٩٦ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٤٧
١٩٧ البيهقي : الزهد الكبير ، ص ٣٠٥
١٩٨ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٤٨
١٩٩ النووي : رياض الصالحين ، ص ٢٠٠

وأسلوب الترهيب والترغيب الذي اتبعه أبو العتاهية كان فاعلا في توجيه الناس نحو الآخرة حيث الجنة ، وترهيبهم من النار ، يقول: ([200])

عَجِبْتُ للنّار نَامَ راهِبُها ... وَجَنّةُ الخُلْدِ نامَ راغِبُها

عَجِبْتُ للجَنّةِ التي شَوَقَ اللـ ... ـهُ إليها إذْ نامَ طالِبُها

والألفاظ الواردة في البيتين في مجملها مأخوذة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " اطلبوا الخير دهركم ، واهربوا من النار جهدكم ، فإن الجنة لا ينام طالبها ، وإن النار لا ينام هاربها ، وإن الآخرة محفوفة بالمكاره ، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات ".([201])

والدنيا مطية الآخرة ، وهي لا تستقر على حال ، وعلينا أن لا نركن إليها ، فيقول أبو العتاهية: ([202])

وَكُنْ داخِلاً فيها كَأَنّكَ خارِجٌ ... إلى غَيْرِها منْها مِنَ اليَوْمِ أوْ غَدِ

وقوله: ([203])

أراكَ لدُنْياكَ مُسْتَوْطِنًا ... ألَمْ تَدْرِ أنّكَ فيها غَريبُ

والأفكار كلها مأخوذة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل ". ([204]) ويقول أبو العتاهية وصفا الدنيا مصغرا شأنها: ([205])

لا تُعَظِّمِ الدُنْيا فإنّ جَميعَ ما ... فيها صَغيرٌ لَوْ عَلِمْتَ حقيرُ

ثم يقوله: ([206])

وما تَعْدِلُ الدُنْيا جناحَ بَعوضَةٍ ... لَدى اللهِ أوْ مِقْدارَ زُغْبةِ طائرِ

فلَمْ يَرْضَ بالدُنيا ثَواباً لمُؤمِنٍ ... ولَمْ يَرْضَ بالدُنيا عِقابا لكافرِ

وقد أخذ أبو العتاهية هذا المعنى من حديث الرسول (ص): " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء "([207]) ، فهي لا تستحق أن تكون عقابا للكافر ، ولا جزاء للمؤمن .

---

[200] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٥٠

[201] كنز العمال ، ج٥ ، ص ٩٣٢

[202] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١١٦

[203] المصدر السابق ، ص ٣٧

[204] النووي : رياض الصالحين ، ص ١٧٢

[205] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، ص ١٤٣

[206] المصدر السابق ، ص ١٥٠

[207] منصور ناصف : التاج الجامع ، ج٥ ، ص ١٦١

وقد أخذ أبو العتاهية هذا المعنى من حديث الرسول (ص): " لو كانت الدنيا تعدلُ عند الله جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربةَ ماء "[٢٠٧] ، فهي لا تستحق أن تكون عقاباً للكافر ، ولا جزاءً للمؤمن .

وآمال الإنسان في هذه الحياة لا تنتهي ، وطموحاته لا حد لها ، وهذا غرور الدنيا وقد وصفه أبو العتاهية بقول: [٢٠٨]

وإذا أمَّلَ الإنسانُ أمراً فنالَهُ سَما يَبْتَغي فَوْقَ الذي كانَ أَمَّلا

فالآمال لا تنتهي ، فكلما تحقق أمل بدأت متاعب أخرى ثم بدأ يبحث عن تحقيق أمل آخر . وأبو العتاهية مقر بشمولية الموت ، ومقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما يقول: [٢٠٩]

شَهِدْتُ على أنْ لا نبُوّةَ بعْدَهُ وأنْ ليْسَ بحيّ بعْدَهُ بمُخَلَّدِ

وهذه الحقائق الثابتة مستمدة من فهم شاعرنا للثقافة الإسلامية ، وإيمانه العميق بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

د. حسن المعاملة :

يحث أبو العتاهية في زهدياته على حسن المعاملة مع الجيران ، وفي كل المعاملات ، فالدين الإسلامي يحث على المعاملة الطيبة ، وهذا ما عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: " الدين المعاملة " ، فيقول أبو العتاهية : [٢١٠]

وارْعَ الجوارَ لأَهْلِهِ مُتبَرِّعاً بقَضاءِ ما طَلبوا من الحاجاتِ

والفكرة مستمدة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره " [٢١١] ، وقول رسول الله محذرا من غدر الجار أو سوء معاملته ، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، " قيل: " من يا رسول الله ؟ " قال: " الذي لا يأمن جاره بوائقه ": [٢١٢]والهدايا بين الناس تقرب القلوب ، وتذهب الشحناء والبغضاء ، وهذا ما يعبر عنه أبو العتاهية بقوله" [٢١٣]

---

[٢٠٧] منصور ناصف : التاج الجامع ، ج٥ ، ص ١٦١
[٢٠٨] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٣٠٥
[٢٠٩] المصدر السابق ، ١١٦
[٢١٠] المصدر السابق نفسه ، ص ٦٠
[٢١١] النووي ، رياض الصالحين ، ص ١٢٨
[٢١٢] المصدر السابق ، ص ١٢٧
[٢١٣] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٦٠٨

هَـدايا النّـاس بَعضهِـم لبَعـضٍ ... تَولّـدُ في قلوبهِـم الوِصـالا
وَتزْرَعُ في القلـوبِ هَـوىً وَوِداً ... وتكْسوهُم إذا حضَروا جَمـالا

وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه بأن الهدايا لها مبلغ عظيم في قلوب الناس فيقول صلى الله عليه وسلم: " تهادوا تحابوا " (٢١٤)

وعلى المرء أن يحب للناس ما يحب لنفسه ، لأن التعامل الصحيح مع الناس يجلب للمرء خيرا كثيـراً فيقول أبو العتاهية: (٢١٥)

تُـدانُ يَـوْمـًا مـا كَمـا تَدِيـنُ ... وَيْحَـكَ يـا مِسْكيـنُ يا مِسْكيـنُ

فضل الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا الأمر بقوله: " البرُّ لا يَبْلي ، والإثمُ لا يُنْسَى ، والديـان لا ينامُ ، فكُن كما شِئْت كما تَدين تُدان ". (٢١٦)

فمن يظلم الناسُ يُظْلم ، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ، فلا بد من اتقاء دعـوة المظلوم ، وتجنب الظلم ، فيقول أبو العتاهية : (٢١٧)

ليخْـشَ عَبْـدٌ دَعْـوَةَ المَظْلـومِ ... وحِكْمَـةَ الحَـيِّ بهـا القَيّـومِ

وهذا ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستفاده منه أبو العتاهية بقول الرسول (ص): (اتـق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). (٢١٨)

والشّركُ من أعظم الذنوب التي لا يغفرها الله عز وجل، فالشرك والكفر صنوان لا يفترقـان ، والله لا يخفى عليه شيء في هذا الكون ، يعلم الشرك مهما كان خفيا

ويصوغ ذلك أبو العتاهية شعرا بقوله: (٢١٩)

وَلَيْسَ دبيبُ الذرِّ فوْقَ الصّفـاةِ في الـ ... ظَـلام بِأَخْفـى مِنْ رياءٍ ولا شِرْكِ

أخذ الشاعر فكرة البيت من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في واحدة من خطبه: " يـا أيـها الناس اتقوا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل" (٢٢٠

فلا بد من حسن المعاملة ، وحسن الخلق ومن خلا من هذه الصفات الطيبة ، فسيندم ندامة مـد بعدها ندامة كما يقول أبو العتاهية: (٢٢١)

---

٢١٤ الشيباني : تمييز الخبيث من الطيب ، ص ٦٢
٢١٥ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ص ٤٥٨
٢١٦ البيهقي : الزهد الكبير ص ٢٧٧
٢١٧ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٤٥٨
٢١٨ النووي : رياض الصالحين ، ص ٩٩
٢١٩ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٢٥٨
٢٢٠ انظر نص الحديث في رياض الصالحين ص ٢١١

أَحْسِنْ وإلا لَمْ تُصِبْ إنْ أَنْتَ لَمْ تُحْسِنْ لَدِمْتا

والمعاملة الصادقة ، والحب الصادق بين البشر هو ما كان مقصودا به وجه الله عز وجل ، فمن يصدق الله في معاملته يصدقه الله في أن يحبه ، ويمده بقوة من قوته ، وبنورٍ وهدايةٍ من عنده ، فيعبر أبو العتاهية عن هذه الفكرة قائلا: (٢٢٢)

لَنْ يَصْدُقَ اللهُ المَحَبَّةَ عَبْدُهُ إلا أَحَبَّ لَهُ ومِنْهُ وأَبْغَضا

وهذا مأخوذ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا يَحِقُّ العَبْدُ حَقَّ صريحِ الإيمان ، حتى يُحِبَّ للهِ ، ويُبْغِضَ للهِ ، فإذا أحب للهِ تبارك وتعالى ، وأبغض لله تبارك وتعالى فقد استحقَّ الولاءَ من الله ". (٢٢٣)

ثالثا : التأثر بالسلف الصالح.

يلمح القارئ لأشعار أبي العتاهية بعض الأفكار والمعاني المستمدة من أقوال السلف الصالح ، فهو متأثر بأقوال الإمام علي كرم الله وجهه ، وببعض سلف الأمة ، أمثال الحسن البصري ، والجنيد ، وبشر الحافي وغيرهم.

ويتعجَّب من غرور الإنسان وكبريائه ، وهو مخلوق ضعيف ، فيقول: (٢٢٤)

ما أَحْمَقَ الإنْسانَ في فَخْرِهِ وَهْوَ غَداً في حُفْرَةٍ يُقْبَرُ
ما بالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وجيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أَصْبَحَ لا يَمْلِكُ تقديمَ ما يَرْجُو ولا تأْخيرَ ما يَحْذَرُ

والفكرة في البيتين الأول والثاني مأخوذة من قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه " ما لابن آدم وللفخر ، إنما أوله نُطْفة ، وآخره جيفة ، لا يرزق ولا يدفع صفه " (٢٢٥)

ويقول أبو العتاهية: (٢٢٦)

أَبْقَيْتَ مالَكَ ميراثاً لوارثِهِ فَلَيْتَ شِعْري ما أَبْقَى لَكَ المالُ
القَوْمُ بَعْدَكَ في حالٍ تَسُرُّهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمُ دارَتْ بكَ الحالُ
مَلُّوا البُكاءَ فما يُبْكيكَ من أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ القيلُ في الميراثِ والقالُ

---

٢٢١ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٦١
٢٢٢ المصدر السابق ، ص ٢٠٢
٢٢٣ مسند الإمام أحمد ، ج٣ ، ص ٤٣٠
٢٢٤ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١٥٢
٢٢٥ أنظر محمد نبيه حجاب : معالم الشعر ، ص ٢٢٧
٢٢٦ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٣١٠

والمعنى الذي دارت حوله الأبيات مأخوذ من قول الحسن البصري: " يا ابن آدم أنت أسير في الدنيا ، رضيت من لذاتها بما ينقضي ، ومن نعيمها بما يمضي ، ومن ملكها بما ينفد ، فلا تجمع الأوزار لنفسك ، ولأهلك الأموال ، فإذا مت حملت الأوزار لنفسك ولأهلك الأموال " (٢٢٧)

وفي وصف الدنيا وسرعة زوالها يقول أبو العتاهية: (٢٢٨)

يا عَجَباً للنّاسِ لَوْ فكّروا ... أوْ حاسَبوا أنْفُسَهُم أبْصَروا
وعَبَروا الدُّنْيا إلى غيرِها ... فإنّما الدُّنيا لَهُمْ مَعْبَرُ

وقد أخذ الشاعر معنى البيت الثاني من قول الحسن البصري : " اجعل الدّنيا كالقنْطَرة تجوزُ عليها ولا تعمرها ". (٢٢٩)

وعن الحرص ينظم أبو العتاهية أبياتاً شعريةً تبيّن مدى خطره على الإنسان فيقول: (٢٣٠)

الحرصُ داءٌ قَدْ أضَرَّ ... بمَنْ تَرى إلا قَليلا
فتجَنّبِ الشَّهواتِ واحـ ... ـذَرْ أنْ تكونَ لها قَتيلا
فلَرُبَّ شَهْوةِ ساعةٍ ... قَدْ أوْرَثَتْ حُزْناً طَويلا

وهذا المعنى مأخوذ من قول علي كرم الله وجهه: " لا خَيْرَ في لذةٍ زائلةٍ وإثمُها دائمٌ " (٢٣١)

رابعا : الثقافات الأجنبية :

المتأمل أشعار أبي العتاهية الزهدية يرى أن مصادر ثقافته في هذا المجال متعددة ، فقد توقفنا عند أثر القرآن والسنة ، ثم التجربة الشخصية التي كونها الشاعر خلال سنيّ عمره ، والمصدر الأخير من مصادر ثقافته ، هو تأثير الثقافات الأجنبية ، وسنتناول أثر الثقافة الفارسية التي أثرت في ثقافة أبي العتاهية ، ومن معالم تأثره بحكمة الفرس قوله: (٢٣٢)

مَنْ سابقَ الدَّهْرَ كبا كَبْوَةً ... لمْ يَسْتَقِلْها من خُطى الدَّهْرِ
فاخْطُ مَعَ الدَّهْرِ على ما خَطا ... واجْرِ مَعَ الدَّهْرِ كَما يَجْري
ليْسَ لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ حيْلَةٌ ... مَوْجودةً خَيْرٌ منَ الصَّبْرِ

---

٢٢٧ انظر نبيه حجاب : معالم الشعر وأعلامه ، ص ٢٢٧
٢٢٨ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١٥١
٢٢٩ المبرد : الكامل ، ج١ ، ص ٢٣٥
٢٣٠ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٣١١ ، ٣١٢
٢٣١ المبرد / الكامل ج١ ، ص ٢٣٥
٢٣٢ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١٤٤

فالاتجاه الذي سلكه أبو العتاهية في وصيته في هذه الأبيات ، لا يخرج عن إطار كثير من حكم الفرس وآدابهم ، التي تميل إلى اللين والمداهنة ، وتؤثر الانحناء في الزعازع والأعاصير ، ومن ذلك قول أحد حكمائهم: " أضعف الحيلة أنفع من أقوى الشدة " (٢٣٣) وقول أحدهم في وصية له: " خَرِّجوا عقولَكُم بأدبٍ كلِّ زمانٍ وأجْروا مع أهْلِه على مناهجهم ، يَقِلُّ من يناوؤكم ، وتسلم أعراضُكم " (٢٣٤) وقول أنو شروان: " إذا لم يكنْ ما تُريدُ فأَرِدْ ما يكون ".(٢٣٥) ولقد رأينا هذا الاتجاه في أشعاره في مجال الحكم الأخلاقية ، التي مر ذكرها آنفا في الرؤية الاجتماعية .

ففي مجال الصديق والصداقة يورد لنا حكما رائعة في أرجوزته المشهورة ، فيقول: (٢٣٦)

لمْ يَصْفُ للمَرْءِ صديقٌ يَمْذُقُهْ ... لَيْسَ صَديقُ المرءِ مَنْ لا يَصْدُقُهْ

فالمعنى لا يخرج كثيرا عن نطاق بعض الحكم الفارسية القائلة: " إذا نظرت إلى حال من ترتئيه لإخائك ، فإن كان من إخوان الدين ، فليكن ليس بمراء ، ولا حريص ، وإن كان من إخوان الدنيا فليكن حرا ليس بجاهل ، ولا كذاب ولا شرير ولا منوع ، فإن الجاهل أهل لأن يهب أبواه ، وإن الكذاب لا يكون أخا صادقا ، لأن الكذب يجري على لسانه ، إنما هو من فضول كذب قلبه وإنما سمي الصديق من الصدق " (٢٣٧) . ويؤكد هذا البيت الشعري مدى تأثره بثقافة الفرس إذ يقول: (٢٣٨)

اصْحَبْ ذَوي الفَضْلِ وأَهْلِ الدِّينِ ... فالمَرْءُ مَنْسوبٌ إلى القَرينِ

غير أن القرآن الكريم ببلاغته وفصاحته ، فاق كل الذين تناولوا هذه الفكرة بأوجز الكلام يقول الله عز وجل: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ على شَاكلتِهِ) (٢٣٩) ، والفكرة نفسها يوردها ابن المقفع في الأدب الصغير: " وعلى العاقل ، أن لا يخادنُ ولا يصاحب ولا يجاورُ من الناس ما استطاع إلا ذا فضل في الدين والعلم والأخلاق فيأخذ عنه ، أو موافقا على إصلاحه ذلك فيؤكد ما عنده وإن لم يكن عليه فضل ". (٢٤٠) ، أما فيما يتعلق بالفراغ وما يجره من فساد على صاحبه ، فيقول أبو العتاهية: (٢٤١)

---

٢٣٣ ابن مسكويه : الحكمة الخالدة ، ص ٨٥
٢٣٤ المصدر السابق ، ص ٩
٢٣٥ المصدر السابق ، ص ٩
٢٣٦ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٤٤٧
٢٣٧ محمد كرد علي : رسائل البلغاء ، ص ٧٧
٢٣٨ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٤٤٨
٢٣٩ سورة الإسراء ، الآية ٨٤
٢٤٠ ابن المقفع : الأدب الصغير ، ص ١٣٨
٢٤١ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٤٤٨

عَلِمْتُ يا مجاشِعُ بْنَ مَسْعَدَهْ أَنَّ الشَّبابَ والفَراغَ والجِدَهْ
مفسدةٌ للمرءِ أيَّ مَفْسَدَهْ

فالوقت محسوب على المرء ، وهو قيمة يجب المحافظة عليها ، فإذا اقترن الفراغ مع الشباب وحيويته ، وأضيف إليهما المال والغنى ، جلب هذا الاقتران الفساد ، والبطر ، وسيحدث ما لا يحمد عقباه .

ونجد ذات الفكرة في حكم الفرس إذ يقول أحد حكمائهم: " فإذا فشا الفراغ في الناس تولد منه النظرُ في الأمور والفكر في الأصول ، فإذا نظروا في ذلك نظروا فيه بطبائع مختلفة ، فتختلف بهم المذاهب ، ثم يتولد منه اختلاف مذاهبِ تعاديهم وتضاغنهم". (٢٤٢)

وفي مجال الصبر نجد أبا العتاهية يحث عليه وقد تحدثنا عن ذلك ، والذي يطالع أشعاره في الصبر يرى أنه متأثر بالحكم الفارسية التي تتحدث عن الصبر ، فالصَبْرُ من الشكر، والشكر من الفضيلة ، وهما نوعان : صبرٌ على طاعة الله ، وصبرٌ على معصيته ، فالصبر على طاعة الله ، أداء الفرائض ، والصبر عن معصيته اجتناب المحارم.

أما فيما يتعلق بالثقافة اليونانية فسأتوقف عند موقف واحد من مواقف التأثر بهذه الثقافة إذ أن أبا العتاهية قد تمثل بعض أقوال الحكماء اليونان عندما وقفوا على قبر الإسكندر ، وعبروا عن ذلك المشهد بخلاصة حكمهم الموجزة البليغة ، وقد تمثل ذلك عندما وقف على قبر صديقه علي بن ثابت وقال: (٢٤٣)

يا شَريكي في الخير يَرْحَمُكَ اللـ ـهُ فنعْمَ الشريكُ الخَيْرِ كُنْتا
قَدْ لَعَمْري حَكَيْتَ لي غُصَصَ المو تِ وحرَّكْتَني لَها وَسَكَنْتا

ولما دفن بكى على قبره بكاء طويلا وردد الأبيات الآتية: (٢٤٤)

أَلا مَنْ لي بأُنْسِكَ يا أُخَيّا وَمَنْ لي أَنْ أَبُثَّكَ ما لَدَيّا
طَوَتْكَ خُطوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ كَذاكَ خُطوبُهُ نَشْراً وَطَيّا
بَكَيْتُكَ يا أُخَيَّ بدَمْعِ عَيْني فلَمْ يُغْنِ البكاءُ عَلَيْكَ شَيّا
وكانَتْ في حَياتِكَ لي عِظاتٌ وأَنْتَ اليومَ أوعظُ مِنْكَ حَيّا

---

٢٤٢ ابن مسكويه : الحكمة الخالدة ، ص ٨٠
٢٤٣ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٧٠
٢٤٤ المصدر السابق ، ص ٤٤٢

فيقول أبو الفرج في الأغاني: " وهذه المعاني أخذها كلها من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر ، وقد أُخرِجَ للدفن. قال بعضهم: " كان الملكُ أمسِ أهيبُ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس " (٢٤٥)

هذه هي حكم أبي العتاهية كانت وما زالت منارة هداية لكل من يريد الهداية فالذي يطالع أشعاره في الحكمة يجدها مفعمة بالنظرات الحكيمة ، والآراء السديدة ، والتأملات الخصبة ، في شعر أمتاز بالسلاسة والوضوح والعذوبة ، يأخذ الألباب ، ويستأثر بمجامع القلوب .

خامسا : أبو العتاهية في ضوء المؤثرات :

في هذه الدراسة التي تناولنا فيها شعر أبي العتاهية الزهدي وقفنا عند بعض القضايا التي شغلت هذا الشاعر ، والمؤثرات التي وجهت هذا الشاعر ، فكانت دافعا من دوافع هذه الدراسة ، فقد اُتُّهِمَ أبو العتاهية بالزندقة وما من عجب ، " فإن من يستشرف في الأدب ، ويفتن الناس بأشعاره الزهدية ، ويتعلق به الناس حباً في عظاته الدينية التي فيها الخلاص والنجاة من النار سيكون عرضة للحسد والنقد والتجريح ، والاتهام بالباطل ، فقد حلق شاعرنا في سماء الفضيلة وأثار شعره روع بعض الخلفاء فكان أمرا طبيعيا أن يحسد على سمعته الأدبية " (٢٤٦)

" لقد تاب أبو العتاهية توبة صادقة ، وسلك طريقة حميدة ، فزهد في الدنيا ، ومال إلى الطريق القويم ، وداخل العلماء والصالحين ، ونور الله قلبه ، فشغله بالفكر في الموت وما بعده ".(٢٤٧)

كل هذه العوامل جعلت منه شاعراً يمتلك ديوانا جلُّه في الزهد حتى غدا زعيما لخط الزهد في العصر العباسي الأول ، فجاءت أشعاره صدى عميقا في نفوس العامة والخاصة للتيار الإسلامي الزاهد الذي يتغلغل في نفوس الطبقة العامة التي أجهدها شظف العيش ، وقلة ذات اليد ، فقد أحس أبو العتاهية بآلامهم واستشرف آمالهم الأخروية التي كان يوجههم نحوها في كل حين .

والأعداء كثر في مثل هذه الحالة في أدبنا العربي ، فقد راحوا يكيلون له التهم كي يرموا به خارج حلبة الزهد ، ليصفوَ لهم الجو الذي تعكر صفوه بسبب وعظياته التي سلط فيها سلاح الموت على تلك الهياكل السياسية ، ونقمته الجامحة على رجال السلطة ، فكان الموت أبلغ وسيلة استعملها في التعبير عن كل ذلك الحقد الدفين ، تجاه تلك الفئة من المجتمع ، ليروِّح عن نفسه بالاطمئنان إلى أن

---

٢٤٥ أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ج٤، ص ٣٥
٢٤٦ زكي مبارك : التصرف الإسلامي ، ص ٨٣
٢٤٧ مقدمة ديوان أبي العتاهية ، ص ٣٧

الموت سيريحه من أعدائه ، فالطريق الوحيد إلى قهرهم هو الموت . فلا خلاص له وللمظلومين من أبناء طبقته إلا بالموت الذي سيلحق بأولئك الذين طغوا وتكبروا في المجتمع .

وهكذا أصبح الزهد في نظر الشاعر منفّرا من هذه الحياة المختلفة ، فلا بد من البحث عن حياة أخرى أمثل يكون سلطانها الحقيقي ملك الملوك ، الواحد القهار ، وهذا ما عبر عنه بكل شفافية بقوله: [٢٤٨]

يَبْلَى لِكُلِّ مُسَلْطَنٍ سُلْطَانُهُ ... واللهُ لا يَبْلَى لَهُ سُلْطَانُ

وقوله : [٢٤٩]

رأَيْتُ المُلُوكَ وإنْ عَظُمَتْ ... فإنَّ المُلُوكَ لِرَبِّي عَبِيدُ

فالزندقة هي التهمة التي وجهت له ولغيره من الشعراء ، فكان متهما بريئا لم تثبت إدانته ، ومن التهم التي وجهت لأبي العتاهية ما أورد ولده محمد بن أبي العتاهية [٢٥٠]: " لما قال أبي في عتبة :

كَأَنَّ عتابةَ مِنْ حُسْنِها ... دُمْيَةُ قَسٍّ فَتَنَتْ قَسَّها

يا رَبِّ لَوْ أنْسَيتنيها بما ... في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ لم أَنْسَها

شَنَّعَ عليه منصور بن عمار بالزندقة ، وقال: يتهاون بالجنة ويبتذل ذكرها في شعره ، بمثل هذا التهاون ، وشنع عليه أيضا بسبب قوله:

إنَّ المَلِيكَ رآكَ أحسَـ ... ـنَ خَلْقِهِ ورأى جَمالَكْ

فحذا بقُدْرةِ نفسِهِ ... حُورَ الجنانِ على مِثالِكْ

وقال: " أيصور الحور على مثال امرأة آدمية ، والله لا يحتاج إلى مثال ، و أوقع له هذا على ألسنة العامة ، فلقي منهم بلاء ".

وقد وقفنا عند هذه التهمة في هذه الدراسة وتناولناها مفندين لتلك المزاعم ، ونضيف هنا ما قاله محمد الكفراوي في معرض الدفاع عن هذه التهمة فيقول: (إن الأبيات السابقة ، ربما مرّ بها المسلم الواسع الأفق دون أن يفطن إلى أن فيها ما يلفت النظر من الناحية الدينية ، ألست ترى أننا نطرب جميعا للأغنية القائلة: نور جمالك آية ، آية من الله ، آمنت بالله ، لو ذهبنا للنعيم ما تمنينا سواه ، لا نتهم قائلها بكفر ولا زندقة مع الشبه الشديد بينها وبين أبيات أبي العتاهية)."[٢٥١]

---

[٢٤٨] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٣٧٠

[٢٤٩] المصدر السابق ، ص ١٠٦

[٢٥٠] الأصفهاني : الأغاني ، ص ٣٥

[٢٥١] محمد الكفراوي ، أسطورة الزهد ، ص ١١٤

ولا ننسى أن فكرة الإعجاب بالمحبوبة قديمة منذ العصر الجاهلي ، فهو لشدة حبه لها وإعجابه فيها ، تخيل أنها أجمل ما في الوجود ، وأنه لو خير بين ما في الجنة من الحور وبينها لأختارها . حتى وصل به حد المبالغة إلى قوله: (٢٥٢)

يا عُتْبَ ما أَنْتِ إلا بِدْعَةٌ خُلِقَتْ ... مِنْ غَيْرِ طِينٍ ، وَخَلْقُ النَّاسِ من طِينِ

فما هي إلا مجرد مبالغاتٍ أدبية ، وتعبيرات فنية جَرَتْ على لسان الشاعر ، من أجل الإيضاح ، وتأكيد حقيقة حبه " لعتبة " ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الأشعار ، قيلت في زمن لهو الشاعر ، وقبل تحوله من تيار اللهو والمجون ، إلى الإيمان وتقوى الله.

والتهمة الثانية كما يقول أبو فرج الأصفهاني: " وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث ، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد ".(٢٥٣)

وقد هدفت الدراسة إلى الدفاع عن أبي العتاهية وما علقت به من تهم كانت حكما قاسيا ، وحجة واهية . وقد استطعنا أن نبرز كل الأشعار التي وصفت مشاهد البعث ، والحشر والحساب ، والصراط ، والجنة والنار ، فكانت أدلةً قاطعةً على زيف تلك التهم وبطلانها ، وتجنباً للتكرار المُمل نكتفي بذكر أبرز الأبيات التي وصفت تلك المشاهد في قوله: (٢٥٤)

كُلُّ نَفْسٍ سَتُقَاسِي مَرَّةً ... كُرَبَ المَوْتِ فَلِلمَوْتِ كُرَبْ
أيُهَا ذا النَّاسُ مَا حَلَّ بِكُم ... عَجَبًا من سَهْوِكُم كُلَّ العَجَبْ
أَسَقَامٌ ثُمَّ مَوْتٌ نَازِلٌ ... ثُمَّ قَبْرٌ ونُشُورٌ وَجَلَبْ
وحِسَابٌ وكِتَابٌ حَافِظٌ ... وَمَوَازِينُ ونَارٌ تَلْتَهِبْ
وصِرَاطٌ من يَزِلُّ عَنْ حَدِّهِ ... فإلى خِزْيٍ طَوِيلٍ ونَصَبْ

فالتهمة مصدرها منصور بن عمار الواعظ ، حين قص على الناس مجلس " البعوضة " قال أبو العتاهية:" إنما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفي". فبلغ قوله منصورا فقال: " أبو العتاهية زنديق ، أما ترونه لا يذكر في الجنة ولا النار ، وإنما يذكر الموت فقط". فقال فيه هذه الآبيات : (٢٥٥)

يا واعظَ النَّاسِ قَدْ أَصْبَحْتَ مُتَّهَمًا ... إذا عِبْتَ مِنْهُمِ أمورًا أنتَ تأتيها
كالملبسِ الثوبَ من عُرْيٍ وعَوْرَته ... للنَّاسِ بَادِيَةٌ مَا إنْ يُوَارِيهَا

---

٢٥٢ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٦٥٢
٢٥٣ الأصفهاني : الأغاني ، ج٤ ، ص ٢
٢٥٤ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ٣٠
٢٥٥ المصدر السابق ، ص ٤٢٥

واعظم الإثم بعد الشرك نعلمه ... في كل نفس عماها عن مساويها
وشغلها بعيوب الناس تبصرها ... منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

فبلغ أبا العتاهية فكتب إليه بهذين البيتين: (٢٥٦)

إن يوم الحساب يوم عسير ... ليس للظالمين فيه نصير
فاتخذ عدة لمطلع القبر ... وهول الصراط يا منصور

ووجه بها أبو العتاهية إلى منصور ، فندم على قوله ، وحمد الله وأثنى عليه وقال: " أشهدكم بأن أبا العتاهية قد اعترف بالموت والبعث ، ومن اعترف بذلك فقد برئ مما قرن به ". (٢٥٧)

فهل بعد هذا التراجع من وجود لهذه التهمة ؟ فمنصور قد اتهمه بالزندقة بدافع نفسي أساسه الحسد لسمعته الأدبية وشهرته الوعظية ، وقد تلمس فرقا واضحا بين من يتعامل بحسد وحقد دفين وبين من يتعامل بقلب طيب عنوانه التسامح ، وهذا ما حصل مع أبي العتاهية حين وقف على قبر منصور وقال: " يغفر الله لك أبا السري ما كنت رميتني به " (٢٥٨)

ولن نرهق القارئ بكثرة الأشعار وتكرارها مما لها علاقة بيوم البعث والحساب وهي واردة في الفصل الأول من هذه الدراسة ، ونكتفي بهذين البيتين: (٢٥٩)

فلو كان هول الموت لا شيء بعده ... لهان علينا الأمر واحتقر الأمر
ولكنه حشر ونشر وجنة ... ونار وما قد يستطيل به الخبر

وأبو العتاهية يضيف إلى تلك الأشعار التي ضمنها معاني إسلامية مستمدة من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وتراث السلف الصالح من أمتنا ، قسما عظيما ينفي فيه علاقته بالزندقة ، ويثبت وحدانية الله عز وجل ، ورد في الأغاني عن محمد بن يحي قال: حدثنا الخليل محمد بن الرياشي ، قال: " حدثنا الخيل بن أسد النوشجاني قال: جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال: " زعم الناس أني زنديق ، والله ما ديني إلا التوحيد فقلنا له: فقل شيئا نتحدث به عنك ، فقال: (٢٦٠)

ألا إننا كلنا بائد ... و أي بني آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم ... و كل إلى ربه عائد

---

٢٥٦ المصدر السابق ، ص ٥٣٧ – ٥٣٨
٢٥٧ المصدر السابق نفسه ، ٥٣٨
٢٥٨ الأصفهاني : الأغاني ، ج٤ ، ص ٣٥
٢٥٩ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١٦٣
٢٦٠ الأصفهاني : الأغاني ، ج٤ ، ص ٣٥

فيا عجبـــا كيـــف يعصى الإلـــه أم كيف يجحـــده الجاحـــد
وفـــي كـــل شـــيء لـــه آيـــة تـــدل علـــى أنـــه واحـــد

وهذه الأبيات مع ما سبق ذكره تدحض تلك المزاعم التي اتهمته بعدم إيمانه بالجنة والنار ، وقـد ردّ ردّاً حاسماً على متهميه بقوله: (٢٦١)

الموت باب وكل النـاس داخلـه فليت شعري بعد الباب ما الـدار
الدار جنة خلـد إن عملـت بمـا يرضي الإله وإن قصـرت فالنـار

وأما القول بأن أبا العتاهية زنديق رغم كثرة أشعاره في الزهد ، وبأنـه لا يؤمـن بـالقرآن ، ويستهزئ به ، وكذلك قوله أنه يستطيع أن ينظم شعرا أحسن من الآيـات القرآنيـة ، فأشـعار أبي العتاهية الكثيرة التي استقى معناها من القرآن الكريم ، وظهرتفيه شدة تأثره بالمعنى القرآني والحديـث النبوي ، حتى أنه كان يأخذ الفكرة بلفظها ومعناها من القرآن والسنة،تكفي للرد على كل الإدعاءات والتهم .

وما يتعلق بسورة (عم يتساءلون)، وقوله أنه نظم قصيدة أحسن منها ، فلا يزعجنا ما في هذه العبارة من صفاقة ، هذا إن صحت الرواية التي وصلت إلينا من النقاد القدامى ، فلا بد من تمحيـص كلّ قولٍ يصل إلينا قبل أن نسلّم به على أنه من نقادٍ قدامى وصلوا حد التقديس لآرائهم ، فالأمر يجب أن لا يترك على عواهنه ، بل لا بد من محاكمةٍ كلّ نص تختفي وراءه دوافع كامنة ، لا سـيما وأنهـا تتعلق بشاعر كثر حساده .

وواضح أن أبا العتاهية كان يقصد من وراء ذلك ، محاكاة القرآن وإظهار براعته في ذلـك ، فهو مثلا يحاول جاهدا أن يورد كلمة الناس خمس مرات في بيت من الشعر محاكاة لسورة النـاس في القرآن الكريم ، فيقول: (٢٦٢)

خُذ النّاسَ أوْ دَعْ إنما النّاسُ بالناسِ ولا بُدّ في الدُنيا من الناسِ للنّاسِ

فأبو العتاهية من أشد الناس تأثرا بالقرآن ومحاكاة له ، ولا غرابة في ذلك ما دامت أهدافه الظاهريـة على الأقل تتفق مع أهداف القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في دعوتهمـا للزهـد في الدنيـا ، والتقليل من شانها ، وتوجيه الناس نحو الآخرة بما فيها من نعيم دائم في الجنة .

أما الأدباء المحدثون ، فقد دفع نفر منهم عنه هذه التهم ، ومنهم هدارة في قوله: " الواقع أننـا نؤمن إيمانا وثيقا بأن أبا العتاهية ليس زنديقا ولا كافرا ، ولكنه يؤمن إيمانا لا يتطرق إليه الشك ، وكل ما في الأمر أنه رجل عاش وسط تيارات فلسفية مختلفة ومتباينة ، فتأثره بها ليس كتـأثر الزنديـق ،

---

٢٦١ أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ص ١٤١
٢٦٢ المصدر السابق نفسه، ص ١٩٢

ولكن كتأثر المؤمن ، فهو يستخدم ما في الثنوية من فكرة الخير والشر لتوضيح ما في نفس الإنسان ، وفي العالم كله ، ولكنه لم يتعد هذه الحدود ، وبذلك لم يتعد حدود الإسلام".[٢٦٣]

وأنا أستحسن هذا الرأي لما فيه من اعتدال وإنصاف ، بعيدا عن الغلو في الاتهام الباطل ، لأن الدين الإسلامي من أهم صفاته أنه دين اعتدال ووسطية ، فيه الشمولية لجميع الجوانب في الإنسان والكون معا ، وما دفعني إلى ذلك هو التقصي والمتابعة لأشعار أبي العتاهية الزهدية ، والفهم الدقيق للمعاني الإسلامية الواردة فيها ، وربطها بالقرآن والسنة ، فأشعار أبي العتاهية كاشفة لخبيئة نفسه ، فجاءت إنعكاسا لحياة الزهد التي عاشها ، وكان صادقا مع نفسه ، صادقا في شعره ، وكان القرآن الكريم والسنة النبوية من مصادر ثقافته الواسعة ، إضافة إلى تجاربه الواسعة في الحياة والتي مكنته من الامتزاج بغمار الناس ، ومجالستهم ، ومشاركتهم وكذلك اتصاله بسادة القوم وقادتهم ، وهذا ما جعل الناس يسمعون له ويأخذون عنه . يقول تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) والخيرية لم تأت إلا مع مجيء الدين الإسلامي الحنيف .

أما في العصر الجاهلي وقبل الإسلام فالذي يبرز على السطح هو جانب الشر بما فيه من أخلاق . فلماذا يحاسب أبو العتاهية على إيراده لهذين المتناقضين وهما الخير والشر على أنهما أثنينية أو ثنوية ، أصلها من تعاليم المانوية ؟!

إنه التربص بهذا الشاعر الزاهد الذي أقض مضاجع رجال الحكم والسلطة وأفسد عليهم نعيمهم . وقد بقيت الحرب سجالا بين أبي العتاهية وأعدائه الذين راحوا يبحثون له عن مكيدة توقعه في قبضة المهدي ورجاله ، فقد زعموا أنه يناجي القمر كما أورد صاحب الأغاني: " ذكروا أنه كانت لأبي العتاهية جارة تشرف عليه فرأته ليلة يقنت ، فروت عنه أنه يكلم القمر ، واتصل الخبر بحمدويه صاحب الزنادقة ، فصار إلى منزلها وبات ، وأشرف على أبي العتاهية ورآه يصلي ولم يزل يرقبه حتى قنت ، وانصرف إلى مضجعه ".[٢٦٤]

ونتوقف عند واحد ممن دافعوا عن زندقة أبي العتاهية وهو محمد برانق الذي قال عنه: " لم يكن زنديقا وما أظهر الزندقة ، وما فعل المتزندقين ، ويبرهن على ما ذهب إليه بقوله: " وما كان للرجل وهو نديم الخلفاء وسميرهم والمقرب إليهم أن يتزندق في رحابهم".[٢٦٥]

أما تهمة التشيع فهي مرفوضة تماما ، لأننا لم نلمس خلال أشعاره تشيعا للإمام علي ، بل وجدناه يمدح أبا بكر الصديق وعمر بقوله: [٢٦٦]

---

[٢٦٣] محمد مصطفى هدارة : اتجاهات الشعر ، ص ٣٦٩

[٢٦٤] الأصفهاني : الأغاني ج٤ ، ص ٣٥

[٢٦٥] أنظر محمد الهرفي ، أثر القرآن الكريم والحديث في شعر أبي العتاهية ص ٣٩

[٢٦٦] أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، ص ١٥٤

بل أيْنَ أهلُ التُّقى بعدَ النبيِّ ومَنْ ... جاءَتْ بفَضْلِهم الآياتُ والسُّورُ
أعْدُدْ أبا بكرِ الصديقَ أوَّلَهُمْ ... ونادِ منْ بعدِه في الفضْلِ يا عُمَرُ
وعدَّ مِنْ بعْدِ عُثمانَ أبا حسنٍ ... فإنَّ فضْلَهما يُروى ويُذْكَرُ

فهذا يظهر بوضوح عدم تشيعه ، فقد رتب الخلفاء حسب مكانتهم في الإسلام وخدمتهم للدين ، فأبو بكر وضعه أولا ، لأن إيمانه يعدل إيمان الأمة ، ثم ألحق به عمر بن الخطاب ، فعثمان ، فعلي ، فلو كان متشيعا لمدح عليا ، وغض من قيمة بقية الخلفاء .

وصحة إيمان أبي العتاهية لا يمكن أن يرقى إليها الشك ، ومن خلال هذه الدراسة يرى الباحث بوضوح أن أشعار أبي العتاهية الزهدية تنم عن التأثر الروحاني بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، رغم ما اعتراه من تذبذب في معتقده في مستهل حياته التي وسمت باللهو والمجون ، فقد تزهد الشاعر في أخريات حياته ، فمن الظلم أن يحاسب على ماضيه ، فالتوبة الصادقة يحبها الله عز وجل ويتقبلها من عباده الصالحين ، وقد فهم هذا الأمر شاعرنا فقال عند الرشيد عندما اعتزل مجالسه قائلا: " إن الحسنات يذهبن السيئات ". فالتهم التي وجهت لشاعر الزهد بلا منازع في العصر العباسي كما يقول يوسف خليف: " أضعف من أن تثبت لمناقشة ، أو تقوم بالبرهان ، وهي في أغلب الظن ، لا تعدو أن تكون أثرا لعدم الانسجام الذي لم يكن منه بد بين من يحبون الدنيا ويريدون أن يستمتعوا بها ، وبين من يبغضها ويشنع عليهم حبهم لها ، ويريد منهم أن ينفضوا أيديهم منها . إنها نتيجة طبيعية لذلك الصراع بين الداعين إلى الحياة والداعي إلى الموت". (٢٦٧) والذين اتهموه هم من أصحاب الحب للحياة والحرص عليها، " فسَلْمُ الخاسر " الذي رهن القرآن بطنبور ، من الذين اتهموه بالنفاق والرياء في زهده ، ومنصور بن عمار يلتقي مع أبي العتاهية في مهنة الوعظ والإرشاد ، فكان دافعه الحسد على تلك الأشعار التي تنساب على لسان الشاعر مترقرقة عذبة تمتزج بالحكمة والموعظة الحسنة التي حث عليها الإسلام . فجاءت عظاته الدينية ، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، وابتهالاته تحميدات وتسبيحات. فمن الظلم أن نبقي تهمة الزندقة ملتصقة بشاعر الزهد الأكبر في عصر الثقافة والفكر فهو زاهد مخلص لزهده ، وأن زهده صورة من مجاهدة النفس الأمارة بالسوء، ورفض زخرفة الدنيا وزينتها

---

٢٦٧ يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة ، ص ٥٦٧

الفصل الخامس

الدّراسة الفنيّة

نظم أبو العتاهية أشعاراً كثيرة في الزهد ، فأحسنَ القول فيه وجوّده ، حتى صار مضرب المثل وغدا رائداً لشعر الزهد في عصره ، وقد مدحه معاصروه على كُثرة ما نظم من أشعارٍ زُهدية ، مما جعله من أبرز شُعراء العصر العباسي .

فأبو نواس يُقدّمه على نفسه حين قيل له: " أأنت أشعرُ الناس ؟ فيقول : أما والشيخُ حيٌّ فلا ، يعني أبا العتاهية ".([1])

ولا غُرابة في أن يُفتن لشعره العامة والخاصة ، ويردّده أصحاب القصور والصوامع ، وأصبح يقترن أبو العتاهية دائماً في أذهان الناس حين يذكر هذا الفن الشعري الذي اكتمل على يديه ، ودانت لقوة شاعريته كل خصائصه وسماته الفنية .

فكانت عامة بغداد تتعلق بأشعاره الزهدية المليئة بالوعظ والتوجيه نحو الآخرة حتى أن صاحب الأغاني يروي لنا " أن الملاحين في بغداد قد غنّوا الرشيد في إحدى نزهاته في نهر دجلة بعِظةٍ من عظاته ". ([2])

وأبو العتاهية رائدُ نزعةٍ خُلقية وهَنتْ في عصره واختلّت ، فالنزعةُ إلى اللهو والفسقِ شائعة مألوفة في أدب العصر ، إلى أن جاء أبو العتاهية فتولاها بشعره السهل وعبَّر عنها أوضح تعبير ، بلغةٍ سهلةٍ واضحة ، يروي بها غُلّة الزاهدين ، ويجدون في أشعاره حاجتهم الروحية ، التي تختلج في نفوسهم وفي هذا الفصل من هذه الدراسة سأتوقف عند أشعار ابي العتاهية التي عبر فيها عن مدى أحاسيسه تجاه الموت والخوف منه ، مستخدماً كل الأساليب والألفاظ التي تعبر عن قلق المصير ، فراح يرسم صوراً فنيةً للموت والزوال وجاءت خاليةً من الإغراق في المحسنات البديعية إلا ماجاء عفو الخاطر .

لاً : الصورة الفنية:

استخدم أبو العتاهية في أشعاره الزهدية التصوير الفنيّ بطريقةٍ تُعبّر عن مدى خوفه من المصير الذي ينتظر سائر البشر ، ويظهر قلقهُ من المستقبل الذي يجهل معرفة الكثير عنه ، فأخذ يرسم الصور الفنية التي تتلاءم مع حالته النفسية القلقة من جراء الإحساس العميق بالزمن ، ودنُوِّ الأجل ، فالشيب نذيرُ الموت كما يراه ، وفقدُ الشباب والتحسر عليه من مظاهر قُرب النهاية .

وقد صوّر أبو العتاهية الشيب في أشعاره وتوقف عنده طويلاً ، لأنه يُسبب له إزعاجا وقلقاً ، فهو يُمثل شبح الموت القادم ، حيثُ يقول :- ([3])

عُريتُ من الشبابِ وكانَ غَضّاً ... كما يَعرى من الوَرَقِ القضيبُ

---

[1] الأصفهاني ، الأغاني ، جـ٤ ص ١٣١
[2] المصدر السابق نفسه ، جـ٤ ص ١٣
[3] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ٣٢

فيـــا ليـــتَ الشبـــابُ يعـــودُ يومـــاً فـــأخبـــره بمـــا صَنَـــع المَشيـــبُ

فالعُمـــر بمراحلـــه كالغُصـــن حينَ تتســـاقطُ أوراقـــه ، بعـــد النضارة والخُضرة ، فيظـــهر التحسر على مرحلة الشبـــاب بمـــا فيهـــا من حيـــوية ونشـــاط وقـــوة ، ويتمنـــى عـــودة تلـــك الأيـــام التي ولّت من حيـــاته .

ويمضي أبو العتاهية مُتحسراً على فقد الشباب ، مُظهراً ضعفه وعجزه ، وغُربته في هذه الحيـاة حينَ شارف على خريف العُمر ، فيقول:- ([٤])

كَـــبرْنا أَيُهُـــا الأَتْـــرابُ حتـــى كـــأَنّـــا لم نكُـــنْ حينـــاً شَبَـــابـــا

وكُنَّـــا كـــالغُصُـــونِ إذا تَثَنّـــتْ مـــنَ الرَّيْحـــانِ مُونقـــةً رِطـــابـــا

فهو يُقلب النظر في مراحل حياته مُتأملاً لها ، يُعيدُ رسم صورة الشباب بطريقةٍ أخرى ، لأنهـــا تُسيطرُ على عقله ، ولأنه يحنُّ إليها كثيراً ، فهو يعترف أن مرحلةً جديدة من حياته قد بدأت تحمـــلُ في طياتها النُذر ، وعلامـــات الخوف فهو يلجـــأ للشكوى التي يبثها أترابه ، مما وصل إليه من ضعف بعد أن كانَ عوده رطباً .

فالشيب من علامات الكبر ، وهو نذيرُ الموت كما يراهُ أبو العتاهية ، فقد اختار للشيب الـــذي يُزعجه صُوراً فنيّـــةً معبِّرة ، كقوله : ([٥])

أمّـــا المشيبُ فقَـــدْ كَســـاكَ رداءة وابتـــزَّ عن كَتْفيْـــكَ أثـــوابَ الصِّبـــا

فهـــو رداء الشيخـــوخة حيـــنَ يتقـــدم العمـــر بالإنســـان ، وهو الذي يخلـــعُ عُنوةً عـــن المرء أثواب الصِّبا .

والشيبُ كالبرق يلمعُ في رأس المرء ، مُعلناً قُربَ النهاية ، وكما هو البرقُ يُخيـــف المـــرء ، فالشيبُ كذلك مصدرُ قلقٍ وفزع ، وقد وُفّقَ أبو العتاهية في اختيار هذه الصُور للشيب ، كما رســـم صورته في قوله : ([٦])

للشَّيـــبِ في عارضَيْـــكَ بـــارقـــةٌ تَنْهـــاكَ عَمـــا أرى مـــن الأَثـــرِ

ويرى أبو العتاهية أن الشيب علامةٌ من علامات الضعف في كيانِ الإنسان والتي لا يقوى معها علـــى التحمُّل ، فيقول : ([٧])

ألا يـــا مـــوتُ لم أرَ مِنـــكَ بـــُداً أَبَيَـــتَ فـــلا تَحِيـــفُ ولا تُحابـــي

---

[٤] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٠

[٥] المصدر السابق نفسه ، ص ١٣

[٦] المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٨

[٧] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٣

كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ على مَشيبي كَما هَجَمَ المَشيبُ عَلى شَبابي

فالشيبُ يهجم على الشباب ورونقه كحيوان مفترس ، فيبدده ، ويضعفه ، وهذا الضعف يغري الموت بالهجوم على المرء حين يشتعل الرأس شيبا .

وأخيرا يرسم صورة رائعة للشيب حين يغزو رأس المرء ، فالشيب أول ما يظهر يشبه رؤوس المسامير في الدرع ، إذا نقر في سواد الشعر ، فالشيب علامة ظاهرة من علامات الموت الذي يخافه كما يقول : ([٨])

وَعُمِّمْتُ من نَسْجِ القَتيرِ عَمَامَةً رُقومُ البلى مَرْقومَةٌ في عَمامتي
وكُنْتُ أَرى لي في الشَّبابِ عَلامةً فَصِرْتُ وإني مُنكِرٌ لعلامتي
وما هي إلا أَوْبَةٌ بعْدَ غَيْبَةٍ إلى الغَيْبَةِ القُصْوى فَشَمِّرْ قِيامتي

ومن الأمور التي توقف عندها أبو العتاهية وتناولها بصوره الفنية الدنيا التي أعطاها حيزا من أشعاره ، وكان التفكير فيها من أكبر هموم الشاعر ، فراح يصورها أروع تصوير فهي في نظره كالغول الذي يفترس الناس ، كما يقول : ([٩])

بُليتُ من الدُّنْيا بغُولٍ تَلَوَّنَتْ لها فِتَنٌ قَدْ فَضَّضَتْها وذَهَّبَتْ

فهو يوظف الأساطير الشعبية التي تتعلق بالغول وتلونها لخدعة الناس ، ليجعلها شبيهة للدنيا التي تخدع الناس وتلون حياتهم بمغرياتها من الذهب والفضة ويصورها كذلك بالسفينة في عرض البحر وبما يتهددها من أخطار ، فإن مالت فالنتيجة واضحة ، والدنيا كذلك إن مالت بأحد ، فإنها ستبعده عن آخرته ، وهذا المعنى يتمثل في هذه الصورة التي رسمها للدنيا. ([١٠])

ومَالَتْ بكَ الدُّنْيا إلى اللَّهْوِ والصِّبا ومَنْ مَالَتِ الدُّنيا بهِ كَانَ عَبْدُها

ومن الصور التي رسمها للدنيا صورة المرأة الزوجة التي كررها في أشعاره فهي في نظره عروس تتزين لخاطبيها كي تخدعهم وتوقعهم في شباكها ، والصورة لها ارتباط نفسي عند الشاعر ، فهو يعبر عن تجربته المؤلمة التي عاشها مع عتبة ، وما لحق به من أذى نفسي من جراء صدها وهجرانها بعد أن أغرته في حبها وأوقعته في غرامها ، فيقول : ([١١])

يا خاطِبَ الدُّنْيا إلى نَفْسِها إنَّ لها في كُلِّ يَوْمٍ عَويلُ
ما أَقْتَلَ الدُّنْيا لأَزْواجِها تَعُدُّهُم عَدّاً قتيلاً قتيلُ

---

[٨] مصدر السابق نفسه ، ص ٦٢
[٩] المصدر السابق نفسه ، ص ٧٨
[١٠] المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٠
[١١] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٩١

فالدنيا تقتل من يحرص عليها ويطمع بما فيها . وهي سريعةُ الخطب ، لا تمهلُ كثيراً ، كما يقول أبو العتاهية : ([١٢])

يـا خـاطبَ الدنيـا إلى نَفْسها تَنـحَّ عن خُطبتهـا تَسلَـمِ
إنَ التـي تَخطـبُ غـرّارةٌ قـريبـةُ العـُرسِ مـن المـأتم

هذا حالُ الدُنيا كما يُصورها أبو العتاهية ويختارُ لها صوراً مُعبرة ، قريبةً من الأذهـان ، كـي يأخُذ النـاس منها العبَـر ، فيرسمُ لها صورةً أخـرى مُنفّـرة فهي تُشبـه الجيفـة ، ومـع هـذا يَطلبها الناس ، فيقول : ([١٣])

يـا لـكِ مـن جيفـةٍ مُعفّنـةٍ أيُّ امتنـاعٍ لهـا إذا طَلَبـتْ
ظَلَـتْ عليهـا الغـُواةُ عاكفـةً ومـا تُبـالي الغـُواةُ مـا رَكَبـتْ

وهُموم الدنيا كثيرة مُتشابكة كما صورها أبو العتاهية حين اختار لهـا صـورة الغابـة ذات الأغصان المُلتّفة المُتشابكة ، فيقول : ([١٤])

أصْلَحـتَ داراً هُمُهـا أشـبٌ جَـمُّ الفُـروعِ كثـيرةٌ شُعَبُـهْ
إنَّ استهـائَتَهـا بمـنْ صَـدَعَتْ لِبقَـدرِ مـا تَسْمـو بـه رُتَبُـهْ
وإنَ استـوتْ للنَّمـلِ أجنحـةٌ حتـى تطـيرَ فقـدْ دنـا عَطَبُـهْ

فالفاجعةُ التي تُلحقُها الدنيا بالمرء بقدرِ ما سَمَت به رُتبتهُ ، فالمرءُ مخلوقٌ لهدفٍ وغايةٍ في هـذه الحياة ، فإن تعداها فإن ذلك يعني هلاكُهُ وضياعه ، فاختار لها صورةً مليئةً بالحكمة وهي صورة النملـة التي خُلقت لتعمل على وجه الأرض بحثاً عن رزقها ، فلو استوى لها أجنحة وطارت لكان هلاكُها .

وهذه الأبيات بما فيها من صور ، تُعبّرُ عن حقده الدفين عن أولئك الذين فـاقوه ، وراحـوا يتكبرون في هذه الدنيا ، ويلهثون وراء مُغرياتها . وقد صوَّرَ أبو العتاهية الدنيا على أنها أفعـى تنفـثُ سُمومها في البشرِ فيقول : ([١٥])

هـيَ دُنيـا كحيـةٍ تنفـثُ السُّـمَّ وإن كـانت المَجسّـَـةُ لانـتْ

وهي كذلك حيةٌ لا يُرجى شفاءُ من تلدغه ، فهي تتنفلّت إلى أعدائها حين ترى الفُرصةَ سـانحةً لها لتجهز عليهم كما يقولُ أبو العتاهية : ([١٦])

وحيةُ الأرضِ ليـسَ يُرجـى سليمُهـا تَراهـا إلى أَعْدائِهـا تَتَفلّـتُ

---

[١٢] مصدر السابق نفسه ، ص ٦٤٤
[١٣] المصدر السابق نفسه ، ص ٥٤
[١٤] المصدر السابق نفسه ، ص ٤٩
[١٥] المصدر السابق نفسه ، ص ٧٥
[١٦] مصدر السابق نفسه ، ص ٧٣

ومن الصور التي اختارها أبو العتاهية صورة السَّراب الخادع ليُصور به الدنيا ومحاسنها كما يراها في بريقها وخداعها ، فيقول : ([17])

كأن محاسنَ الدُّنيا سَرابٌ وأيُ يدٍ تناولتِ السَّرابا

وهي زائلة لا محالة ، فيختار لها صورة تقليدية إذ يشبهها بالظل الزائل والضباب والسراب ، كما يقول :- ([18])

هَلْ تَرى الدُّنيا بعينَيْ بصَيرٍ إنَّما الدُّنيا تُحاكي السرابا
إنَّما الدُّنيا كَفَيءٍ تَولّى أوْ كَما عَايَنْتَ فيه الضَّبابا

وبعد أن تحدث عن الدنيا واختار لها الصور الفنية الرائعة التي تصورها بكل دقة نراه يورد مسميات كثيرة في أشعاره لها ارتباط بالدنيا وزوالها والموت وفجيعته ، وقد تردد صدى هذه الألفاظ الموحية في صوره الفنية ، ومن أمثلتها : المنايا ، والدهر ، وريب الزمان ، وسهام الموت .

ونراه يتحدث عن سهام المنايا ويختار لها صوراً فنية تعبر عن أحاسيسه ومشاعره تجاهها ، فيقول : ([19])

كأنَّكَ والحُتوفُ لها سِهامٌ مُفَوَّقَةٌ بسَهْمِكَ قَدْ رُميتا

فهي تشبه السهام التي تتخطف البشر ، فلكل واحد من البشر سهم سيصيبه ، والمنايا تقض مضجعه كما يعبر عن ذلك بقوله : ([20])

كأنَّ المنايا قد قَرَعْنَ صَفَاتي وقَوَّسْنَني حَتَّى قَصَفْنَ قَنَاتي

فالخوف من المنايا يلاحق أبا العتاهية ، ويظهر في هذه الصورة مدى الضعف والعجز الذي لحق به من جراء تقادم العمر به .

وفي نفس أبي العتاهية من دهره جروح قديمة طالما آلمته ، فقد رسم صورا مؤثرة للدهر وغدره ، فيقول : ([21])

وَلَقَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أشْطُرَ دَرِّهِ حِقَبًا وأَنْتَ مُجَرَّبٌ وأَريبُ

فالدهر شطران ، وهي صورة رسمها للدهر ، لأنه عاش حياه بانسه في شطرها الأول ، ثم عاش شطرها الآخر في قصور الخلفاء ، فخبر الدهر بشطريه . فهو يستخدم الكناية في هذا ليعبر عن معاناته من جرّاء ما يجلبه الدهر من مصائب .

---

[17] المصدر السابق نفسه ص ١٦
[18] المصدر السابق نفسه ص ٣٩
[19] المصدر السابق نفسه ، ص ٦٠
[20] المصدر السابق نفسه ، ص ٦٧
[21] مصدر السابق نفسه ، ص ٢٨

ويُكرر الصورة نفسها في حديثه عن الدهر قائلاً : ([٢٢])

إنـــي حَلَبْـــتُ الدهـــرَ أشْطـــرَهُ فرأيتُـــــهُ لـــم يصْـــفُ لـــي حَلَبـــهْ

ويرى أن الدهر يُشبهُ العقاب حين يُفردُ جناحيه مُحلّقاً في السماء مُتأملاً فريستهُ ، فيعبر عـــن ذلك بصورةٍ جميلة بقوله : ([٢٣])

لا تَغْتَرِرْ فكأنّي بعقـــابِ رَيْبِ الدَّهـــرِ قـــد نَشَـــرَتْ عَلَيـــكَ جناحهـــا

أما الزمان فيُشبههُ بالمطية ، التي يمتطيها المرء وقد تعثر به كما يقول : ([٢٤])

يـــا ذا الّـــذي اتخـــذَ الزَّمـــانَ مَطيـــةً وخُطـــا الزَّمّـــانِ كثـــيرةُ العَثَـــراتِ

ويُجسّد الزمان ويجعل منهُ أنساناً يؤدبْ ويُسدي النُصح ، حيثُ يقول : ([٢٥])

إنَّ الزَّمـــــانَ لأهلـــــهِ لمُـــؤدبٌ لـــوْ كـــانَ ينفـــعُ فيـــه التـــأديبُ

وتتجلى الصورة عند الشاعر حينما يتحدث عن الزمان وغدرهُ ، فهو يُشبه حُلم النـــائم ، أو ظِل السحابة التي سُرعانَ ما تنقشع ، فيقول : ([٢٦])

وإنَّكَ يـــا زمـــانُ لـــذو صُـــروفٍ وإنّـــكَ يـــا زمـــانُ لـــذو انقـــلابِ

ومالي لســـتُ أحلِـــبُ منـــكَ شطـــراً فـــأحمـــدُ غبَّ عـــاقبـــةِ الحـــلابِ

أراكَ وإن طُلبـــْتَ بكُـــــلِّ وجْـــهٍ كحُلـــمِ النـــومِ أو ظـــلِّ السحـــابِ

هذه صورة الزمن كما رسمها أبو العتاهية ، يوهن أهله إذا كرّ عليهم ونطحهم ، ويرفعُ أقوامـــاً ويخفُضُ أخرى وهذا دأبه ، كما يقول : ([٢٧])

إذا كـــرَّ الـــزمـــانُ بنـــاطحيـــهِ فـــإنَّ لكـــرِّهِ خَفْضـــاً ورَفْعـــاً

وتظهر براعةُ أبو العتاهية في تصويره للموت الذي أشغلهُ كثيراً فراحَ يرسمُ لهُ الصور التي تُعبر عن خلجات نفسه تجاه الموت ، فالموت يخرُجُ من رحمِ الحياة ، فكُلُ حي لا محالة هالك ، فيصورُ ذلـــكَ قائلاً : ([٢٨])

والمـــوتُ حوضٌ كريهـــةٌ أنتَ واردهُ فانظُـــر لنَفسكَ منكَ الموت يا فُسقُ

ويُكـــرر الصـــورة نفسهـــا في ثنايـــا ديوانـــه ، ليُبيـــنَ للنـــاس أنَ وورود الموت أمرٌ لا مفرَ منه ، فيقول : ([٢٩])

---

[٢٢] المصدر السابق نفسه ، ص ٤٩
[٢٣] المصدر السابق نفسه ، ص ١٠١
[٢٤] المصدر السابق نفسه ، ص ٥٧
[٢٥] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧
[٢٦] المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٣
[٢٧] مصدر السابق نفسه ، ص ٢٢٦
[٢٨] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٢٤
[٢٩] المصدر السابق نفسه ، ص ٤٧

المـوتُ حَـوْضٌ لا مُحـالـةَ دونَـهُ مـرٌّ مـذاقَـتُهُ كَـريـهٌ مَشْـربُـهْ

وترد في صوره الفنية شمولية الموت وحتميتهُ حينَ يقول :- ([٣٠])

وَرَدوا كُلُّهـم حيـاضَ المنـايـا ثُـمَّ لَـمْ يَصْـدُروا عَـنِ الإيـرادِ

ونلحظ براعة الشاعر عندما يصّور الموت بالرحى التي تَطحن ، فهو يطحنُ البشر كما تطحـنُ الرحى الحَبَّ ، فيقول :- ([٣١])

النّـاسُ فـي غَفـلاتِهـمْ وَرَحَـى المنيـةِ تَطْحَـنُ

ويُجَّسم المنون ويُبدع في رسم صورته ، إذ يُشبه المنون بالإنسان المُتخفيَ فيقول : ([٣٢])

عَلَيْنـا عُيـونٌ للمنـون خفيـةٌ تَـدُبُّ دبيبـاً بالمنِّيـةِ فينـا

ومـا زالتِ الدُنيـا تُقلّبُ أَهْلَهـا فَتَجْـعَلُ ذا غِشّـاً وذاكَ سمينـا

فأبو العتاهية في صوره الفنية التي رسمها عن الموت يُعمِلُ كُلَ الحواس ويُحركها لتتجاوب مـع أشعاره ، فالموت مرُّ المذاق ، تأباهُ النفس وتنفُرُ منه ، وهو كأسٌ لا بدَ أن نشربهُ ، بل نتجرعـهُ رغـمَ مرارته ، لأنه حقٌ على كُلِ البشر ، فيقول : ([٣٣])

كـأنكَ كُنـتَ بينَهـُم غريبـاً بكـأسِ المَوْتِ صَرْفـاً قَدْ سُقينـا

ويُبدع أبو العتاهية حين يُصور سيف الموت وهو يُشهَرْ ويُسلَط على رقاب البشـر ، ورمـاح الموت مُشرعة ، فالصورة حركية مستوحاة من ساحات الوغى ، التي هي في الأصل مسرح للمـوت يتصارع فيها البشر من أجل البقاء ، باحثين عن الحياة ، ولكن الموت في حاصل العُدَة واقع لا محالـة فيُعبرُ أبو العتاهية عن هذه الصورة الجميلة بقوله : ([٣٤])

أَلَـمْ تَر أنّ المـوْتَ يَهْتـزُّ سَيْفـُهُ وأنَّ رِمـاحَ المَوتِ نَحوكَ تُشـرَعُ

هذه بعض الصُور الفنية التي استوحاها أبو العتاهية من خلال فهمه العميق للموت وسـكراته ، أودعها ديوانه الزهدي لتكون عبرةً وعظةً للسادرين في غَيِّهم ، مُتناسينَ الموت الذي ينتظر كُلَّ من على وجه الأرض .

فجاءت صورهُ مُبتكرة ومُعبرة ، لأنها صادرةٌ من شاعر يخافُ الموت ويخشاه ، فكانت تعبـيراً صادقاً عن خلجات نفسه ، ومشاعره وأحاسيسه .

---

[٣٠] المصدر السابق نفسه ص ١١٣

[٣١] المصدر السابق نفسه ص ٣٨١

[٣٢] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٨٣

[٣٣] المصدر السابق نفسه ص ٦٠

[٣٤] مصدر السابق نفسه ، ص ٢١١

السهولة والوضوح :-

أبو العتاهية شاعرٌ ذو مقدرة فائقة على قول الشعر ، يُعبر عن كُل ما يُريد دون تكلف أو عناء ويصوغُ كُل ما يدور في ذُهنه من معانٍ وأفكار بسهولة ويُسر ، فهو يُنظم الشعر كما لو كان يتكلم .

فقد وصفه بعض رُواة المرزباني : " بأنه كان يستطيع أن يُحوّل المنثور منظوماً في سُهولةٍ ويُسر ويعجز المتأني عن بلوغها ". ([٣٥])

ومما يؤكد هذا الوصف كُثرة الأشعار التي ضمنها ديوانه الزهدي الضخم ، ونظمه في الموضوعات التي تتعلق بالموت ، وزوال الحياة ، والحكَم والأمثال والعظات الدينية والتي يلمسها كُل من يُطالع أشعاره .

ويصفه ابن مناذر الشاعر البصري ، بقوله : " إنَّهُ يتناول شعره من كُمّه " ([٣٦]) وقد كان يشعر بهذه المقدرة الفائقة في نظم الشعر ، فكان يقول عن نفسه : " لو شِئتُ أن يكونَ حديثي كله شعراً موزوناً لكان ".([٣٧])

ويفصح عن نفسه وتمكُنها من نَظم الشعر بقوله : " ما أردته قطّ (الشعر) إلا مَثل لي فأقول ما أريد واترك ما لا أريد ".([٣٨])

حتى وصل به الأمر إلى حد المبالغة ، والإدعاء : " بأنه قادرٌ على أن يُنظم ألف بيت في اليوم ". ([٣٩])

وقد أعجب المتقدمون والمتأخرون بأشعاره لسهولة لفظها ، أو حلاوة نسجها ووضوح معانيها وهذا ما جعلَ أبا نواس يقول عندما سمع أبياته :

ألا ترقُدَنَّ لعَيْنِكَ السَّهرُ ... وانظُرْ إلى ما تَصْنَعُ الغِيَرُ
انظُرْ إلى غِيَرٍ مُصرَّفةٍ ... إن كانَ ينفعُ عَيْنَكَ النَظرُ
وإذا سألتَ فلم تَجِدْ أحداً ... فَسَلِ الزَّمانَ فعندهُ الخبرُ

فيقول أبو نواس: (أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون). ([٤٠])

وموضوعه الزهدي جعله ينحدر بشعره إلى مستوى العامة ، يُحدثهم بالأسلوب الذي يفهمونه ويستخدم فيه الألفاظ والصور التي يألفونها وهذا ما يجعل الموضوع وسيلةً لتحديد الأسلوب ، فهذا

---

[٣٥] المرزباني – الموشح – ص ٢٥٩
[٣٦] الأصفهاني – الأغاني – جـ ٤ ، ص ٥٧
[٣٧] المصدر السابق نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٣
[٣٨] المصدر السابق نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣
[٣٩] المرزباني – الموشح ، ص ٢٥٦
[٤٠] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ٥٣٦ – ٥٣٧ عن مصوَّره بغية الطلب لابن العديم ص ١٦٤

النوع من الشعر يحتاج إلى سهولة ووضوح ، وشعبية ، لأنه يهُم كُل البشر ، ويناسب العامة ومستواهم الخيالي .

" ويتمثل طابع السهولة وعدم الغرابة والبعد عن التصنع في شعر الزهد والتصوف وشعر الأخلاق " كما يؤكد ذلك مُجاهد بهجت . ([41])

وقد حرص أبو العتاهية على أن يقترب في لغته من لغة الحياة اليومية ، لكي يُعبّر عن تلك القيم الدينية التي دعا إليها في شعره الزهدي .

فاقتربت أشعاره من الصياغة النثرية ، وهي قريبة الشبه في أسلوبها بالخطبة الوعظية ، فانطبعت أشعاره بالسهولة والوضوح والبعد عن التعقيد . وقد أعان على هذه السهولة ، قدرةُ أبي العتاهية الشعرية وحُسن الطبع .

مظاهر السهولة :

وتتمثل مظاهر السهولة في أشعاره الزهدية في كثرة الصيغ الخطابية ، والابتعاد عن المُحسنات البديعية والصور الفنية المغرقة في الخيال .

فهو في هذه الأبيات يستخدم الأساليب الإنشائية ، مراوحاً فيها بين الاستفهام والنداء والتعجب والأمر ، حيثُ يقول " ([42])

هَلْ عنْدَ أهْلِ القُبورِ من خَبَرِ ... هَيهاتَ ما منْ عَيْنٍ ولا أثرِ

ما أقطعَ الموتَ للصديقِ وما ... أقربَ صفوَ الدُّنيا في الكَدَرِ

يا صاحبَ التيهِ مُنْذ قرَّبهُ ... السلطانُ هذا من قِلَّةِ الفِكرِ

ما أقدرَ اللهَ أن يغير ما ... أصبحَتْ منهُ فكُنْ عل حَذَرِ

واعلمْ بأنَّ الأيامَ يَلعبْنَ بالمَرْءِ ... وأنَّ الزَّمانَ ذو غِيَرِ

ويُكثر أبو العتاهية من الاستفهام ، ويُكرره في القصيدة الواحدة لكي يُثير السامع ويشده نحو الفكرة التي يُريد تأكيدها في الأبيات ، حيث يقول : ([43])

أيُّ يومٍ يومُ السّباقِ وإذ أنتَ تُنادي فما تُجيبُ المُنادي

أيُّ يومٍ يومُ الفُراقِ وإذْ نَفْسُكَ تَرْقَى عَنِ الحَشَا والفُؤادِ

أيُّ يومٍ يومُ الفُراقِ وإذْ أنْتَ مِنَ النَّزْعِ في أشدِّ الجِهادِ

أيُّ يومٍ يومُ الممَرِّ على النّارِ وأهْوالِها العِظامِ الشّدادِ

---

[41] مجاهد بهجت التيار الاسلامي في الشعر العباسي ، ص ٧٢٨

[42] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ١٦٧

[43] المصدر السابق نفسه ، ص ١١٣

ويُكثر الشاعر من المقطوعات الشعرية التي يكرّر فيها أسلوباً إنشائيا بعينه كالنداء ، حيث يقول : ([٤٤])

يا موتُ يا موتُ كم أخي ثقةٍ ... كلّفْتَني غَمضَ عَينيهِ بيَدي
يا موتُ يا موتُ كم أضَفْتَ إلى الـ ... قلةِ مِنْ ثَرْوةٍ ومِنْ عَددِ
يا موتُ يا موتُ كَمْ لوخزكَ من ... قلبٍ جريحٍ يُدْمي ومِنْ كَبدِ
يا موتُ يا موتُ كم صَبَّحتنا بكَ الشـ ... ـمسُ وقسَّت كواكبُ الأَسَدِ
يا موتُ يا مَوْتُ لا أراكَ من الـ ... ـخَلْقِ جميعاً تُبقي عَلى أَحَدِ

فالتكرار سِمةٌ من سِمات أشعاره ، وهي تتناسب مع أسلوب الوعظ والخطابة كي ترسخ الفكرة التي يُريدها في أذهان الناس ، لذا يجد من يتأمل أشعاره في الديوان كثيراً من التكرار خاصةً في مجال الحديث عن الموت الذي لم تخل منه قصيدة أو مقطوعة شعرية ، وهذا واضح في قوله : ([٤٥])

طُوبى لِعَبْدٍ ماتَتْ وَساوِسُهُ ... واقتَصَرت نفسُهُ على فِكَرِهْ
طُوبى لِمَنْ هَمُّهُ المعادُ وما ... أخْبَرهُ اللهُ عَنْهُ مِنْ خَبرِهْ
طُوبى لمن لا يَزيدُ إلا التُّقى ... لله فيما يَزْدادُ مِنْ كِبَرِهْ

وأحياناً يلجأ إلى تكرار كلمةٍ واحدة في القصيدة استثارةً للقارئ كي يستهويه هذا التكرار ، ويواصل تدبّره للمعاني الواردة فيها حيث يقول : ([٤٦])

هِيَ الآجالُ والأقدارُ تَجْري ... بِقَدرِ الدّرّ تُحْتَلَبُ الضروعُ
هِيَ الأعراقُ بالأخلاقُ تُنْمي ... بقَدْرِ أُصولها تَزْكو الفُروعُ
هِيَ الأيامُ تَحْصُدُ كُلَّ زرعٍ ... ليومِ حصادِها زُرِعَ الزروعُ

وتتجلى السهولة في أروع صورها عندما نتوقف عند تلك القصيدة المطوّلة التي التزم فيها نَمطاً مُعيناً إذ جاءت القصيدة على شكل قصة تسرد فيها أحداث الموت المتلاحقة ، وانقطاع الميّت عن الحي ، فيقول : ([٤٧])

أَأَيتُها المقابرُ فيكِ مِن ... كُنّا نُنازلُهُ
ومن كُنّا نُتاجرُهُ ومن ... كُنّا نُعاملُهُ
ومن كُنّا نُعاشرهُ ومن ... كُنّا نُداخلُهُ

---

[٤٤] المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٥
[٤٥]

ومن كُنّا نُفاخرهُ ومن كُنّا نُطاولُهُ
ومن كُنّا نُشاربهُ ومن كُنّا نُؤاكِلُهُ

والقصيدة طويلة وفيها من التكرار بأسلوب رائع يشُدُ القارئ نحوها وفيها ما يبعثُ على العبرة والعظة .

ويستخدم أسلوب التكرار لتوكيد مواعظهُ فيُردد أول البيت ست مرات في الأبيات الآتية التي يقولُ فيها : ([٤٨])

ولَقَدْ رأيتُ الحادثات مُلحَّةً تَنْعى المُنى وتُقرِّب الآجالا
ولَقَدْ رأيتُ مساكناً مسلوبةً سُكانُها ومصانعاً وظِلالا
ولَقَدْ رأيتُ من استْطَاع بجَمعهِ وبَنَى فَشيَّدَ قَصْرهُ وأَطالا
ولَقَدْ رأيتُ مُسلَّطاً ومملكاً ومُفوّهاً مذْ قيلَ قَال وقالا
ولَقَدْ رأيتُ الدَّهرَ كيفَ يبيدُهُم شيباً وكيفَ يَبيدَهُمْ أطفالا
ولَقَدْ رأيتُ الموتَ يسرِعُ فيهم حَقاً يميناً مرَّةً وشمالاً

ومن مظاهر السهولة في أشعاره اللجوء إلى حذف الهمزة بعد حرف المد كي يتناسب مع موسيقى الشعر ، حيث يقول : ([٤٩])

تبارَكَ اللهُ سُبحانَهُ لكلّ شيءٍ مُدَّةٌ وانقضا
يُقدِّرُ الإنسانُ في نفسهِ أمراً ويأباهُ عليه القضا
ويُرزَقُ الإنسانُ من حَيْثُ لا يَرْجو وأحياناً يُضِلُّ الرَّجا

نستخلص مما سبق أن السهولة والوضوح سمتان بارزتان في شعر أبي العتاهية الزهدي ، وتمثلت هذه السهولة بجلاء في أرجوزته المشهورة بذات الأمثال التي التزم فيها أسلوب الوعظ والإرشاد ، بما جادت به قريحته وثقافته من حِكم وأمثال ، عملت على تقرير كثير من القيم الاجتماعية .

ومن مظاهر السهولة كذلك كثرة المقطوعات القصيرة في أشعار أبي العتاهية والتي تتناسب مع المعاني الدينية التي يهدف إلى تعميقها .

أما فيما يتعلق بالمحسنات البديعية فهي محدودة في شعر أبي العتاهية باستثناء بعض المقابلات اللفظية والتي تأتي عفو الخاطر أحياناً وكان يهدف من وراء ذلك إلى تأكيد الفكرة عن طريق المقابلة

كما ورد في قوله : ([٥٠])

أَمِنْتَ الزَّمــانَ والزمــانُ خَــؤونُ لَهُ حَرَكــاتٌ بالبلــى وسُكــــ

وقوله : ([٥١])

خُــذْ ما عَرَفتَ وَدَعْ مــا أنتَ جاهلُهُ للأَمْــرِ وَجْهــانِ معروفٌ ومجهو

وقوله : ([٥٢])

إلى كَمْ تَعامى عن أُمــورٍ من الهــُدى وأنتَ إذا مرَّ الــهوى بلَّ تُبصِــــرُ

إذا ما دعاكَ الرشدُ احتجمتَ دونــهُ وأنتَ إلــى مــا قــادك الغيُّ تبدُرُ

وما هــي إلاّ تَرْحَــةٌ بعَــْدِ فرحــةٍ كذلك شُربُ الدهرِ يصفــو ويكدُرُ

وما دفعهُ إلى استخدام الطباق هو شعورهُ العميق بتقلُب الدهر وكثرةِ مُتناقضاته وهذا ما جعلهُ يُعبر عن حالته النفسية من خلال أشعاره التي تشتمل على الطباق ، أضف إلى ذلك توضيح الفكرة .

ثالثاً - الأوزان والموسيقى :-

لقد استطاع أبو العتاهية أن يُنظم أشعاره على بحور الخليل ، والخروج عليها أحياناً مُفتخــراً بذلك إذ يقول : ([٥٣]) " أنا أكبرُ من العروض " وهذه المقولة استوقفت النقاد والدارســين ، بــالنقد والتحليل ، فبعضهم عدّها نوعاً من الإبداع ، والفريق الآخر عدّها منقصة .

ولسنا هنا بصدد ترجيح الآراء إنما نود القول إنّ أبا العتاهية قد صاغ اشــعاره علــى أوزان متنوعة ، منها البُحور الطويلة مثل الكامل والطويل والمديد والبسيط ومنها البحور قليلة الاســتعمال ، ومنها البحور المجزوءة مثل الرمل ، والمشنرح ، والسريع وغيرها ، لكنه خرج على بُحور الخليــل في بعض الأبيات الشعرية ، حين التقط بأذنه الموسيقية صوت مدَّقة القصار ، ثم حاكاه في هذه الأبيات :- ([٥٤])

للمنــــونِ دائــــرا تٌ يُــدِرنَ صَــرْفَهــــا

هُــــنَ ينتقيننــــأ واحــــداً فواحــــدا

وهي تتألف من (فاعلن مفاعلن) وهو وزن لم تعرفه العرب ..

---

[٥٠] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٧٨

[٥١] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧٨

[٥٢] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٦٥

وقد استخدم بحراً آخر يُسمى دقّ الناقوس لم يرد في أوزان الخليل بن أحمد ، وقد راج هذا الوزن بين المحدثين مما يدل على سلامة ذوق أبي العتاهية ، ونضجه الفني ، ويرد هذا البحر على النحو الآتي : ([٥٥])

هَمُّ القاضي بيتَ يُطْرِبْ قالَ القاضي لَمّا عُوتِبْ
ما في الدُّنيْا إلا مُذنبْ هَذا عُذرُ القاضي وَاقْلِبْ

ولعل أبا العتاهية من أبرز الشعراء المجددين في نظام القوافي وكان ذا قُدرةٍ كبيرة في التصرف بالأوزان والقوافي .

أما في أرجوزته المشهورة بذات الأمثال ، فقد تمثلت مظاهر التجديد في القوافي والعروض ، ويلتزم فيها شطرين لبيتٍ في قافيةٍ واحدة ، والاختلاف في القوافي من شأنه أن يُتيح للشاعر أن يُطيل في أرجوزته ، وهذا ما جعلها طويلة لم يصل منها إلا القليل .

ومن الجدير بالقول إن هنالك ارتباطاً بين الوزن والموضوع ، فأشعار الزهد التي تلائم العامة تحتاج إلى بحور سهلة خفيفة على نفوس الناس ، والوعظ يحتاج إلى أوزان خاصة في معالجته لتلك القضايا .

والذي يتأمل أشعار أبي العتاهية الزهدية ، يجد أنها تتمتع بموسيقى داخلية نابعة من نفسه ، حتى تراه طرازاً خاصاً يعتمد على القوافي الداخلية المتناسقة ، وهذه الموسيقى الداخلية تظهر بوضوح في كثير من مقطوعاته الشعرية ومنها قوله : – ([٥٦])

وذووالمنابرِ والعساكرِ والدَّساكرِ والحَضائرِ والمَدائنِ والقُرى
وذووالمواكبِ والكتائبِ والـ ـمَراتبِ والمَناصِبِ والعُلى
أفناهُم مَلِكُ المُلوكِ فأصبحوا ما مِنْهُم أحَدٌ يُحِسُّ ولا يُرى

فالموسيقى تنبعث من هذه الأبيات وتتوالى ، تجعل القارئ يُتابع أبا العتاهية وهو يصنف البشر حسب مناصبهم ، وجاههم ، وسلطانهم ليصل بهم إلى النتيجة الحتمية وهي أن ملك الملوك قد أفناهم ، وتخطفهم الموت على حين غرّة .

ويحِس القارئ لبعض المقطوعات الشعرية عند أبي العتاهية بالموسيقى التي تُشكلها المقاطع المتساوية الواردة في الأبيات ، فهي مصدر من مصادر الموسيقى الداخلية في القصائد الشعرية كقول أبي العتاهية : ([٥٧])

الدَّهرُ ذو دُوَلٍ ، والموتُ ذو عِللٍ والمرءُ ذو أملٍ والناسُ أشباهُ

---

[٥٥] أنظر المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ ٤ ، ص ٣٧
[٥٦] أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ص ١٥
[٥٧] المصدر السابق نفسه ، ص ٤٢٢

ولـــم تـــزَل عِـــبرٌ فيهـــــن مُعتـــــبرٌ يجـــري بهـــا قـــــدرٌ واللهُ أجـــــراهُ

ويتخذ أبو العتاهية طريقةً واضحةً في تحقيق الأنغام الداخلية عن طريق اختيار القوافي التي تبعثُ الموسيقى في القصيدة الشعرية كقوله : ([٥٨])

رُبَّ مذكـــورٍ لقـــومٍ غـــابَ عَنْهـــم فَنَســـوهُ
وكَـــأنَالقَـــوْمَ مذ قا موا فـــقالو أدْرِكـــــوهُ
ســـائلـــوهُ كَلّمـــوهُ حَـــرِّكـــــوهُ لَقّنُـــــوهُ
حَـــرِّفـــوهُ وَجِهـــوهُ مَـــــدِّدوهُ غَمِّضـــــوهُ
عَجِّلـــوهُ لرَحيـــــلٍ عَجِّلـــــوا لا تَحبســـوُهُ
ارفَعـــوهُ غَسِّلـــــوهُ كَفِنّـــــوهُ حَنِّطـــــــوهُ

فالقصيدة طويلة ، يمضي فيها على هذا النمط الموسيقي الرائع ، يرسُمُ من خلاله لوحةً فنية لما يحصُلُ للإنسان من أحوالٍ قُبيلَ الموت وبعده .

رابعاً - مُحاكاة القرآن الكريم :

حاول أبو العتاهية أن يُحاكي بعض الآيات القرآنية ، وبالتحديد قِصار السّور ، إظهاراً لبراعته في نظْم الشعر على منوال القرآن الكريم ،وإعجاباً منه بالقرآن الذي يمتاز بأسلوبه القوي .

فقد ورد عنه قوله : ((قرأتُ أمس سورةَ عَّم يتساءلون ثُم قُلتُ خيراً منها)) ([٥٩])

فهذا القول يُعطينا دلالات واضحة بعيداً عما في هذا القول من مُبالغةٍ وسفه ، وهي أنه قد تأمل أسلوب القرآن ، وانتفع به ، وأراد أن يُقلده ، مع يقينه أن الفرق شاسع بين أشعاره والقرآن الكريم في فصاحته وبلاغته .

وهـــذا الأمـــر يتضـــح من القـــراءة الأولى للأبيـــات الشعـــرية التي حـــاول فيها التقليـــد والمحاكاة حيث يقول : ([٦٠])

خُذِ النّاسَ أو دَعِ ، إنّما الناسُ بالناسِ ولا بُدَّ في الدُنيـــا منَ النـــاسِ للنـــّاسِ

فقد أراد أن يُكرر كلمة الناس خمس مرات في هذا البيت الشعري ، كما وردت في سورة الناس ، لكنه نسي أن الألفاظ تحتاج إلى وظيفة تؤديها ومعنى تعبر عنه ، كي يتحقق الغرض منها .

فهو مُتأثر بالقرآن الكريم كثيراً ، ومولع بالاقتباس منه سواءًباللفظ أو المعنى ، كما أظـــهرت هذه الدراسة في الفصل السابق والأمثلة كثيرة على ذلك ، وقد أعانته قدرته الشعرية الفائقة وكذلـــك

الغرض الشعري الذي طرقه ، وهو الزهد في هذه الحياة الفانية . فكانَ يُحول الآيات القرآنية إلى المعاني التي يريد نقلها إلى شعر موزون ، وهو ما يُمكن تسميته بالترجمة الحرفيةللقرآن الكريم .

ومن مظاهر ولعهِ بمحاكاة القرآن الكريم ، وتناول ألفاظه وصياغتها في أشعاره قوله :

الحمـدُ للهِ الـواحـدِ الصَّمَـدِ هـو الـذي لـم يُولـدْ ولم يلـدِ

فالألفاظ ومعانيها مُستمدة من سورة الإخلاص التي تشتمل على التوحيد .

ولخلص إلى القول أن أبا العتاهية مُتأثر بالقرآن الكريم من الناحية اللفظية ، أما المعاني التي استفادها فهي واضحة من خلال التعبير الصادق عن تلك الاتجاهات ، ومنظومة القيم الإسلامية الرفيعة التي نادى بها القرآن من زهد في هذه الدنيا ، واجتناب الشهوات ، والاستعداد للرحيل ، والتزود بالتقوى والقناعة

وقـد تـأثر كثـيراً بالسّـور المكيـة ، لما فيهـا من قوة في الإقنـاع واثبـات الحجـة وهي سمة تلزمه في أشعاره الوعظية .

فأبو العتاهية معجب بالقرآن الكريم وأسلوبه ، وهذا الإعجاب جعله يدور في فلك القـرآن ، يتناول منه المعاني والألفاظ ، ويضمنها أشعاره .

وبعد هذه الدراسة لبعض القضايا الفنية عند أبي العتاهية رأينا أن أبا العتاهية قـد التفـت إلى القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وأخذ يستظهر آياته ويمتلئ من بلاغته ، وقـد أُعجِـبَ بأساليبه البارعة وألفاظه العذبة ، وديباجته المُشرقة ، فكان لهذا أثره في تهذيب أشعاره وحُسن أسـلوبه ، وترقيق حواشيه ، وصفاء خُلقه الشعري .

ومن هُنا غَلَبت على شعر أبي العتاهية الدّقة ، والعمق ، وترتيب الأفكـار ، وكـثرة الحكـم والأمثال والمواعظ ، وتنوعّت أساليبه ، وظهرت عنده بعض فنون الخيال ، وبدت سِمةُ الجِدِ واضحة في طرح القضايا التي تتعلق بالموت والزوال .

ومن الواضح أن قوة الخيال مُرتبطة بقوة العاطفة ، لذا فقد جاءت عاطفته صادقة ، فصنعـت شيئاً من الخيال الذي أودعه أشعاره .

وقد نقل لنا بعض صوره الفنية بأسلوب فني رفيع مؤثر ، امتاز بحُسن التجسيم أحياناً ، وببراعة التصوير الحسي القادم من خيال الشاعر .

وقد كانت لنا هذه الوقفة التي عرضنا فيها لنماذج شعرية ، من شـعر أبي العتاهيـة حفلـت بالصور الفنية التي تمرُ أمام ناظري قارئ أشعاره وكأنها تتحرك في شريط سينمائي مُصور .

الخاتمـــة

****

جاءت هذه الرسالة محاولةً لتلمّس حقيقة إيمان أبي العتاهية وصدق توبته إلى الله عز وجـــل ، ومعرفة مدى تغلغل الإسلام في فكره وشعره .

وتكشف كذلك عن المؤثرات التي وجهت أشعاره ، وكاد أن يُهملها دارسو شعر أبي العتاهيـة وحياته ، فالمؤثرات لم تحظ من جهودهم إلا بشذرات لا تفي بالغرض ، ولا تُجلّي صورة أبي العتاهيـــة التي اعتراها بعض التشويه ، إذ اتجهت همةُ أغلب الدارسين إلى نواحٍ من حياة أبي العتاهية يدرســـونها ، ويُطيلون البحث فيها ، مثل حياته ، وزهده ، وغير ذلك من الموضوعات بعيداً عن أثر تلك المؤثـــرات التي وجهت أشعاره وجهةً إسلامية .

وحينَ تكاملت المادة المتعلقة بموضوع الدراسة ، قَسمتُ هذا البحث في خمسةِ فُصول فكـــان الفصل الأول محاولةً للوقوف على قضية المصير التي شغلت شاعر الزهد الأكبر أبا العتاهيـــة ، فقـد عبرت فيه أشعاره التي تناولت قضية المصير عن مُعاناة المأساة الوجودية ، والتحول عن هـــذه الحيـاة وملذاتـــها إلى الزهد الإسلامي الخالص ، وقد انعكست هذه الأزمة الحادة في صورة نـــزاع داخلـي عنيف ، بين الخوف من المصير في الآخرة وعذابها ، والالتفات إلى الدّنيا ومُغرياتـــها . وهذا طبـــعٌ في النفس البشرية التي جُبلت على الدنيا والمال والحياة ، غير أن أبا العتاهية قد انتصر على نفسه في أواخر أيامه حين شارف على الخمسين من عُمره . وأخذ يوجهها نحو الآخرة ، يدفعه في هذا الاتجاه الخـــوف والفزع من الموت والفناء .

وقد ظهر من خلال دراسة أشعاره المُتعلقة بقضية المصير ، عدةُ عوامل ساعدت في بلورة موقفه من الموت ، وزوال الدنيا ، فالعوامل الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها الشاعر وسط مُجتمعه النبطي الذي عانى الكثير، جعلته يشعر بالظُلم الاجتماعي ، حين يرى المترفين يعيشون حياتهم بـــمُتعها وملذاتها . فهو ساخطٌ على المجتمع ، ناقمٌ على الهياكل السياسية ، فالموتُ هو السلاحُ الذي يحققُ له ما يعجـــزُ عنه بغيره ، فكانَ الموتُ أبلغَ وسيلة أستعملها أبو العتاهية ، فهو يرى الموت طوفاناً يُطهر المجتمع مـــن تلك الأدران التي علِقت بشخصياته التي تتحكم في مقاليد الأمور ، ومن جهةٍ أخرى فهو ترويحٌ عـــن النفس ، لأن فيه أخذاً للثأر النفسي ، ومساواةً اجتماعية ، إضافةً إلى الخوف الذي يسكُن في نفسه من الموت وفزعه وسكراته ، وهذا الهاجسُ يشغلُ كل النفوس ، لكنه شغلَ نفس أبي العتاهية بكُل معـــاني القلق والخوف من هذا المصير .

ودرسَ الفصل الثاني (الرؤية الاجتماعية في زهده) لما لها من ارتباط كبير في الزهد ، حيثُ تبيّن مدى اهتمام أبي العتاهية بالقيم الأخلاقية التي تحكم علاقة المجتمع ببعضه ، وتعود على الإنسان بالنّفع والخير العميم ، وهذا ما دعا إليه الدين الإسلامي الحنيف ، فجاءت أشعاره في هذا المجال إسلاميةً في معانيها . تترسم نهج القُرآن والسنة ، وأقوال السلف الصالح من الأمة الإسلامية .

وقد أضفى عليها فيضاً من روحه المُشفقة على إخوانه ، فكانت نظرةً اجتماعية تمثلت مجموعة من القيَم والاتجاهات التي يرى فيها صلاح المجتمع ، ويهدف من وراء ذلك إلى إصلاح الخلل الاجتماعي الذي عانى منه المجتمع العّباسي في العصر الأول ، فجاءت أشعاره صدى لتلك الأوضاع ، ويوجه من خلالها العامة والخاصة ، وقد آتتأُكلها ، فهارون الرشيد كثيراً ما بكى حينما تمثّل أشعار أبي العتاهية ، مُتأثراً بها ، وهذا يُدللُ على رصانة أسلوبه في الوعظ ، وصدق العاطفة التي كانت تُسيطر عليه ، فقد صاغَ أشعاره الوعظية في قوالب شعرية مؤثرة وبليغة ، أساسها الترغيب والترهيب .

أما الفصل الثالث فقد تحدّثَ عن وسائله في التوسل إلى الله وهي سمةٌ من سمات المرحلة الجديدة التي عاشها الشاعر ، تتحكم فيها روح الاعتراف بالذنب ، والإقرار بالضعف ، يتهادى بين الفلاسفة والمتصوفين ، يُناجي ربه طالباً المغفرة وقُبول التوبة ، ويُناجي نفسه ، يُذكرها بعظَمة الخالق عزّ جلّ ، ويقرّعها ويؤنبها على التفريط في جنب الله ، فانتشرت التسبيحات في ديوانه ، وامتازت بأسلوب التكرار الذي يُشعر بعظمة الخالق وقُدرته الفائقة ، فكان دائم المُناجاة والتضرّع .

ووقف الفصل الرابع عند المؤثرات التي أثرت في أشعار أبي العتاهية ، ووَجّهتها الوجهة الإسلامية الصحيحة كما يظهر من خلال النظر الثاقب ، فيما تذهب إليه معاني الأشعار ، فكان الفصل دليلاً قاطعاً على صدق نوايا الشاعر الزهدية ، وتأكيداً على تأثره بالقرآن والسنة ، فالمعاني والأفكار الواردة في أشعاره الزهدية إسلاميةٌ خالصةٌ ، بعيدةً كل البعد عن الزندقة والمانوية .

والمؤثرات الإسلامية من أقوى الحجج التي تتصف بها أشعار أبي العتاهية ، فهو يُحاكي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في أسلوبيهما ، يقتبس الفكرة بمعناها ومبناها ، فجاءت رداً على تلكَ الاتهامات الباطلة التي روجَ لها أعداؤه ، وتابعها بعض الأدباء القُدامى والمحدثين دون تمحيص ، ولِتَضع أبا العتاهية في مكانته الحقيقية فيِ الشعر الزهدي في عصره بلا مُنازع .

وقد مرَت الدراسة في هذا الفصل على سُحُب الخلاف في حياة الشاعر الزهدية محاولة إزاحة الضباب عنها ، ليظهر نوعٌ من الشفافية والوضوح في التعامل مع أشعاره الزهدية .

وفي الفصل الخامس تناولتُ شعر أبي العتاهية الزهدي بالدراسة والتحليل . ووقفتُ عند بعض القضايا الفنية التي ظهرت في أشعاره الزهدية كالصورة الشعرية ومُحاكاته للقرآن الكريم ، والسُهولة

أما النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيُمكن إجمالها على النحو التالي :

١. كُثرة اقتباس أبي العتاهية في أشعاره من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

٢. سعة الروافد الإسلامية المؤثرة في أشعار أبي العتاهية مثل العبادات والشعائر الدينية ، وأقوال سلف الأمة الصالح.

٣. صدق التجربة الزهدية عند أبي العتاهية وصبغها بصبغةٍ إسلامية خالصة خالية من المسيحية والمانوية وغيرها.

٤. وضوح الرؤية الاجتماعية في أشعاره الزهدية .

٥. التخفيف من غلواء الاتهامات التي وُجهت لأبي العتاهية ، كالزندقة والمانوية والجبرية والتشيّع .

٦. كُثرة الأشعار الزهدية ذات الصبغة الإسلامية التي وجهت المُجتمع العباسي بطبقاته المُختلفة .

٧. وضوح نظرته للحياة والتي تتماشى مع نظرة الدين للحياة ، فلا يوجد تناقض بينهما .

٨. سهولة الألفاظ ، وعمق المعاني التي تضمنتها أشعاره في مجال الزهد .

٩. كثرة الصور الفنية التي أوردها في أشعاره .

الخـــلاصة

****

يتلخص موضوع الدراسة في خمسة فصول ، تناول الفصل الأول منها قضيّة المصير مصير الدنيا ، ومصير الإنسان ، وقد شغلتهُ هذه القضية طويلاً ، واستحوذت على تفكيره واهتمامـــه ، وأخـــذت حيّزاً كبيراً من ديوانه الزهدي.

وخُلاصة القول أنه قد نظر إلى الموت ، وزوال الدنيا نظرةً إسلاميةً أكّدها القـــرآن الكـــريم ، والسنة النبوية الشريفة ، فجاءت نظرته لهذه القضية من منظور إسلامي ، رداً على من اتهمه بأنها نظـرة تشاؤمية فيها تعطيلٌ للحياة .

وفي الفصل الثاني ، تناولت الدراسة الرؤية الاجتماعية في أشعار أبي العتاهية الزهديـــة ، مـــن حيثُ رؤيته لمنظومة الأخلاق الإسلامية التي دعا إليها الدين الإسلامي ، مُستفيداً مـــن خبرتـــه الـــتي أنضجتها الأيام ، ومن ثقافات العصر العباسي الأول الذي امتـــاز بـــالنضوج الفكـــري ، وامـــتزاج الحضارات الأجنبية بحضارتنا العربية والإسلامية .

وفي الفصل الثالث تناولت الدراسة وسائله في التوسل إلى الله التي بثّها أبو العتاهية في ديوانـــه ، مظهراً ضعف الإنسان وعجزه حين يقترب من خريف العُمر ، فظهرت تسبيحاته وتضرعاته بكل جلاء ، طالباً المغفرة من الله عزّ وجلّ ، ومعلناً توبته النصوح .

وفي الفصل الرابع تناولت الدراسة المؤثرات التي وجّهت أشعار أبي العتاهية الزهدية الوجهـــة الإسلامية الصحيحةمن خلال المعاني الإسلامية الواردة في أشعاره ، والتي أكّدت صدق نواياه الزهديـــة وبينت مدى تأثره بالقرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والسلف الصالح من الأمة .

وفي الفصل الخامس تناولت الدراسة أشعار أبي العتاهية الزهدية ، بالتحليل ، وأظهرت الصور الفنيـــة التي طرقها الشاعر ومدى تأثره بالقرآن الكريم ، ومُحاكاته له ، والتنـــوع في الأوزان والموســـيقى ، وأخيراً بيّنت مدى سُهولة شعره وعُمق معانيه .

Summary

Abi Al Atahia's Monastic Poetry.

The subject of study can be summed up in five chapters.

The first chapter deals with the issue of the universe and man fate. He was engaged with this issue for a long time. He was deeply interested in this issue that he provided a large space for it in his collection of religious devotion. The long and the short, he viewed death and extinction of life from the Islamic point of view which is ascertained by the Holy Quran and the honourable Traditions. Hence, his regard to this issue came from Islamic perspective in reply to those who accused him of ill omened look and hindering life.

In the second chapter, the study handled the social vision in Abi Al Atahia's monastic poetry concerned with his own vision of the Islamic collection of ethics called for by Islamic religion, making use of his experience, matured by the passage of days and the cultures of the first Abbasy era which was distinguished with intellectual mature and the mixture of foreign civilizations with our Arabic and Islamic civilizations.

In the Third chapter, the study discussed his religious prayers which scattered in his collection of religions devotion. He expressed through these prayers faith trembling, credibility in God and depending only on the Almighty God. All his praises and prayers were signs glorifying the Creator and showing His great ability over this universe.

In the Fourth chapter, the study examined the effects imposed on the religious verses [poem] of Abu Al Atahiya. All, in lumpsum, were derived from the Holy Quran, the Honorable Traditions and the sayings of righteous ancestors. The study threw lights on the characteristics of the poet personality and his cultural resources with its Islamic sources....

In the Fifth chapter the study handled Abi Al Atahia's monastic poetry with analysis and pointed out the technical pictures which have been used by the poet and to what extent he was affected with the Holy Qora'n and how he tried to imitate it and the varied rhymes and music and it also pointed out the facility of his poetry and the deepness of its meanings.

المصادر والمراجع

المصادر القديمة :

* * * * * * *

١. أبو العتاهية (إسماعيل بن القاسم / ت ٢١٠هـ - ٨٢٥م) :
ديوانه (أبو العتاهية أشعاره وأخباره) تحقيق د . شكري فيصل ، مكتبة دار الملاح ، دمشق. (٩٦٤ ، مقدّمة المحقق)

٢. ابن الأثير (المبارك بن محمد ، ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)
جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط (د . ط) مطبعة الملاح ، حلب ، ١٩٧١م .

٣. الأصفهاني (أبو الفرج بن الحسين ت ٣٥٦ هـ / ٩١٧م) :
الأغاني ، نُسخة مُصورة عن طبعة دار الكتب ، مؤسسة الكُتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٨٧ .

٤. البيهقي ، (أبو بكر أحمد الحسين ، ت ٤٠٨ هـ ، ١٠٦٦م) :
الزهد الكبير : تحقيق عامر أحمد حيدر ، الطبعة الأولى مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٨٧م.

٥. ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر(ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م)
المدهش ، (د . ط) ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٧م .

٦. الحنبلي (زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن رجب (ت ٧٩٥ هـ/ ١٣٩٢م) :
جامع العلوم والحكم ، (د . ط) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، (د . ت) .

٧ . الدجوي (أحمد سعيد الدجوي) :
فتح الخلاق في مكارم الأخلاق ، تحقيق عبد الرحيم ماردينى ، الطبعة الأولى ، مكتبة دار المحبّة ، دمشق ، ١٩٩١م .

٨ . الشيباني (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر (ت ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م) :
تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ، (د . ط) دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د . ت) .

٩ . العاملي(بهاء الدين بن محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي (ت ١٠٣١ هـ /١٦٢١م)
الكشكول ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، (د . ط) دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

١٠. العسقلاني (ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي،ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م) :
فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٩م .
١١. القرطبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٢م) :
التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، (د . ط) ، المكتبة السلفيّة ، المدينة المنورة ، (د . ت) .
١٢. ابن قيّم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزية (٧٥١ هـ / ١٣٥٠م) :
الفوائد ، تحقيق أحمد راتب عرموش ، الطبعة الثالثة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٢م.
١٣. الماوردي (أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري ، ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) :
أدب الدنيا والدين ، تحقيق محمد كريم راجح ، الطبعة الأولى ، دار اقرأ ، بيروت ، ١٩٨١م .
١٤. المبرّد (أبو العباس محمد بن زيد ، ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) :
الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، (د . ط) مطبعة عيسى البابي حلبي ،
١٥. ابن مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد ، ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠م) :
الحكمة الخالدة ، تحقيق عبد الرحمن بدوي(د، . ط) مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ، ١٩٥٢م.
١٦. المسعودي (أبو الحسن بن علي المسعودي ت ، ٣٤٦هـ)
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة مطبعة دار سعادة بمصر ١٩٦٥م
١٧. ابن المقفع (عبدالله ، الكاتب العباسي ، ت ١٤٥ هـ / ٧٦٢م) :
الأدب الكبير والأدب الصغير ، (د . ط) دار الجيل بيروت ، ١٩٨١م .
١٨ . النووي (أبو زكريا يحي بن شرف ، ت ٦٧٦ هـ / ١٣٧٧م) :
رياض الصالحين ،تحقيق حسان عبد المنان ، الطبعة الثالثة ، المكتبة الإسلامية ،عمان، ١٩٨٠م .
١٩. الهندي (علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ، ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧م) :
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، الطبعة الخامسة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

المراجع الحديثة :

* * * * * * *

٢٠. أحمد بدوي :

أسس النقد الأدبي عند العرب ، الطبعة الرابعة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

٢١. أسامة عانوتـــي :

أبو العتاهية رائد الزهد في الشعر العربي ، الطبعة الأولى ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، ١٩٦٤م .

٢٣. حامد صادق قنيبـــي :

المشاهد في القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ، دار عمّار ، الأردن ، ١٩٨٦م .

٢٤. خليل شرف الدين :

أبو العتاهية من الرفض إلى القبول ، الطبعة الثانية ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٢٥. زكي مبارك :

التصوّف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، (د . ط) دار الجيل ، بيروت ، ١٩٣٨م .

٢٦. سيد سابق :

العقائد الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، ١٩٨٣ م .

٢٧. شفيق الرقب :

كتاب خاص في تاريخ الأدب العربي القديم ، الطبعة الأولى ، دار صفاء ، ١٩٩٠م .

٢٨. شوقي ضيف :

العصر العباسي الأول ، الطبعة السادسة ، دار المعارف ، (د . ت).

٢٩. طلعت أبو العزم :

الرؤية الرومانسيـــة للمصير الإنســـاني ، (د . ط) ، الهيئـــة المصـــرية العامـــة للكتـــاب ، الإسكندرية ، ١٩٨١م .

٣٠. عبد الحكيم حسّان :

التصوف في الشعر العربي ، (د . ط) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٤م .

٣١. عبد الستار متولي :

أدب الزهد في العصـــر العبـــاسي نشـــأته وتطـــوره ، (د . ط) الهيئـــة المصـــرية العامـــة للكتاب ، ١٩٨٤م .

٣٢. عبد اللطيف أحمد :

التصوف في الإسلام ، (د . ط) دار الثقافة العربية ، ١٩٨٦م .

٣٣. عز الدين إسماعيل :

في الشعر العباسي الرؤية والفن ، الطبعة الأولى ، المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٤م ، (د . ط) دار الثقافة العربية ، ١٩٨٦م .

٣٤. علي نجيب عطوي :

شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨١م .

٣٥. مجاهد بهجت :

التيار الإسلامي في الشعر العباسي ، (د . ط) وزارة الأوقاف العراقية ، بغداد ، ١٩٨٢م .

٣٦. محمد أحمد ربيع :

تاريخ الأدب العربي القديم ، (د . ط) دار الفكر ، عمّان ، (د . ت) .

٣٧. محمد حسن الزير :

الحياة والموت في الشعر الأموي ، الطبعة الأولى ، دار أميّة ، الرياض ، ١٩٨٩م .

٣٨. محمد عبد العزيز الكفراوي :

أ) أسطورة الزهد عند أبي العتاهية ، (د . ط) ، دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

٣٩. ب) الشعر العربي بين الجُمود والتطور ، الطبعة الثانية ، دار العلم ، بيروت ، (د . ت).

٤٠. محمد عبد المنعم خفاجي :

الآداب العربية في العصر العباسي الأول،(د . ط)دار الطباعة المُحمدية، القاهرة ، (د . ت)

٤١. محمد كرد علي :

رسائل البلغاء ، (د . ط) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦م .

٤٢. محمد محمود الدُّش :

أبو العتاهية حياته وشعره، (د . ط) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٨م.

٤٣. محمد نبيه حجّاب :

معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول ،الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ،١٩٧٣م .

٤٤. محمد علي الهرفي :

أثر القرآن والسنة في شعر أبي العتاهية،(د . ط)دار الإصلاح للطبع والنشر،الدمام ،(د . ت).

٤٥. محمد يوسف كاند هلوي :

حياة الصحابة ، (د . ط) دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ت) .

٤٦. مصطفى هدارة :

اتجاهات الشعر والشعراء في القرن الثاني الهجري ،(د . ط) دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٣م.

٤٧. منصور علي ناصيف :

التاج الجامع للأصول ، (د . ط) دار الفكر ، لبنان ، ١٩٨١م .

٤٨. هاشم مناع :

أبو العتاهية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٩٤م .

٤٩. يوسف خليف :

أ) حيـــاة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، (د . ط) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٥٠ ب) في الشعر العباسي نحو منهجٍ جديد ، (د . ط) مكتبة غريب ، (د . ت) .

المعاجم والدوريات :

* * * * * * * * *

٥١. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ /)

لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، (د . ت) .

٥٢. محمد فؤاد عبد الباقي :

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٢م .

٥٣. مجلة حولية الجامعة التونسية ، العدد الثامن . أبو العتاهية الفنان الزاهد ، إبراهيم خيري .

****